محمود مراد

الحرب الخفية

قصة العلماء الألمان في مصر

جاسوس في القاهرة

عمليات الموساد لوقف صناعة الطائرات والصواريخ

الكتاب والتاريخ .. بعض من روح الأمة

إذا كان التاريخ هو روح الأمة .. فهذا بعض منها . وإذا كانت المعرفة هى خط الدفاع الأول عنها .. فهذا الكتاب بعض من بنائه .. فهو يتعرض لمرحلة هامة من التاريخ العربى عندما اقتحمت القاهرة ميدان بناء صناعة عربية للسلاح لكى تحقق الاستقلال الكامل للقرار العربى وللارادة العربية وللسلام والتقدم العربى الذى لايمكن أن يستقيم ويستمر إلا بقوة فعالة ومؤثرة تحميه .

وفى فترات سابقة من التاريخ كان العرب يعتمدون على مصدر واحد يمدهم بما يشاء هو من « السلاح » ، ثم بدأت حقبة أخرى عام ١٩٥٥ بكسر احتكار السلاح.. وفى الوقت نفسه بدأت فى السابع عشر من أكتوبر ١٩٥٤ مرحلة جذرية شديدة الأهمية عندما انتجت المصانع الحربية أول طلقة ذخيرة عربية الصنع لتدخل الأمة العربية – من خلال ما تمارسه القاهرة – مرحلة التصنيع للاعتماد على الذات .. ولكن ، ولأهمية هذه المرحلة وخطورتها بالنسبة للذين يفزعهم أى تقدم عربى ، فلقد جرى تخطيط وتنفيذ مؤامرة كبرى بفصول دامية متتابعة !

وإذا كانت اسرائيل – العدو التقليدى للعرب فى زماننا الحديث – قد قادت عملية التآمر فإن قوى أخرى – تعتبر إسرائيل رأس رمح لها – قد شاركت فى المؤامرة بأدوار وأساليب متعددة ، لأنها خاضعة بشكل ما للنفوذ الصهيونى ، ضالعة معه وحليفة فى مخطط يريد أن يئد كل نهضة عربية حتى تظل الأمة العربية سوقا تستهلك فقط ما يريدون وقتما يريدون وبالكيفية التى يريدون ! وحتى يظل القرار العربى محكوما بقوة تخيفه

أكبر منه ! وحتى يبقى العرب بقرة حلوب تأكل من مراعينا وتمتد ضروعها خارج حدودنا لتعطى الخير للآخرين !

والمدهش – أو هو على أى حال ليس مدهشا إذا تخلينا عن سذاجتنا البريئة – أنه رغم فحولة النضال العربى بهدف التقدم ، فإن الفصول الحديثة من المؤامرة تحاول بدعاياتها السوداء وبمساعدة من أرضنا ــ للأسف ! – أن تحوله إلى فشل ومغامرة طائشة وتجتهد فى تلطيخه بالوحل .. مع أن الوحل – مهما كان ومهما يكن – هو وحل وقد يطمس الجوهر إلى فترة لكنه أبدا لايضيع قيمته ولايذهب بقدره وبريقه ووهجه ..

إن الوحل يبقى وحلا ..

والجوهر يبقى جوهرا ..

ومن هنا فلقد ظهر العديد من الكتب الصادرة عن جهاز المخابرات الاسرائيلية « الموساد » وعن دور نشر مدعومة منه .. تمجد فى بعض منها أعمالا إسرائيلية .. وتسفه فى بعض آخر أفعالا عربية .. وتحاول القيام بعملية غسيل مخ لتفريغ العقل العربى – فى الأجيال الجديدة بالذات – من محتواه .. فتسعى إلى محو الذاكرة العربية بتشويه أحداث التاريخ والتقول على رجالاته وتصوير أننا لم نكن سوى عرائس خشبية تحركنا خيوط ممتدة لمن يحركها هناك بعيدا عنا !

وهذا كله وغيره هو الهراء بعينه . وهو العبث المفضوح . وهو الذى دفعنا إلى استعادة الذاكرة واستدعاء بعض من شواهد تاريخنا الحديث لكى نتوقف عند قصة العلماء الألمان فى مصر ..

إن القصة تتضمن عمليات مثيرة تفوق مغامرات الخيال وصراع مشوق يحبس الأنفاس .. وهذا ليس ــ بأى حال ــ قصدنا .. فهو ترف لانقدر عليه ولانستطيع فى وقت الشدة .. فنحن نرى أن العرب فى وقت شدة وفى معارك متصلة من دير ياسين إلى السويس إلى سيناء إلى الجولان إلى إنتفاضة الحجارة حتى يأخذوا وبحق مكانهم اللائق على خريطة الكون .

لذلك .. ليست المغامرة هدفنا ولا التسلية فهذا ترف ليس من مهمتنا .. إنما نحن فى هذا الكتاب نعرض فصولا من ملحمة النضال العربى .. وهى بعض من روح الأمة .. وجزء من خط الدفاع الأول .. من المعرفة .. فإنه ينبغى أن نعرف لتكون الخطى محسوبة وناجحة .

مصر الجديدة ١٩٨٨ — محمود مراد

الكولونيل محمود

فى حياة الإنسان أحداث تقع لايستطيع أن يبتعد عنها مهما مضت به وبها السنوات ... ومنها قصة العلماء الألمان فى مصر التى بدأت دراما فصولها تتأزم سنة ١٩٦٣ .... ومنذ ذلك التاريخ إقتربت منها واقتربت منى ولم تستطع أن تفارقنى ولم أستطع أن ابتعد عنها حتى اللحظة !

فى أحد أيام بداية صيف ذلك العام وصلت إلى عملى فى جريدة « الأهرام » كالعادة فى نحو الساعة العاشرة والنصف صباحاً ... ليقول لى الرؤساء والزملاء أن رئيس التحرير الأستاذ محمد حسنين هيكل قد حضر إجتماع « المحررين » فى الساعة التاسعة صباحا وأنه طلب منهم مشدداً الحصول على تفاصيل حادث أشار إليه الرئيس جمال عبدالناصر فى حديثه إلى هشام أبو ظهر رئيس تحرير جريدة المحرر اللبنانية ، فى أول عدد صدر منها فى أول أبريل سنة ١٩٦٣ ... ونشر الحديث فى صحف القاهرة ذلك الصباح ٢ أبريل ١٩٦٣ ... وفيه يشير جمال عبدالناصر بسرعة مقتضبة إلى أن « إسرائيل » تشن علينا حربا قذرة وإنها أرسلت طرد متفجرات قتل خمسة من الفنيين المصريين فى أحد المصانع الحربية العاملة فى مجال الصواريخ .

هكذا كانت الاشارة مختصرة فطلب **الأستاذ هيكل** من المحررين السعى وصولا إلى القصة الكاملة ...

وعلمت أن بعضاً من أبرز الزملاء قد انطلق بحثا عن التفاصيل .. ورحت أفكر ماذا أستطيع أن أفعل ... ؟ لقد ذهب زملاء إلى وزارة الداخلية وأجهزة المباحث الجنائية .. وذهب آخرون إلى دوائر القضاء والنيابة .. وفريق ثالث إلى وزارة الحربية وقيادة القوات المسلحة ... ورابع إلى الخارجية والدوائر الدبلوماسية لعله يلتقط شيئاً وهكذا .. فماذا أفعل أنا ؟

ماذا أفعل وعمرى كله فى « الأهرام » أربع سنوات إذ إلتحقت به فى أول مايو ١٩٥٩ ... وكنت فى التاسعة عشرة من عمرى !

أكثر من ذلك فإنه إذا كانت لى صلات هنا أو هناك فإن زملائى – ومعظمهم أقدم منى وأكبر – قد سبقونى وذهبوا منطلقين إلى كل الجهات تفتيشاً وتنقيباً !

جلست على مكتبى أدير قرص التليفون لاتصل بمن أتصور أنه من المحتمل أن تكون لديهم أية معلومات ولو « بصيص » منها ... ودخل مكتبى بعض رؤسائى وأنا أفعل ذلك ... ولم يكن فيما شاهدوه منى سوى شخص يبدو الهدوء على وجهه يتحدث تليفونيا بصوت هادىء مما يجعلهم يتصورون أى شىء إلا الحقيقة ولذلك نظروا متهكمين وخرجوا يهزون الرأس أسفاً فى نفس اللحظة التى كنت فيها أغلى وأفور – وكعادتى – لايبدو هذا على ملامحى أو حركاتى ... وعموما فهم – رؤسائى –(١) لايسيئون بى الظن وإلا كانوا قد لامونى على جلوسى فى مكتبى هكذا ... **فقد كانت العاة فى « الأهرام » وقتها أن يخرج كل المحررين بعد إجتماع الصباح إلى « السوق » أقصد إلى أعمالهم ... إلى « مصادر الأخبار والتحقيقات »** .. إلى كل جهة بحثا وجمعا للأنباء والمواد الصالحة للنشر ثم يعودون بعد الواحدة لكتابة حصيلة اليوم .. **وكان « رؤساء » الأقسام يمرون على المكاتب فإن شاهدوا محررا فمعنى ذلك أنه قد ضبط فى حالة « زوغان » من عمله إلا إذا كان هناك « مبرر » واضح** ... أما بالنسبة لى فقد تعودت وعودتهم على أن أحضر إلى عملى متأخراً وأظل طوال اليوم .. والعبرة فى النهاية ليس فقط بكمية المواد الصالحة للنشر وإنما أيضا بقيمتها ... ومن ثم فهم قد إكتفوا بنظرات التهكم الصامتة الجارحة أو ربما أشفقوا على حالى لأن هذا « الحدث » الهام قد فاتتنى فرصة المشاركة فى البحث عنه ... وأن غيرى سيجىء قطعا بعد قليل بالقصة كاملة !

★ ★ ★

لا أزال أتعامل بالتليفون ... قال لى أحد مصادرى أن هذا الذى أشار إليه الرئيس **جمال عبدالناصر** قد أحدث ضجة وأن كل ممثلى الصحافة الأجنبية وأجهزة الاعلام

(١) كان رئيسى وقتها الأستاذ صلاح هلال .. وكان رئيس قسم الأخبار الأستاذ ممدوح طه أمد الله فى عمريهما. وكان الاثنان يتوليان مباشرة رئاسة فريق العمل المكلف بالتغطية .

فضلا عن الصحافة المصرية ... يطالبون بالتفاصيل « وأظن » – هكذا قيل لى – أن إجتماعا سيعقد فى مكتب وزير الاعلام بمبنى التليفزيون للاتفاق على هذا ... !

أسرعت إلى مبنى التليفزيون ...

كان الاجتماع قد عقد وانتهى وخرج المجتمعون وعلى الشفاه جملة واحدة « لاتعليق وفى الوقت المناسب ستعرفون كل شىء » .. ووجدت عشرات من الصحفيين الأجانب والمصريين ومنهم الزميل الأستاذ رضا خليفة وكان وقتها محررا دبلوماسيا فى « الأهرام » ... فوقفت معه ولمحت شخصا مهيبا أحمر الوجه ، يرتفع شاربه ... همست قائلا لرضا : « **أليس هذا هو ضابط المخابرات عصام خليل بطل المؤامرة التى كشف عنها والذى كان بجوار عبدالناصر عند إطلاق صاروخ القاهر والظافر** ؟ ، همس لى رضا : « **أسكت ... وكأنك لاتراه ... ده خطير** » .. وكانت عيناى معلقتان بالرجل الذى تبدو أهميته من مرافقيه وكيفية توديعه وهو يسير فى طريق الخروج **وقلت فى نفسى « خطير ؟ ولو ..** » ووجدتنى أسرع خلفه ، أخترق المناكب التى تحيط به وأصل إليه ... حييته برقة شديدة .. نظر إلى ورد بإقتضاب ... سألته مباشرة عن هذه العملية القذرة التى أشار إليها الرئيس ... **فقال لى إن الأستاذ هيكل يعرف كل شىء** ! فقلت له إن الأستاذ هيكل يعرف لكنه هو الذى كلفنا بالتفاصيل وما ستحصل عليه هو الذى سينشر بصرف النظر عما يعرفه هو ، **ونظر لى عصام خليل للحظات قبل أن يقول : يعنى إيه** ؟ قلت : يعنى عايز أى تفاصيل ممكنة ، **سكت مرة أخرى ثم نطق برقم تليفون وقال إتصل بعد ساعة بهذا الرقم** ، قلت : بمن ... وأين ؟ قال : « ليس هذا شأنك ... إتصل فقط وبعدها نفذ ما سيقال لك .»

وكنا قد وصلنا الشارع فركب سيارته ... ووجدت نفسى حائراً ليس معى سوى رقم تليفون قيل لى مرة واحدة والحمد لله التقطته الذاكرة كما تعودت أن تلتقط وتحفظ .. وعدت إلى مكتبى !

★ ★ ★

كنا قد وصلنا إلى وقت الظهيرة ... لم أخبر أحدا بما حدث ... رحت أتحسس « حصاد » ما جاء به الزملاء ... لاشىء ... بعضهم روى حكايات ومغامرات عما فعل لكن لا معلومات ولا تفاصيل !

• عيناى على الساعة ..

مرت الساعة بطيئة بعد لقائى الخاطف مع عصام خليل ... أدرت قرص التليفون وبعد التحية نطقت بإسمى وبأننى قد التقيت مع .. وقاطعنى المتحدث : أيوه .. أيوه .. عارف .. يمكن أن نلتقى فى الثامنة مساء ... هل معك سيارة أم نرسل إليك ... خذ هذا العنوان ... مدينة نصر ... شارع ...

وفى الموعد تماما كنت هناك ... ولم أكن قد أبلغت أحداً فى الجريدة ... فأنا لا أحب التحدث عن شىء إلا بعد حدوث الفعل والوصول إلى النتيجة .

• وجدت ضابطا شابا فى الملابس المدنية ..

وبدأ بصعوبة شديدة يقول لى المعلومات ... وعندما كنت اسأل وأستفسر كان يصمت طويلا ... ويعلق : « أهذا مهم .. يا أخى الصحافة لها أسلوب مثير .؟ . نحن نريد إبراز القذارة فى العملية ... و ... » وإستمر لقائى معه أكثر من ساعتين شاقتين ... بعدها حصلت على المعلومات وبقى أن أحصل على الصور ... فضحك وقال لى : « لا .. الحكاية ليست سهلة هكذا ... أكتب الأول ثم أراجع أنا وإذا .. وافقت سأعطيك الصور » قلت له أتمهلنى قليلا لأكتب الآن لترى وتراجع ؟ قال : « بل غدا .. فالآن لدى مهام أخرى ... غداً أجىء إلى مكتبى فى الثامنة صباحاً !

• وهو كذلك !

خرجت دون أن أتلفت ورائى وكانت سيارة « الأهرام » فى انتظارى وطلبت من السائق أن يوصلنى إلى منزلى فهو أقرب علاوة على أنه لاجدوى من الذهاب إلى الجريدة فقد تم الطبع كما أن ما معى لابد من مراجعته أولا !

* * *

وسهرت الليل فى منزلى وأنا أكتب القصة ... قصة العملية القذرة التى قامت بها اسرائيل وأرسلت طرد متفجرات إلى أحد المصانع فقتلت من قتلت وأصابت من

أصابت وفى البداية كتبت مقدمة ملتهبة متضمنة العبارات والكلمات التى قالها لى الضابط .. واعترف هنا أن هذه المقدمة « الحماسية » كانت فقط لارضاء الضابط حتى يعطينى الصور ... وبعد ذلك أمزقها وأكتب مقدمة أخرى موضوعية وفق القواعد الصحفية ... ! **وهذا ماحدث بالفعل** ... إذ فى الثامنة بالضبط كنت فى مكتبه بمدينة نصر .. ولكنه لم يحضر إلا فى الثامنة والنصف ولم يقابلنى إلا بعد ربع ساعة من وصوله ... وبالطبع كنت طوال هذه الدقائق الخمس والأربعين أكاد انفجر ... فأنا لا أحب أن يتأخر أحد عن موعده معى – مهما كان – هكذا ... ولا أن أنتظر مقابلة – أيا كانت – هكذا ... فضلا عن قلقى على « الموضوع » ... لكن الظرف الصحفى أحيانا – خصوصا فى مناسبات معينة – يفرض على الصحفى أن يضغط على أعصابه ويكتم إنفعالاته ويبتسم وهو ممزق ... وربما لهذا السبب يختطفه الموت مبكراً !

قابلنى ... وأعجبه ما كتبت خاصة المقدمة ... وأعطانى الصور ... كلها !

• الآن ... معى القصة كاملة !

عدت إلى الجريدة بسرعة ... وصلتها فى العاشرة والنصف صباحا ... أى تقريبا فى نفس الموعد الذى أصل فيه يوميا ... وكان الاجتماع قد إنتهى وإنصرف المحررون بنفس طلب الأمس ... أن يبحثوا بجدية عن قصة العملية القذرة !

كانت المفاجأة عندما قدمت القصة كاملة ... مكتوبة بعناوينها ... صالحة للنشر – بعد أن استبدلت المقدمة – وبالصور !

* * *

وفى اليوم التالى خرج « **الأهرام** » وعلى صدر صفحته الأولى إشارة لهذا الذى انفرد به ... وعلى الصفحة الثالثة كلها التفاصيل والصور ...

وطلبت الضابط الذى حصلت منه على المعلومات بالتليفون ... وبرغم ملاحظته تغيير المقدمة إلا أنه أبدى إعجابه بالموضوع ... وطلبت منه أن أرى « عصام بك » فقال أن لامواعيد له ... وعرضت أن أذهب فى اليوم التالى فقد أتمكن من لقائه ...

فوافق وفعلا ذهبت لكنى لم التق بعصام بك وإنما تعرفت بضابط آخر زميل لمن أعرفه ... وقلت : « ربما أحضر بعد يومين فقد أراه » ... وقال الاثنان « تعالى ... » وهكذا بدأت علاقة أقرب إلى الصداقة تربطنى بالضابطين ثم التقيت بعصام بك ... وتكررت زياراتى فالتقيت بالعلماء الألمان ... وبآخرين ... وعرفت كل شىء ...

عرفت مهام هذا المكتب ... مكتب نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة « المشير عبد الحكيم عامر » للمشروعات الخاصة ...

مدير هذا المكتب العميد طيار **عصام الدين محمود خليل ... الذى أصبح لواء فيما بعد ... والذى يعرفه العلماء الألمان باسم « الكولونيل محمود »** وهذا نفسه هو الاسم المعروف به فى دوائر المخابرات الاسرائيلية والغربية التى تدير العالم السرى ... أو الحرب الخفية التى تتعامل فى الصواريخ والذرة والتكنولوجيا المتقدمة .

أما الضابطان اللذان ... يديران مكتب الكولونيل محمود فهما : المقدم طيار سيد نديم ... والمقدم طيار سمير على ... ومعهما مجموعة أخرى من الضباط والمهندسين والعلماء الشبان ... ومعهما أيضا المقدم طيار على زيكو ...

ويشرف هذا المكتب على صناعة الطائرات والصواريخ فى مصر وبالتالى المصانع التابعة لها سواء فى حلوان أو القاهرة أو طريق السويس الصحراوى حيث المصنع الذى وقعت فيه « العملية » القذرة ...

صرت على صلة قوية بالكولونيل محمود ومساعديه ... وأيضا بمجموعة العلماء الألمان وأبرزهم « **بيلز** » و « **كلاينفختر** » و « **جيركه** » وعشت فصول الحرب السرية عبر طرود الموت والخطابات المتفجرة ومحاولات القتل والاختطاف والتهديد والارهاب ... إلى أن حدثت تطورات على المسرح السياسى دفعت بالعلماء الألمان للخروج من مصر ... برغبتهم كاملة وبلا إعتراض من أحد ... لاكراهية لمصر ولا خوفا من العمليات الاسرائيلية القذرة إنما لسبب مبدئى بحت هو وصول « **فالتر أولبريخت** » **رئيس ألمانيا الشرقية إلى مصر فى فبراير ١٩٦٥** واستقبالها له رسميا وشعبيا ولعل هذا سر يذاع لأول مرة وسوف ترد تفاصيله فيما بعد ...

وبخروج العلماء الألمان ... دخلت قصة صناعة الطائرات والصواريخ مرحلة جديدة حتى عام ١٩٦٦ ... وتحت ضغوط سوفيتية – فضلا عن الضغوط الغربية – ولعل هذا أيضا سر جديد ستأتى تفاصيله فى حينها ، تراجعت الصناعة ... ثم وقعت حرب ١٩٦٧ وحدث ما حدث للمشير عبدالحكيم عامر ... وتعرض عصام خليل لظروف قاسية ... !

* * *

كان عصام خليل كما روى لى بنفسه بعد ذلك قد ترك القاهرة فى أعقاب إنتقال عبدالحكيم عامر إلى فيلا الجيزة – التى أقام فيها الرئيس أنور السادات فيما بعد توليه الرئاسة – وأحتمائه فيها مع شمس بدران ومجموعة أخرى من « العيال » – هكذا أسماهم عصام – لذلك « منعا للاحراج فهو صديق لى لكن أخالف تصرفاته ... سافرت إلى بلدى فى كفرالشيخ وأقمت فى منزلى هناك ... وفوجئت بعد أيام بتليفون من القاهرة .. كان عبدالحكيم عامر الذى قال لى : ايه ياعصام .. أنت حتفضل ساكت كده ... امتى حتيجى علشان نتحرك ؟ .. واندهشت ما هذا الذى سنفعله ونتحرك لأجله ؟ .. قلت له هذا فقال عبدالحكيم : « ياأخى اللى بنجهزه ... أنت لازم تيجى هنا » .. وضعت السماعة وقطعت المكالمة ... فإن عبدالحكيم يقول كلاما لتوريطى ولأننى ابتعدت عنهم وهم يريدون الجميع معا ... فى نفس المصير ... الحقيقة أن عبدالحكيم كان إنسانا طيبا لكن من جمعهم حوله ، وهم مسئوليته ، هم الذين جعلوا تصرفاته هكذا ... المهم أننى ظللت فى كفرالشيخ ولم أعد أرد على التليفون ومن يطلبنى كان أولادى ينكرون وجودى إلا إذا كان أحد أفراد العائلة أو من الأصدقاء المعروفين بل أننى تركت كفرالشيخ كلها وذهبت إلى سيدى عبدالرحمن « غرب الأسكندرية » أقيم فى فندقه المطل على البحر الأبيض .

وفى يوم – يروى عصام خليل – « كنت لم أزل فى غرفتى فى الصباح الباكر عندما دهمتها قوة من الشرطة » ... من ضباط مباحث ومديرية أمن الأسكندرية ... وأبلغونى أنه مطلوب القبض على وإنهم مضطرين إلى تنفيذ هذا واصطحابى معهم فى سيارتهم !

« فوجئت ... لقد حدث ما كانت ترده الهواجس لكنى لم أكن أتوقع ... أو ربما كنت استكثر على نفسى ... أنا عصام خليل أن يقبض على ! ... وأدخل السجن بعد كل ما فعلته لبلدى ؟! » .

« **قلت للضابط** : وهو كذلك - لكن بشرط واحد ... أن تسبقونى فى النزول من الفندق إلى سياراتكم وسوف الحق بكم وأركب سيارتى وأقودها بنفسى لأذهب إلى حيث تريدون وأنتم خلفى .. » .

قال الضابط : « الموقف حرج وصعب ... » قلت له : « أسمع ... هل تخشى أن أهرب ؟ أطمئن ... عصام خليل لايهرب مثل امرأة وإنما يواجه أى موقف بشجاعة . »

« حاول الضابط أن يتكلم لكن عيناى كانتا تتقدان بالشرر .. وتعبيرات وجهى حاسمة حازمة ... فلم يكن أمامه سوى الموافقة ... خرج ووراءه قوته ... نزلوا وركبوا سياراتهم ... و .. جهزت أنا ملابسى فى حقيبتى وودعت أسرتى ... وهبطت بكل ثبات ... ركبت سيارتى فتقدم منى الضابط يقول إننا سنتجه إلى مديرية الأمن فى الأسكندرية ثم عاد إلى سيارته لأنطلق أنا بسيارتى ... كان فى إمكانى أن أسبقهم وأهرب وأن أذهب إلى أى مكان ... لكنى لاأفعل ذلك ... لست جبانا .. لاأخشى شيئا .. إننى أحب بلدى .. مهما حدث .

« لكن ، على ما يبدو ، فقد سرقتنى أفكارى وظنونى وضغطت قدمى على البنزين فانطلقت السيارة بأقصى سرعة غير عابىء بشىء ... غير ملتفت إلى شىء ... لذلك فعندما وصلت إلى مديرية أمن الأسكندرية ووقفت أتلفت ورائى لم أشاهد القوة وبعد نحو ثلث ساعة جاءت سياراتهم وهبط الضابط مرتبكا يحمد الله أنى وصلت ثم أخذنى إلى ضابط أكبر ... لم يقل شيئا ... هذه أوامر القاهرة ومطلوب ترحيلى إليها ... إلى السجن ... فوراً .

« لم يكن أمامى - يقول عصام وهو يحكى لى - سوى الموافقة لكنى أيضا إشترطت أن أقود سيارتى بنفس النظام وأذهب إلى منزلى فى القاهرة أسلم على من فيه .... وآخذ بعض أشيائى .

ووافق الضابط الكبير وكان هو « اللواء ممدوح سالم مدير المباحث العامة فى الأسكندرية فى ذلك الوقت - عام ١٩٦٧ - « والذى أصبح فيما بعد رئيسا لوزراء مصر فى عهد الرئيس السادات ثم مساعدا لرئيس الجمهورية حتى وفاته » .

- **يصمت عصام خليل وهو يروى ..**
- **كانت روايته هذه لى فى عام ١٩٧١ ..**

- **كان جمال عبد الناصر** قد رحل فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وتولى الرئاسة أنور السادات الذى استطاع فى مايو ١٩٧١ القضاء على خصومه السياسيين المعروفين باسم جماعة على صبرى ، وبعد ذلك بشهور .. فى خريف ١٩٧١ ، عرض على الصديق الأستاذ أحمد نافع زميلى الكبير فى « الأهرام » ذات ليلة .. ونحن نغادر مكاتبنا بحثا عن مكان نقضى فيه بعض الوقت قبل العودة إلى منازلنا ... أن نزور صديقا له مريضا فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى ... فوافقت واتجهت معه إلى هناك ... وكانت هذه هى المرة الثانية التى أدخل فيها هذا المستشفى الكبير أما الأولى فقد كانت قبل عامين لأقضى فى غرفة مطلة على النيل بالطابق السادس شهرين **لاجراء جراحة فى العمود الفقرى أثر إصابتى وأنا مجند خلال عملية عبور فى حرب الاستنزاف** ويتصادف أن كان صديق صديقى وهو أحد « أعيان » بنى سويف من عائلة زعزوع مقيما فى نفس الطابق السادس .

جلسنا فى شرفة على النيل نتحدث ... وجاء شاب يساعد الحاج زعزوع بتقديم الفاكهة لنا ... وقال الحاج أن هذا الشاب « جندى » مكلف بحراسة السجين المريض عصام خليل وعلق أحمد نافع ... بأننى صديق لعصام ... وأسرع الحاج زعزوع مناديا « الجندى » لكى يخبر « اللواء عصام » عن وجودى ويدعوه للانضمام إلى جلستنا ... وذهب الجندى وعاد يدعوننى إلى صالون المستشفى المجاور لحجرة سيادة اللواء لأنه متعب قليلا ولايريد الخروج فى الهواء .

• ونهضت وحدى ...

ها هو .. تعلقت عيناى به ... إرتمى بين ذراعى ... أين عصام خليل الطاووس المنتفخ بشاربه الذى يقف عليه الصقر ووجهه الأحمر كجنرال إنجليزى أيام مجد الأمبراطورية .. من هذا الذى بين أحضانى منهكا ضعيفا ... متهدل الوجنات ! . جلس ... جلست ... جلسنا ... يروى لى كل شىء .. يرى صديقا « قديما » يعرف قيمته فيفضفض له ويخرج كل مافى صدره ... يتحدث طويلا وبأدق التفاصيل لأنه – ربما – لايجد أحداً يتحدث إليه .. وربما لأنه يحكى للتاريخ .

روى لى كيف قبضوا عليه ... كيف ذهبوا إليه فى سيدى عبد الرحمن ، وفى نفس الوقت ذهبوا إلى منزله فى كفر الشيخ يفتشون ويفتشون .. بل أكثر من ذلك نقبوا الجدران وهدموها خشية أن يكون قد أخفى بداخلها أسلحة ومتفجرات ... ولما لم يجدوا شيئا فعلوا نفس الشىء بمنزله بشارع بنى طى بسراى القبة – إحدى ضواحى القاهرة – وأكثر من ذلك ذهبوا إلى « شقة جديدة » كان يجرى تجهيزها استعدادا ، لزواج ابنته « سمية » التى كانت مخطوبة وقتها ... لقد اقتحموا الشقة ... خربوا الجدران .. عبثوا باللوحات ... وصارت سمية « **ليمونة ممصوصة** » بعد أن كانت « **وردة مفتحة** » ! .

إستمرت جلستنا أكثر من ساعتين ثم نهض عائدا إلى حجرته .. وقد بدا لى أكثر صحة وحيوية بعد ما أفرغ ما كتمه فى صدره ولم ألتق به بعد ذلك إلا عندما أفرج عنه وكان اللقاء فى منزله ... فى نفس الصالون الصغير الذى تعودت أن ألقاه فيه ... وتحدثنا أكثر من مرة ، فى أكثر من لقاء ، عن قصة العلماء الألمان وصناعة الطائرات والصواريخ وعرضت عليه أن يكتبها بنفسه .. فقال إن الكتابة ليست صياغته ، وعدت فعرضت عليه أن يروى وأكتب أنا ... فتردد ووافق ثم تردد وأمهلنى ... وفى يوم قال لى إن مبعوث إحدى المجلات العربية التى تصدر فى بيروت زاره وعرض عليه شيكا على بياض ليحدد المبلغ الذى يريده مقابل أن يدلى له بأحاديث ويكشف الأسرار ... فرفض برغم الالحاح المتكرر وقال لى إنه فكر فيما أعرضه – أى يروى وأكتب – فإننى – وهذه شهادة أعتز بها – أعرف الكثير ويرتاح لأسلوبى ويثق من طول المعاملة فى أمانتى .. »

وجهزت نفسى للعمل ... لكنه عاد وتردد .. التزاما بأنه « عسكرى لايريد إفشاء الأسرار برغم أنها أصبحت تقال بالتشويه والتحريف ... ولأنه لايريد أن يغضب أحدا . »

وهكذا ... إلى أن رحل عصام الدين محمود خليل .

* * *

رحل عصام خليل عن دنيانا فى ١٢ مارس ١٩٨٠ وماتت معه أسرار كبيرة وكثيرة عن مرحلة خصبة وهامة من التاريخ المصرى ، فهو لم يكتب مذكرات وكان بحكم طبيعة عمله « بالغ الأهمية والسرية » لايترك أوراقا تتسرب هنا أو هناك .. بل لم يكن يشرك أشخاصا عديدين فى معرفة المعلومات السرية الخاصة بكيفية التعاقد مع العلماء والخبراء الألمان وبأساليب شراء مستلزمات انتاج الطائرة والصاورخ من الخارج ... لقد أكد لى هذا المعنى بعض الذين عملوا معه فى هذا المجال ، وهو نفسه قال لى ذات مرة إنه كان فى بعض الأحيان يعيش على أعصابه ويتحمل ما لاطاقة لبشر عليه ! .

قال لى كمثال إن بعض المواد التى تدخل فى إنتاج الصاروخ تعد موادا استراتيجية لايمكن للجهة المنتجة لها فى دولة ما أن تبيعها إلا بموافقة هذه الدولة ، ولايمكن لهذه الدولة أن تبيع أو توافق على البيع إلا إذا كانت هناك علاقة خاصة وترتيبات معينة بينها وبين الدولة التى تطلب الشراء ، وبديهى إنه ليس بين مصر وبين هذه الدول (فى الغرب) هذه النوعية من العلاقة بل ولاتوجد هذه العلاقة مع الشرق ، فكل من الجانبين لايريد لمصر أن تكون دولة صانعة منتجة للسلاح المتطور ... ولهذا – يقول عصام – لم يكن أمامنا سوى **الاتفاقات السرية و السوق السوداء الخفية** وهذه لايمكن التعامل معها بتحويل مبالغ بواسطة البنوك وبكتابة محررات رسمية ... والا اكتشف الأمر وانفضح .. بل إنه عندما تشترى مادة ما من نوعية معينة وبكمية معينة ويعرف العدو فإنه يستطيع أن يستنتج أين أنت من التصنيع وإلى أى مدى وصلت إليه ؟ فضلا عن إن هذه السوق السرية محكومة بألف عين تراقبها وألف أذن تتصنت عليها وألف إصبع على ألف زناد على استعداد فورا لقتل أى مبعوث لمصر وأى بائع لها !

فى هذه الظروف ، وأكثر منها قسوة ، كنا – يستطرد عصام – نجرى اتفاقاتنا السرية ونوفد مبعوثا يحمل فى يده حقيبة بها آلاف الدولارات لكى يسلمها سرا ويتسلم البضاعة سرا .. ولك أن تتخيل – إذا أمكنك – مدى القلق والتوتر طوال الفترة منذ خروج شخص من مصر يحمل مبلغا كبيرا حتى تتم العملية بنجاح !

أسرار هامة راحت مع عصام خليل ، خاصة وإن عملية « **خر جهم** » من الخدمة كانت « **فجائية** » .. **وإن الذين استلموا مكتبه « عبثوا »** به .. وإنه مثل كل مدير مشروعات بهذه الخطورة ومثل رجال المخابرات المحنكين يحمل أسراره ومفاتيح المهام الصعبة فى « **رأسه** » فهو إلى جانب إدارته لمكتب المشير للمشروعات الحربية الخاصة كان يتولى رئاسة مكتب مخابرات الأبحاث العلمية والصناعية الفنية العسكرية .

ولقد كان رحيل عصام خليل بعد نحو ١٣ عاما أو أقل قليلا من « خروجه » من الخدمة .. قضى منها نحو ست سنوات معتقلا إذ قبط عليه عام ٦٧ ثم بعد ثبوت عدم وجود علاقة بينه وبين قضية المشير .. صدر قرار ٨ /١٢ /١٩٦٩ بتحديد اقامته إلى أن الغت محكمة أمن الدولة العليا هذا القرار فى ٨ يناير ١٩٧٣ .

وكانت هذه السنوات الست فترة عصيبة بالنسبة له ولأسرته وتسببت بمأساتها الدرامية فى تأثير سلبى كبير فى صحته (ونلاحظ إنه توفى دون أن يبلغ الستين » وما زاد من التأثير السيء إن كثيرا ممن كانوا يتمنون بعض الرضا منه لم يسمع صوتا لهم .. **لكن على الوجه الآخر كان هناك من عرفوا قدره سواء من المصريين أو الأجانب** ولعلى أشير إلى رسالة تلقتها **السيدة زوجته** من « **فرديناند براندنر** » كبير الخبراء فى مصنع الطائرات بتاريخ ٩ / ١١ / ١٩٦٧ – أى بعد القبض على عصام – وكان براندز لايزال يمارس عمله .. وفى رسالته أبدى أسفه للقبض على الزوج **وقال إنه يكفيه ما فعله لبلده** و« يسعدنى ابلاغك إن مشروع زوجك – وهو تطوير صناعة الطائرات المقاتلة فى مصر – يمضى بنجاح وإنه قد **أصبح مادة للتدريس فى هذا المجال** ، وقد زارنا – يقول كبير الخبراء – الوزير البشرى (الذى عين وزيرا للانتاج الحربى) وقد تحدث عن المشروع فى مجلس الوزراء طالبا الاستمرار فيه .. ومن هنا فإننى أشيد بدور زوجك وطاقته الخلاقة فى مجال صناعة الطائرات .. وهو دور قد أفاد بلاده بدرجة كبيرة .. »

كان براندنر فى واقع الأمر متحمسا جدا لمصر ولصناعة الطائرات التى يعشقها ولا أقول يعمل فيها .. وكان فى تلك الفترة ــ نوفمبر عام ١٩٦٧ ــ يرأس فريقا من الخبراء الألمان والنمساويين يتعاون مع العلماء والخبراء المصريين فى صناعة محرك الطائرة المقاتلة النفاث هـ ــ أ ــ ٣٠٠ » .

● فى مصانع الطائرات بحلوان خلال زيارة قام بها عبد الناصر والقادة مع وفد عربى جاء يشهد الانجاز العظيم ●

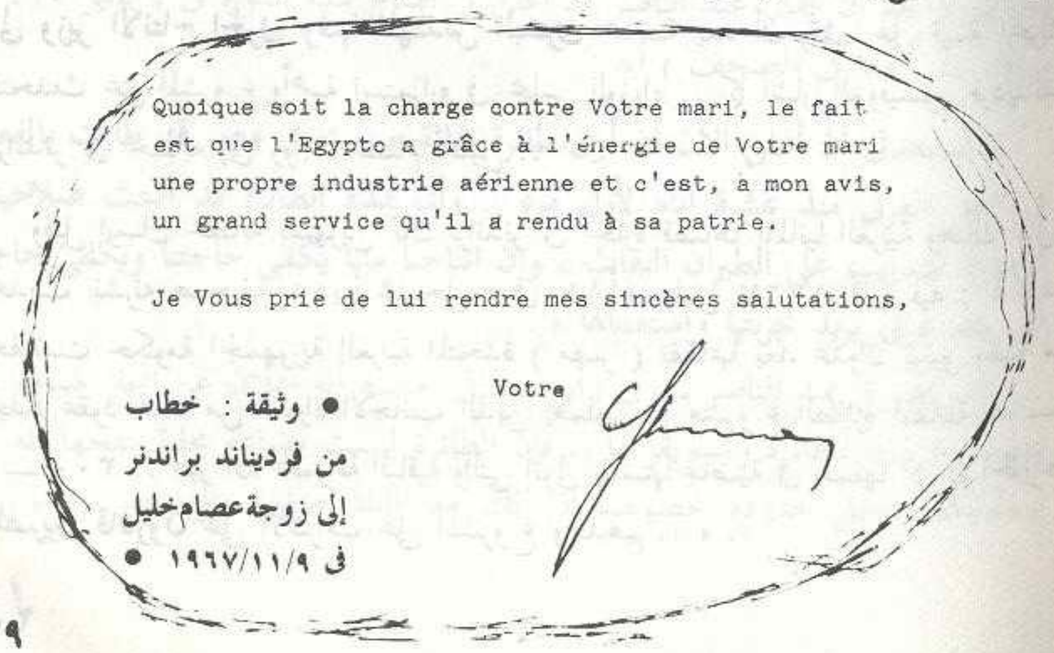

Quoique soit la charge contre Votre mari, le fait est que l'Egypte a grâce à l'énergie de Votre mari une propre industrie aérienne et c'est, a mon avis, un grand service qu'il a rendu à sa patrie.

Je Vous prie de lui rendre mes sincères salutations,

Votre

● وثيقة : خطاب من فرديناند براندنر إلى زوجة عصام خليل فى ١٩٦٧/١١/٩ ●

النفاثة هـ ــ ٢٠٠ وهـ ــ أ ــ ٣٠٠

لم يكن محرك الطائرة النفاثة المصرى وهما ولم يكن قطعة ورق تحلق فى الفضاء وتخلع عليها الدعاية صفات البطولة وانما العكس هو الصحيح ، فرغم كل ماقيل فإن هذا المحرك لم يأخذ حقه فى وطنه وأمته (**وإلا فأين ذكره الآن وتحت أى أسماء أصبح ؟ وأين الكوادر الفنية الماهرة من خبراء ومهندسين وعمال مصريين أصبحوا بما اكتسبوه ثروات بشرية غالية ونادرة**) .. فإن عوامل كثيرة تضافرت لكى تحاول طمس هذا المحرك وفى الظن أن هذا يطمس أشخاصاً بينما هو فى الحقيقة يطمس تاريخاً مصرياً وإبداعاً مصريا ومقدرة مصرية لاتفخر به مصر وحدها وإنما أمتها العربية ودول العالم الثالث ، **لكن الدوائر العلمية فى الخارج** أعطت هذا المحرك حقه ، ولذلك فإن القوى الخارجية ــ التى أدركت قيمة المحرك ومعنى أن تصل مصر إلى انتاج طائرة نفاثة فعلت المستحيل لكى توقفه ، وكان من بين مافعلته **حملة التشكيك** التى قادتها أبواق وأجهزة اعلام معينة وتلقفتها هنا فى مصر وفى الأمة العربية دوائر معينة فأخذت ترددها وازدادت الحملة عقب حرب ١٩٦٧ العدوانية ، لكن العاملين فى المشروع برغم تقلص النفقات المادية بسبب ظروف الحرب وبرغم المناخ الذى أشاعته الهزيمة العسكرية **وبرغم اعتقال عصام خليل** المسئول عن المشروع والذى كان أبا روحياً له يشيع بين أفراده روح الأسرة ويحل مشاكلهم العامة والخاصة .. فإن كل العاملين ضاعفوا من عطائهم وأبدوا استعدادهم لخفض مرتباتهم اذا استدعت الحاجة .. **الأمر الذى نقل عدوى الحماس إلى وزير الانتاج الحربى وقتها المهندس البشرى** خاصة بعد أن وقف على قيمة المحرك فتحدث عن المشروع وأهمية استمراره فى مجلس الوزراء .. كما أشار البروفيسور فرديناند براندنر فى خطابه إلى زوجة عصام خليل ..

وقبل ارسال خطابه بشهرين كان براندنر فى أجازة قضاها بألمانيا الغربية وهناك أدلى بحديث نشرته صحيفة « دير شبيجل » فى ١١ أغسطس ١٩٦٧ قال فيه : « لقد خفضت حكومة الجمهورية العربية المتحدة (مصر) نفقاتها بعد عدوان يونيو ولهذا لم تجدد عقود عدد من الخبراء الأجانب الذين يعملون فى مشروع الطائرة المقاتلة هـ ــ أ ــ ٣٠٠ .. غير أن المجموعة الباقية والتى أتولى رئاستها ماضية فى عملها كما أن **الخبراء المصريين قادرون** على الاشراف على المشروع وحدهم .. » .

وقال براندنر : « ان الطائرة كان مفروضا أن تكون جاهزة تماماً للعمل بعد تطوير المحرك ، منذ ثلاثة أشهر ولكن ظروف العدوان أدت إلى التأخير ووفقا للخطة فإنها ستطير بنجاح فى فبراير القادم .. اننى وكل الخبراء العالميين نعتبر أن هذه الطائرة المقاتلة أخف وأرخص وأبسط أنواع المقاتلات فى العالم وثمنها نحو ثلاثة ملايين مارك ألمانى ..

وسئل براندنر عن تدخل السوفييت ووجود خبراء روس فى المشروع فقال : اننى لا أعرف من أين جئتم بهذه المعلومات التى تتردد .. أننى أعمل فى المشروع المصرى منذ ثمانية أعوام وخلالها لم أشاهد روسيا واحدا فى المصنع أو فى أى مكان يتصل بالمشروع ولم اسمع بهذا اطلاقاً » وأضاف أن مصر تعرضت لفترة صعبة ولكن « الشعب المصرى قد استيقظ بعد هذه الهزيمة المخجلة وقد تيقن الشعب من أنه يجب أن يعتمد على نفسه وليس على المساعدة الأجنبية » . وقال رئيس فريق الخبراء . « اننى متفائل بتقدم الصناعات الحربية فى مصر وتطورها .. والمصريون أيضا متفائلون بالمستقبل الاقتصادى لبلادهم خاصة بعد اكتشاف كميات كبيرة من اليورانيوم فى منطقة منخفض القطارة بالصحراء الغربية .

هكذا كانت الاشادة بالمحرك المصرى أى بالطائرة المقاتلة المصرية النفاثة هـ ــ أ ــ ٣٠٠ التى وصلت إلى هذا المستوى بعد ملحمة من العمل الجاد بدأت عام ١٩٥٧ ووصلت عام ١٩٦٠ إلى صنع المحرك النفاث هـ ــ ٢٠٠ (الذى تطور فيما بعد) والذى يعود إلى محاضر الدورة الأولى لإنعقاد المؤتمر العام للاتحاد القومى على مستوى الجمهورية يجد أن جمال عبد الناصر قد أعلن فى افتتاح هذه الدورة فى ٩ يوليو ١٩٦٠ (وقد نشر هذا فى الصحف) أنه :

« **ليسعدنى أن أعلن الآن أن أول طائرة نفاثة صنعت فى مصر قد طارت بالفعل فى الجو العربى منذ عشرة أيام لأول مرة .. وأن هذه الطائرة قد أثبتت صلاحيتها الممتازة للتدريب على الطيران النفاث ، وان انتاجنا منها يكفى حاجتنا ويكفى حاجة أى بلد عربى يريد تجربتها واستعمالها** » .

كان تصريح عبد الناصر ــ فى رأيى ــ إلى جانب أنه اعلان عن انجاز ضخم .. يتضمن ترويجاً للطائرة وتسويقا لها .. فإن الطائرة ليست بضاعة محلية ينتجها بلد ما ليستهلكها داخل حدوده خصوصاً إذا كان هذا البلد صغيراً مثل مصر له موارده

المحدودة ، وإنما هى صناعة معقدة دقيقة تضم عشرات الصناعات المغذية والمتصلة بها فضلا عن الخامات اللازمة وقبل هذا « خبرة علمية تكنولوجية » متقدمة .. وهى بذلك تحتاج إلى استثمار ضخم .. مما يدفع أصحاب هذه الصناعة إلى فتح سوق ضخمة سواء عن طريق الحكومات وبالقنوات الشرعية أو سرية عن طريق تجار السلاح ، بل أن اصحاب هذه الصناعة فى الدول الرأسمالية (**الولايات المتحدة كمثال**) يؤثرون فى صناعة القرار السياسى ويغذون الصراعات الاقليمية لفتح جبهات قتال وحروب تستهلك انتاجهم .. وفى حالة مثل الدول الاشتراكية (**الاتحاد السوفيتى**) فإن الدولة كبيرة بمساحاتها وعدد سكانها ومواردها وقواتها المسلحة فضلا ــ وهذا مهم جدا ــ عن ارتباطاتها بالكتلة الشرقية وتسويق السلاح لها .. ثم ان الاتحاد السوفيتى دولة مصدرة للعتاد الحربى ، وعندما وصلت إلى حد الضرورة ، فتحت أسواقاً جديدة لدول العالم الثالث ..

أما فى حالة مثل مصر فإن الموقف مختلف تماما ، فهى دولة صغيرة نامية ثم إن لها ارتباطاتها المبدئية التى تمنعها من التعاون مع قوى استعمارية أو تتاجر فى السوق السوداء .. وكذلك فإن القوى الكبرى المصدرة للسلاح ترفض قرضها لهذا النوع من الانتاج !

من هنا فإن **اعلان عبد الناصر** عن نجاح انتاج الطائرة هـ ــ ٢٠٠ كان القصد منه ــ مع ابراز الانجاز العظيم ــ دعوة العرب ودول العالم الثالث للتعاقد على شراء الطائرة بما يوفر لها استثمارات ضخمة تتيح استمرار الانتاج وتطويره إلى الأفضل .. ولعلنا بقراءة واعية لتصريح عبد الناصر نجد أنه يؤكد على عروبة الطائرة يقول أنها قد طارت فى « الجو العربى » ويشير إلى الرغبة فى التسويق بقوله إن « انتاجنا منها يكفى حاجتنا ويكفى حاجة أى بلد عربى » .

لكن اشكالية العرب والعالم الثالث عموماً كانت مركبة بمشاكلها المتداخلة وأبسط مشكلة فيها أن معظم الدول كانت خاضعة فى ذلك الوقت للنفوذ الأجنبى إن لم يكن بشكل الاستعمار التقليدى بقواعد عسكرية (مثل الأقطار العربية فى شمال افريقيا ومنطقة الخليج ومعظم أسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية) **فبالاستعمار الجديد** الذى يفرض سطوته بهيمنته السياسية والاقتصادية والثقافية ومستشاريه .. ثم لا ننسى أن البترول العربى لم يكن له قدره فى ذلك الوقت ولم تكن للعرب سيطرة عليه .

واحد فقط هو الذى كان مستعداً للتعاون .. وفى الحقيقة فإن عديدين فرحوا بالانجاز المصرى العربى وأبدوا رغبة فى التعاون بالشراء لكن إما ان ارادتهم كانت مشلولة أو أمكاناتهم لم تكن موجودة سواء المالية أو العلمية .. أما هو الباندیت جواهر لال نهرو فقد كان مستعدا لأقصى مدى ومتحمساً إلى نهاية الطريق مع أنه تعرض لضغوط خارجية تحذره من التعاون مع ناصر فى هذا الطريق .. وضغوط داخلية وقفت ضده !

لكن نهرو كان بثقافته الرفيعة ورؤيته النفاذة مصمما لادراكه أن العالم الثالث ينبغى أن يتخطى حاجز التخلف الذى فرضه عليه الاستعمار وأنه لاطريق لذلك إلا بالعلم وكسر طوق التبعية .. ولقد وجد الزعيم القادم من أسيا فى جمال عبد الناصر مثالا لعنفوان وفتوة العالم الثالث الجديد وجذبه فى شخصيته أنه يسبق كثيراً سنوات عمره والفكرة التقليدية المأخوذة عنه باعتباره مجرد ضابط جيش شاب كان قد تجاوز السادسة والثلاثين من عمره بشهور قليلة عندما التقى به نهرو لأول مرة عام ١٩٥٤ .. وفى العام نفسه وهو ايضا مازاد من اعجاب نهرو بناصر أن وجده يعرض عليه أن يتعاون البلدان فى مجالات استخدام الطاقة الشمسية والعلم من أجل ترقية الحياة باعتبار أن العلم هو مفتاح المستقبل .

هكذا أبدى نهرو استعداده بحماس ..

وفى نفس الوقت مضت مصر ، فى ظروف شاقة وقاسية ، تجرى تعديلات لتطوير المحرك « هـ ــ ٢٠٠ » الذى نجح فى تركيبه على جسم ليصبح طائرة تدريب صالحة ــ كما أعلن عبد الناصر ، ولكى يصبح محركا نفاثا لطائرة مقاتلة ..

كانت عملية الصناعة ــ وحتى لاننسى فقد كان ذلك فى الستينات ــ عملية مضنية ، فإن دولا محددة لايزيد عددها عن أصابع اليد الواحدة هى التى كانت تنتج الطائرات فى ذلك الوقت .. وكانت المسئولية المصرية تستهدف :

١ ــ **انتقاء العلماء** والفنيين المصريين القادرين وحشدهم للعمل فى المشروع .

٢ ــ **توفير الاستثمارات المالية** اللازمة وهى مرهقة لكن دون أن نؤثر سلبا فى المتطلبات الضرورية للشعب ..

٣ ــ **توفير مستلزمات الانتاج** سواء المحلية أو الأجنبية وهى من ٥٠٠ معدن تلزم لصناعة المحرك .

٤ ــ **الاستعانة بالخبرة الأجنبية** السابق تعاملها فى تصنيع الطائرات لتدريب المصريين والاشراف مرحليا على المشروع .

***

ولم يكن ذلك ــ كما قلنا ــ بالعمل السهل ومن هنا فإنه كان يتطلب أسلوبا دقيقا علميا .. **ونوعاً راقيا خطيراً من أعمال المخابرات وهو المخابرات العلمية** التى تستهدف فى شق منها الحفاظ على الأسرار العلمية المحلية وعدم تسربها .. ومحاولة الوقوف على الأسرار المتماثلة والمتقدمة فى الدول الأخرى ومعرفة العاملين فى هذه المجالات والوصول إلى كيفية الحصول على مستلزمات الانتاج التى تعد « سرية واستراتيجية » .

وبعد ملحمة حقيقية من الابداع المصرى ــ المعتمد على نفسه ــ أمكن تطوير المحرك « هـ ــ ٢٠٠ » ليصبح نفاثا مقاتلا ــ وليس مجرد طائرة تدريب وأعلن هذا رسمياً فى القاهرة فى ٧ مارس ١٩٦٤ .

وفى هذا التاريخ أصبح لدى مصر طائرة مقاتلة جديدة بالمحرك المصرى « هـ ــ ٢٠٠ » الذى صنع بأيد مصرية خالصة ، وبدأت الدوائر السياسية والعسكرية فى العالم تهتم بهذا الاعلان باعتباره حدثا فذا يعبر عن تطور مذهل لدولة نامية ، وأدركت القوى المعادية أن هذه « القوة الجديدة » سوف تضعها القاهرة فى خدمة أصدقائها وفى مقدمتهم دول العالم الثالث الذى يشكل مجموعة عدم الانحياز : العربى ــ الأفريقى ــ الأسيوى ــ والأمريكى اللاتينى .. ومن هنا فلقد تربصت هذه القوى للانجاز الجديد .

لكن نهرو كان مصمماً وازداد تصميمه بعد تطوير المحرك المصرى وفى ٢٣ مارس ١٩٦٤ ــ بعد أسبوعين فقط من اعلان انتاج المحرك المقاتل « هـ ــ ٢٠٠ » وقف مستر شافان وزير الدفاع الهندى وقتها فى البرلمان يقدم إلى ممثلى شعب الهند ميزانية وزارته ويعلن أن جزءاً منها مخصص للتعاون مع الجمهورية العربية المتحدة (مصر) فى انتاج الطائرات المقاتلة .

كانت مصر قد وقعت مع الهند اتفاقا للتعاون يقضى بأن تتولى مصر انتاج المحرك النفاث المقاتل .. بينما تتولى الهند صناعة جسم الطائرة الملائم لهذا المحرك .. وتنفيذا للاتفاق ولبحث التفاصيل سافر وفد مصرى إلى الهند يرأسه عصام خليل ويضم عدداً من العلماء والمسئولين عن صناعة الطائرات ، والتقى الوفد بالمسئولين الهنود ثم فوجىء بأن نهرو شخصياً يرغب فى مقابلته .

وفى اللقاء الذى استمر نحو أربع ساعات أبدى نهرو سعادته بما وصلت إليه مصر تحت قيادة الصديق ناصر .. وأنه قد حرص على أن يلتقى بنفسه مع الوفد ليسمع أكثر مما يتكلم فهو يريد أن يستوعب تجربة هذا الانجاز العظيم .

وقال له عصام ــ وشاركه معه العلماء المصريون فى المناقشة ــ أن هذا المحرك المصرى يفوق المحرك المعروف عالمياً بإسم « د ــ ٢٠٠ » وأنه مع استمرار تطويره سيصبح مقاتلا يفوق غيره من المقاتلات العالمية فنحن لم نبدأ من البداية وإنما من حيث انتهى الآخرون .. ومن المهم أن يستمر التعاون مع الهند فإن هذا يحقق دفعا للعمل المصرى وللانتاج الهندى الذى يتولى صنع جسم الطائرة فإنه على هذا الجسم تتوقف كفاءة الطائرة .

ونظر نهرو إلى الوفد المصرى وإلى مساعديه من المسئولين فى حكومته وقال أن هذا الانتاج يعنى بدء حقبة جديدة لبلادنا التى أرادوها مستضعفة . إننا وبكل الجهد وراء هذا المشروع والتعاون بيننا ــ وفى الحقيقة فإننى أتفق مع رأى صديقنا ناصر الذى سمعته منه فى لقاءاتنا المستمر وهو ــ إنه إذا كان انتاج السلاح مهما .. فالمهم إننا نكسر احتكار العلم كما كسر احتكار السلاح ..

ولم ينس نهرو فى نهاية الحديث أن يسأل : ألم تتقدم دولة ما لشراء المحرك .

ورد عصام بأن بعض الدول عرضت شراء المحرك لتركيبه على أجسام طائرات تنتجها لكن مصر رفضت على أساس التعاون مع الهند وحدها لانتاج الطائرة كاملة .. « اما إذا كنتم تقصدون طلب شراء الطائرة فإن بعض الأصدقاء فى افريقيا أبدوا رغبتهم وان كانوا قد طلبوا البيع بالأجل الطويل ! وانتم تعلمون أن الرئيس جمال عبد الناصر ــ قد وضع شرطا للبيع وهو الا يكون إلا للأصدقاء وان نمتنع نهائياً عن البيع

لقوى استعمارية ــ مهما كان الثمن ــ حتى لايكون السلاح المصرى مستخدما ضد الشعوب .. وانما لصالحها ولحماية الحقوق والحريات .

وهز نهرو رأسه مصدقا وموافقا .. وكانت آخر كلماته « إننى رغم كل مشاغلى أتابع التعاون بيننا بكل تفاصيله .. وكل أملى ان ننتقل من نجاح إلى نجاح .. ورأيى الذى أقوله لزملائى ــ ونظر إلى مساعديه ــ أن يعطوا المشروع كل الأولوية وأظن ان الاتصالات بيننا لن تتوقف » .

وبالفعل استمر التعاون بين مصر والهند ..

وكانت مصانع هندوستان تعمل فى انتاج جسم الطائرة .. بينما مصانع حلوان تنتج المحرك .

وكانت ــ ايضا ــ الضغوط الخارجية على كل من الطرفين ..

لقد طلبت بريطانيا من مصر شراء المحرك ومعه حق استغلاله .. لكن مصر رفضت .. وعرضت بريطانيا على الهند أن تتخلى عن المحرك المصرى وأن تأخذ المحرك الانجليزى « رولزرويس » لتركيبه فى جسم الطائرة « هـ ــ ف ــ ٢٤ » الذى تصنعه هندوستان .. لكن الهند رفضت !

وكان الرفض الهندى مؤسسا على موقف مبدئى وعلى رؤية مستقبلية .. فإن بريطانيا لاتريد سوى قتل المشروع المصرى ومعه تقتل طموح العالم الثالث وحقه فى الاستقلال الحقيقى .. أضف إلى ذلك أن جسم الطائرة المحدود الذى كانت هندوستان تصنعه من قبل كان يعمل بالمحرك الإنجليزى « **الأورفيس** » **وهو يتراجع عند مقارنته بالمحرك المصرى الذى تصل سرعته إلى أكثر من الضعف أى : تفوق سرعة الصوت مرتين ونصف مرة كما أن الطائرة الجديدة ــ بالمحرك المصرى والجسم الهندى ــ تصبح أكبر قوة وأكثر سرعة من الميراج الفرنسية .**

***

استمر التعاون المصرى الهندى غير أن حدثا كبيرا وقع هو **وفاة نهرو** فى ٢٧ مايو ١٩٦٤ .. وفقد التعاون دعامة كبرى ، واستغل الفرصة الذين يريدون فشل المشروع لكنه مضى وجاء **مستر سارين** وزير الدولة الهندى لتوقيع اتفاق تعاون تفصيلى .

الفريق أول محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوى وقتها .. ثم وصلت بعثة عسكرية هندية إلى القاهرة زارت مصانع الطائرات فى حلوان والتقت بالمسئولين عن المشروع وشهدت عمليات تطوير المحرك .

وكانت ثمرة التعاون نجاح التجربة وطارت المقاتلة النفاثة بالمحرك المصرى والجسم الهندى .. وشهد التجربة مسئولون من مصر والهند والمسئولون عن المشروع .. وكانت قد حدثت تعديلات لتطوير المحرك وحملت الطائرة اسم : « هـ ــ أ ــ ٣٠٠ » وصنفت بإعتبارها أحدث طائرة مقاتلة نفاثة فى العالم . ودخلت مصانع حلوان ضمن مصانع الطائرات العالمية .

***

فى تلك الفترة زرت المصانع وعدت لأكتب فى أوراق بعض ماسمعت ومارأيت : « قال لى أحد المسئولين عن صناعة الطائرات أن المعنى الحقيقى لصناعة هذا المحرك هو أننا قد أصبحنا على مستوى عال من الخبرة التى وعت المعرفة ، ومن المهارة التى استطاعت أن تترجم هذه الخبرة إلى عمل ناجح » .

« ان صناعة « المحرك النفاث » هى أدق وأرفع صناعة على المستوى العالمى ... ومعنى هذا أن طاقم الفنيين من مهندسين وعمال الذين « شربوا الصنعة » وفهموها فى مصانع حلوان يستطيعون الآن أن يضعوا خبراتهم فى خدمة بلدهم فى أى مجال تقنى متقدم .

« ولقد بدأ هذا بالفعل ــ يستطرد المسئول ــ فإن مصانع وشركات كثيرة تلجأ الآن (منتصف الستينات) إلى مصانع الطائرات فى حلوان لتصنع لها قطع غيار لآلاتها » بل ولتصنع لها آلات كاملة تستخدم فى عملها بدلا من أن تستوردها من الخارج مكبدة الدولة عملة صعبة .

وفى المصانع زرت مركز تدريب انشىء بداخله يضم مجموعة كبيرة من الطلبة الذين تدور أعمارهم حول الخامسة عشرة ، وبعد فترة التدريب يصبح كل منهم « مساعد عامل » فى الفرع الذى تخصص فيه ، ثم بعد فترة من الخبرة العملية يدخل امتحانا آخر ليصبح ــ إذا نجح ــ عاملا .. وهكذا يتدرج من عامل .. إلى عامل

فنى .. إلى عامل فنى ممتاز ، فإن تقييم الفنيين سواء كانوا عمالا أو مهندسين يخضع لحساب علمى دقيق .

وشاهدت عملية صنع المحرك النفاث وهو معقد تمام التعقيد ويدخل فى تركيبه نحو ٥٠٠ معدن تشكل مئات الأجزاء الصغيرة الدقيقة .»

★★★

كان الطموح كبيراً .. ولم تكن هناك حدود لتطوير المحرك ..

أيضا كانت الضغوط شديدة فى وجه التقدم المصرى ، والتعاون المصرى الهندى .. وفى وقت ما برز سؤال : ماذا لو نجحت الضغوط فى فك التعاون بين الهند ومصر ؟ » وجاءت الاجابة على الفور أنه يتحتم أن تصنع مصر جسم الطائرة بنفسها .. بل ولقد بدأت فعلاً الدراسات والتجهيزات لتنفيذ بناء الجسم فى مصانع حلوان .. لكن الضغوط على مصر كانت أكبر من ان تحتمل فى مثل الظروف التى تمت فيها .

• **كانت نصيحة الأصدقاء السوفييت** أنه لاداعى لتبديد الجهد والنفقات فى تصنيع سلاح .. فنحن نقدمه كله جاهزا . وقد قيلت هذه النصيحة أكثر من مرة وبأشكال متعددة كانت آخرها للسيد شمس بدران الذى كان وزيرا للحربية خلال زيارته الشهيرة للاتحاد السوفيتى قبل عدوان ١٩٦٧ ..

• **وكانت تحذيرات الولايات المتحدة الأمريكية** صريحة بأن تعدل مصر عن هذه الصناعة وإلا وجدت واشنطن نفسها تزيد من مساعداتها لإسرائيل ودعمها فى الصناعة الحربية وفى صنع القنبلة الذرية ! ومن التحذيرات الأمريكية ما حمله سفير الولايات المتحدة فى ذلك الوقت جون بادو ، ومنها ما حمله مبعوث أمريكى خاص هو جون ماكلوى الذى وصل للقاهرة فى ٢٦ يونيو ١٩٦٣ والتقى بجمال عبد الناصر ليبلغه :

١ ــ ان الولايات المتحدة تطلب من مصر ايقاف برنامجها لانتاج الصواريخ .

٢ ــ طلب « ماكلوى » ان تقوم الجمهورية العربية المتحدة بالاستغناء عن خدمات عالم الصواريخ الالمانى الشهير الدكتور « وولفجانج بيلز » باعتباره نازيا سابقا .

كذلك طلب « ماكلوى » ان تستغنى الجمهورية العربية المتحدة عن خدمات الخبراء الالمان الذين يعملون مع « بيلز » . [ورد « جمال عبد الناصر » بأن العالم كله بما فيه الولايات المتحدة والأتحاد السوفيتى يستخدمان الخبراء الألمان فى الصواريخ . وانه لم يسمع ان صوتا فى الولايات المتحدة ارتفع مطالبا باخراج الدكتور « فون براون » المشرف على مشروع الصواريخ الأمريكى بدعوى أنه نازى سابق فى حين انه كان كذلك ، واكثر من الدكتور« بيلز » فى حماسته لألمانيا الهتلرية . وأضاف قائلا ان صناعة الصواريخ فى رأيه لاتعنى انتاج الصواريخ كمجرد سلاح عسكرى ، وانما هو يراها كما يرى صناعة الطائرات ــ محاولة عربية للتعرف على تكنولوجيا العلم الحديث . وان مدرسة الخبراء المصريين المحيطين بالدكتور « بيلز » والذين يتعلمون منه ومن زملائه هى فى رأيه اهم من مصنع الصواريخ .] (١)

• **وكانت اسرائيل** ومعها الحركة الصهيونية العالمية تثير الشكوك وتضغط على الخبراء وتطاردهم بالقتل والتهديد ورسائل الموت .. وكان أقل مافعلته هو أن تثير حملة عالمية بأن مصر تتعاون مع العلماء الألمان النازيين وانها تتجه اتجاها نازيا ، ووصلت الحملة إلى حد أنها أصبحت محور اسئلة توجه إلى مصر ، وفى مؤتمر صحفى لعبد الناصر فى أول أكتوبر ١٩٦٣ سئل عن هذا فقال : « أنا مش فاهم يعنى إيه العلماء النازيين ؟ همه كل الألمان نازيين ؟ كل العلماء قبل الحرب كانوا بيشتغلوا فى المانيا والآن يعمل معظمهم فى الدول الكبرى فهل هؤلاء أيضا نازيون ؟ أم أن من يعمل معنا فقط هو النازى ؟ ان تعبير كلمة نازية أصبحت للدس . وأنا شفت العلماء الموجودين هنا وهم علماء لايوجد عندهم تعصب ، وهم متمسكون بصفتهم كعلماء فقط ولايتحدثون فى أى شيء إلا عملهم .. إن كلمة النازية استعملت فى الدعاية الاسرائيلية واستحوذت على عقول الكثيرين وليس من المعقول أن نستخدمها ضد أى المانى ...»

• **ثم لاننسى إن مصر** فى هذه الفترة تعرضت لحصار اقتصادى من الولايات المتحدة التى منعت القمح **لتجويع الشعب حتى يركع عبد الناصر ويتخلى عن سياساته التحررية والتصنيع وصناعة الطائرات والصواريخ** .

• **وظروف أخرى** أدت إلى انكماش الاستثمارات .. ثم جاء عدوان يونيو ١٩٦٧ بنتائجه وماترتب عليه ومن ذلك اعتقال عصام خليل .

(١) محمد حسنين هيكل ــ سنوات الغليان ــ الأهرام ١٧ /١٢ /١٩٨٨ .

لكن صناعة الطائرات مضت رغم هذا ــ وان كانت ببطء ــ كما أشار البروفيسور فرديناند براندنر سواء فى حديثه إلى صحيفة « دير شبيجل » أو فى خطابه إلى زوجة عصام خليل .. على أنه كان أكثر تفاؤلاً .

لقد تضافرت عوامل لتجميد الصناعة ، وجاءت عروض من الخارج لشراء المحرك النفاث المصرى وحق انتاجه .. لكن لم توافق مصر ..

واستمرت المحاولات الأجنبية التى تعرف وبحق القيمة العلمية والفنية للمحرك المصرى .. والتى تعرف أيضاً ان المشروع قد تجمد ، خاصة بعد رحيل جمال عبد الناصر ، وان الخبرة المصرية ، أعنى الخبراء من المهندسين والفنيين قد خرج معظمهم إما أحيل للمعاش فبقى فى داره مع الذكريات .. أو نقل لعمل آخر . أو تخاطفته جهات للعمل بها خارج مصر .

★★★

وفى عام ١٩٧٥ وبعد خروج عصام من الاعتقال والغاء تحديد الاقامة .. وصله خطاب مؤرخ فى ٢٤ / ٣ / ١٩٧٥ ، من مصمم الطائرات الشهير « **ويلى ميسر شميت** » قال فيه :

« اللواء عصام الدين محمود خليل ..

« منذ فترة طويلة لم أسعد بلقائك ولم أطمئن على صحتك التى أرجو أن تكون فى أحسن حال .

« **إننى أود أن أسألك** رأيك فى موضوع هام ، فلاشك إنك تعرف الكثير عن « **المتحف الألمانى** » فى ميونيخ الذى تأسس منذ مائة عام ، وقد كنت أنا شخصيا عضوا بمجلس ادارته لسنوات طويلة ، وكان المتحف دائما ولايزال رائدا للمتاحف الأوربية فى عرض مجالات التكنولوجيا المتقدمة **ومتخصصا فى عرض أحدث أنواع الطائرات والمحركات** النفاثة المقاتلة وقد عرضت فيه تصميماتى ومصنعى ، والآن والمتحف على وشك الاحتفال **بعيده المئوى** فإن التفكير قد استقر على عرض أحدث الانتاج فيه وفى المقدمة المحرك النفاث المصرى هـ – أ – ٣٠٠ .. ولذلك فإننى

● المقدم طيار سيد نديم أحد معاونى عصام (الذى يضع ساقا على ساق) ومحمود مراد يتحدث ، والصوة فى أحد مقار مكتب المشروعات الحربية الخاصة والتقطها المرحوم مقدم طيار سمير على ١٩٦٤ ●

I wonder, whether the Government of the UAR would be willing to let the "Deutsche Museum", Munich, have one of the prototypes HA 300 ? Such gift would be highly welcomed by the competent authorities and the Board of the Museum, as HA 300 is considered by the German experts as one of the best performances of modern fighter construction still competitive with the very advanced types existing in the world.

I would very much appreciate your opinion upon that subject.

Of course, I would be very happy to discuss it with oyou, so please let me know, if and when you plan a trip to Europe.

Dr. von Srbik joins me in my best wishes. Hoping to meet you soon,

Sincerely Yours

Willy Messerschmitt

● وثيقة : خطاب من ميسرشميت إلى عصام خليـــــل فى ١٩٧٥/ ٣/ ٢٤ ●

اتساءل عما إذا كانت الحكومة المصرية توافق على عرض نماذج من هذا المحرك وإذا حدث هذا فإنه سيكون من دواعى سعادتى وسعادة المتحف .

« **إن المتحف الألمانى فى ميونيخ** بمجلس ادارته وخبرائه قد درسوا **خصائص المحرك** المصرى **وإعتبروه واحدا من أحسن المحركات الحديثة المتقدمة فى العالم** والأكثر قدرة على منافسة المحركات الأخرى .

« إننى أود معرفة رأيكم فى هذا العرض .. وسأكون فى غاية السعادة لو وافقت حكومتكم وأرجو أن تبلغونى على وجه السرعة ..

» وآمل أن نلتقى فى أقرب وقت .

« ويشاركنى **د . فون سيربك** فى إهدائكم أفضل الأمنيات والتحيات .. وإلى لقاء قريب » .

* * *

كان هذا الخطاب مبعث رضا عند عصام خليل ، برغم ما حدث يلمس تقديرا عالميا لثمرة من ثمرات عمله .. وكما أبلغنى فيما بعد ، فإنه بعث بصورة من رسالة « ويلى ميسر شميت » إلى المسئولين غير إنه لم يتلق ردا ! وكان هذا بشكل مقابل ورغم إنه كان متوقعا ، مصدر ألم كبير له .. وإننى أتذكر كلماته الممزوجة بالمرارة : « **إن هذا حرام** .. إذا كانوا يريدون محو إسم عصام خليل فليمحوه لكن فلتبقى صناعة الطائرات وصناعة الصواريخ .. إنها جزء من – إن لم تكن تقود – حركة التقدم العلمى للبلد ، فضلا عن إنها أساس بناء جيش قوى . »

الهـدف والملحمـة

إن بناء جيش وطنى قوى كان الهدف الخامس من المبادىء الستة **التى أعلنتها ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ لحظة قيامها** .. ولقد بات معروفا إن الثورة حاولت ذلك بشتى الطرق وبالإتصال بمصادر توريد السلاح التقليدية لمصر وأرسلت بعثة على مستوى خاص برئاسة **على صبرى** إلى الولايات المتحدة الأمريكية **وقضت هناك** أسابيع دون جدوى .

كانت مصر الثورة تريد سلاحا متطورا لتقوية الجيش حماية لأمن مصر ودفاعا عن أرضها .. ولكنهم – فى الغرب – كانوا يعرضون فقط أسلحة تصلح للشرطة والأمن الداخلى .. وظل الحال هكذا إلى أن حدث التحول الهام سنة ١٩٥٥ بكسر احتكار السلاح والاتفاق المصرى السوفييتى الذى أدى إلى صفقة الأسلحة التشيكية المشهورة ..

وخلال المعاناة – قبل كسر الاحتكار – وجهت الثورة اهتماماتها إلى الصناعات الحربية وفى **١٧ أكتوبر ١٩٥٤** خرجت أول قطعة ذخيرة من الإنتاج الحربى المصرى .. وازداد الاهتمام بصنع طلقات الرصاص والذخيرة والمسدسات والمدافع الرشاشة ..

وجاء العدوان الثلاثى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بأهدافه السياسية والعدوانية العديدة .. وكان من بين ما يستهدفه – بطبيعة الحال – إجهاض الأسلحة الشرقية قبل إتمام التدريب عليها واستيعابها .. وضرب الانتاج الوطنى – وبينه الحربى – عندما تضرب مصر الثورة وتعود بحكومة يمينية تابعة للغرب !

ونتيجة لهذا العدوان الذى عرف بإسم « **حرب السويس** » والذى غير موازين كثيرة فى العالم .. كان لمصر ان تعيد ترتيب أوراقها وأبرزها ورقة أو قضية « بناء جيش وطنى قوى » .. ويرتكز هذا البناء فى مجال المعدات – وليس البشر – على : استمرار تدفق الأسلحة المتطورة من الاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية .. والاستمرار فى التصنيع الحربى باقتحام مجالات التكنولوجيا المتقدمة وتصنيع المعدات الثقيلة وان يكون

ذلك مواكبا أو جزءا من حركة البحث العلمى والتكنولوجى المتقدم لمصر للحاق بالعصر .

كانت وجهة نظر مصر وهى تعيد ترتيب أوراقها هى التى عبر عنها **جمال عبدالناصر** قائد الثورة ورئيس الجمهورية بقوله (أبريل ١٩٥٧) :

« إن علينا أن نعيد بناء القوات المصلحة فى ضوء تجربتنا فى حرب السويس .. وهناك مجالات لابد أن ندخل إليها ..

« مثلا .. ان اسرائيل تفكر ذريا ، ولابد لنا نحن الآخرين ان نفكر مثلهم ، طلبت حصرا لكل خبرائنا فى الطبيعة النووية ، وعرفت ان هناك عالما كبيرا بينهم لديه كل المؤهلات ونحن نحتاج إلى مفاعل نووى ولابد أن نحصل عليه .

« لابد أن نتمكن من صنع سلاحنا بما فيه الطائرات . عندنا مصانع سلاح على نطاق محدود ، وقد وضعنا برنامجا لبناء صناعة سلاح . الطائرات قضية أكثر تعقيدا ، ولابد أن نتعاون فيها مع أحد . أفكر فى الهند أو يوجوسلافيا .

« أيضا هناك الصواريخ ، هناك علماء ألمان يتخاطفهم العالم بما فيهم الولايات المتحدة ، وقد حاول بعضهم جس النبض معنا وقد قلت إننا نرحب . هناك واحد بالذات اتصل بنا ، ويظهر إنه شارك بشكل كبير فى صنع صاروخ « ف ، ٢ » وقد وافقت على قدومه إلى هنا .

« ليست المسألة هى أن نتمكن من صنع صواريخ أو طائرات ، المهم أن هذه المجالات هى تكنولوجيا المستقبل ولابد أن نتيح للمصريين التعرف عليها والتخصص فيها ، وهذا عندى أهم من سرعة انتاج الطائرات أو الصواريخ » .

* * *

هكذا تبلور فكر مصر للتخطيط للانتقال من الصناعات الحربية المحدودة إلى صناعات الطائرات والصاروخ واقتحام المستقبل .. وبدأ التحضير لهذه العملية الكبيرة – فى سرية تامة – منذ عام ١٩٥٧ .. ولم يكن هناك أنسب من العميد طيار عصام الدين محمود خليل ليتولى المسئولية فهو كان أحد الضباط الأذكياء ، الموثوق

بهم .. وكان وقتها يشغل منصب **رئيس المخابرات الجوية** ... وكان قد برز على سطح الأحداث فى ديسمبر عام ١٩٥٧ عندما وقف **جمال عبدالناصر** يخطب بمناسبة عيد النصر ، ويعلن منح قائد الأسراب عصام الدين محمود خليل وسام الاستحقاق لوطنيته إذ أبلغ عن واكتشف مؤامرة لقلب نظام الحكم جرت وقائعها عام ١٩٥٦ فى العاصمة الإيطالية روما وكان المتهم الأول فيها هو **حسين خيرى** إبن محمود خيرى « باشا » والأميرة **سميحة حسين** إبنة السلطان حسين كامل وضمت عددا آخر منهم **الأميرة نسل شاه والأمير محمد عبد المنعم** والأمير **محمد على إبراهيم ومرتضى المراغى** وأجهزة مخابرات غربية .. وكان الهدف قلب نظام الحكم وعودة النظام الملكى لمصر ..

كان عصام هو الضابط المناسب لهذه العملية فجرى اسنادها له وأنشىء مايسمى بمكتب « المشروعات الحربية الخاصة » يتولاه عصام ويتبع المشير عبد الحكيم عامر بصفته نائبا للقائد الأعلى للقوات المسلحة وقائدا عاما لها ، وليصبح هذا المكتب أشبه بهيئة مستقلة تدير هذا النشاط .. كما أنشىء جهاز بإسم « **مخابرات الأبحاث العلمية والصناعية العسكرية** » وتشمل الطاقة الذرية ، وسمى هذا الجهاز « مكتب » وتولى عصام أيضا إدارته ، وهو يعد أحد أهم أفرع المخابرات فى العالم الحديث لأنه يختص بأرقى ما وصل إليه العقل البشرى وأشده تعقيدا ، وهو يدخل مباشرة فى الصراع مع أعتى وأقوى أجهزة المخابرات المركزية الأمريكية وإل . كى . جى . بى السوفيتية والفرنسية والموساد الاسرائيلية .. وغيرها ..

وفى عام ١٩٥٧ نفسه وصل إلى مصر سرا مجموعة من العلماء والخبراء الألمان وبينهم – وأهمهم : « **وولفجانج بيلز** » الساعد الأيمن لبراون – أبو الصواريخ – والذى كان وقتها موجودا فى الولايات المتحدة ، وكان بيلز هو الذى أشار إليه جمال عبدالناصر بأنه شارك بشكل كبير فى صنع الصاروخ « ف ٢ » .. وكان بيلز – كما سنعرف فيما بعد – هو الذى رحب – وأكاد أقول طالب – بالحضور إلى مصر .

ومع استقدام الألمان فإن حركة نشطة بدت فى مجالات البحث العلمى المصرى وتمثل ذلك فى التوسع فى الدراسات العلمية وتشجيعها ودعمها ، وفى إيفاد البعثات التخصصية إلى دول الشرق والغرب ، وفى إنشاء مراكز وهيئات البحث العلمى

ومنها : المركز القومى للبحث العلمى بالقاهرة .. وكانت كل هذه الجهات تعمل وفق خطة محددة ..

ودون إخفاء ظهرت بعض النتائج فمثلا فى اليوم الأول من شهر أكتوبر عام ١٩٥٩ شهد الفناء الخلفى **للمركز القومى للبحث العلمى** أول تجربة لاختبار ما يحدث بغرف إحتراق الوقود فى الصواريخ عند إطلاقها .. وقد تمت التجربة بنجاح وشهدها **الدكتور أحمد رياض تركى** الذى كان وقتها مديرا للمركز والدكتور **مصطفى حافظ** وكيل المركز والدكتور **محمد حسن مدور** مدير أقسام الطبيعة ، وأشرف على تنفيذها الدكتور **عبد العزيز الشربينى** الأستاذ بكلية الهندسة بجامعة القاهرة .

ومضت التجارب .. وكان التنسيق كاملا بين الجهات المدنية والجهات العسكرية ..

وخلال تلك السنوات ، كانت اسرائيل تعمل فى مجال الذرة من خلال **مفاعل ديمونة** بصحراء النقب .. وعندما تم رصد النشاط المريب له كانت تل أبيب تنكر بل إن ديفيد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل وقتها وقف أمام البرلمان – الكنيست – يعلن فى يناير ١٩٦١ إن « مفاعل ديمونة معهد علمى للبحث فى مشاكل المناطق القاحلة والحياة النباتية والحيوانية فى الصحراء ! » وكان هذا بطبيعة الحال كذب ففى يوليو من نفس العام (١٩٦١) **أطلقت إسرائيل صاروخا** يعمل بالوقود الصلب ويطير إلى ارتفاع من ٥٠ إلى ٨٠ ميلا وأطلقت عليه اسم « شافيت ٢) ولابد أنه قد سبقه « شافيت ١» ثم أطلقت « شافيت ٣ » فى أكتوبر من ذات السنة ثم بعدها سلسلة من الصواريخ ذات مدى أطول بهدف التوصل إلى نظام صواريخ **تحمل رءوسا نووية** ..

* * *

وعلى أى حال ، فإن هذا الصاروخ لم يكن الا إعادة صناعه اسرائيلية للصاروخ الفرنسى الذى كان معروفا بإسم « مونيك ٥ » وقد أخذ إسماً عبريا هو « شافيت » .. ففى تلك الفترة وماقبلها كان التعاون قائماً بين اسرائيل وفرنسا فى مجالات عديدة أهمها التسليح سواء بالمعدات الجاهزة أو المساعدة على التصنيع ..

ولأن إسرائيل مثل غانية تنتقل من أحضان رجل إلى آخر وفى كل مرة تحاول الحصول على أكبر استفادة ممكنة .. فإنها فى علاقاتها الخاصة بالدول الكبرى (بريطانيا ثم فرنسا ثم أمريكا) تسعى للاستيلاء على أقصى فائدة ممكنه سواء بالطريق المشروع أو غيره (انظر مثلا فضيحة التجسس الأخيرة على الولايات المتحدة المتهم فيها بولارد) وفى تلك السنوات كانت تعتمد على فرنسا فى صناعة الصواريخ وفى إنشاء المفاعل النووى تمهيدا لصنع القنبلة الذرية ..

وبطبيعة الحال ، **فإن مصر كانت تضع عينها وأذنها على اسرائيل** لتعرف ماذا يجرى ويحدث فيها .. ولعلنى هنا لا أكشف الأسرار عندما أشير إلى أهمية نشاط المخابرات العامة المصرية فى هذا المجال وتتبعها للنشاط النووى الاسرائيلى وتجنيدها لعدد من العلماء العاملين فى هذا المجال .. وهى مهمة غاية فى الصعوبة فإن هذا النوع من « **العملاء** » يتصف بالأهمية البالغة سواء فى « نوعية » المعلومات التى ينقلها .. أو فى « **نوعيته** » هو نفسه !

واحد من هؤلاء اسمه **جان بيير وكان استاذا فى معهد التقنية الاسرائيلى** « **تكينون** » فى حيفا ، ولقد كان يعيش فى فرنسا حيث ولد وشب وتعلم وصار استاذا لكن اسرائيل جذبته للهجرة إليها والعمل فى « أرض الميعاد » فسافر إليها محملا بطموحه وشهاداته العلمية وخبراته لينضم إلى الطبقة الممتازة فى المجتمع باعتباره عالما يهودياً غربياً . وبهذه المكانة عاش فى مستوى مرموق خاصة وأنه غير متزوج لايعول إلا نفسه .. وأنه هادىء التصرفات ، دمث الأخلاق ، مريح الوجه .. ليست له علاقات نسائية إلا فى نطاق .. وكان ناضجا فكريا ونفسيا .. وبهذه الصفات كان بعيدا عن دائرة الشك التى تحوم حولها الشبهات .. فهو — عكس غيره فى اسرائيل — لايشكو مثلا من اضطهاد عنصرى أو عمل فى غير تخصصه أو ضيق مادى أو نزوات تفترس حياته !

وكانت هذه الصفات هى نفسها التى تجعله صعبا إذا مافكر أحد فى تحويله إلى « عميل » مخابرات !

لكن رجل المخابرات الذكى لايختار عملاءه من « **سلة** » المشبوهين أو أصحاب **النفسيات المشروخة** .. فقد يصلح هؤلاء لمغامرة أو عملية محدودة ينفذونها وينتهى الأمر .. فإذا مااستمروا فإن هذا يكون فى اطار معين محسوب !

أما العملاء الذين يكلفون بمهام دقيقة فإن رجل المخابرات الذكى يختارهم على ذات المستوى من الأهمية .. حتى ولو كان تجنيدهم صعبا مثل : جان .. إذن : كيف سقط وصار عميلاً للمخابرات المصرية ؟

هناك بديهية خالدة هى أن **لكل شخص نقطة ضعف** .. ثغرة يمكن النفاذ منها ، على أنه ليس معنى هذا أن كل الناس يمكن سقوطهم ويمكن ان يتحولوا إلى « جواسيس » .. ذلك أن نقطة الضعف ليست هى وحدها التى تقود .. إنها مفتاح يكشف اسرار الشخصية .. ومن الأسرار مايمكن استثماره أو تحويله إلى « وتر » بالعزف عليه يؤدى صاحبه الرقصة التى يريدها العازف !

والمهم .. من الذى يسقط .. وكيف تجعله ساقطا ؟

ومن الذى لايسقط .. ولماذا يتماسك أمام كل اغراء ؟

بهذا المفهوم دبر رجل المخابرات المصرى لقاء مع البروفيسور جان فى الدولة الأوربية التى يتردد عليها وأنشأ معه نوعا من العلاقة وكان خلال لقاءاته به يدير معه حوارا عقلانيا يمتد طويلا ويتفرع كثيرا إلى أن وصل إلى نقطة حرجة وكشف رجل المخابرات المصرى عن هويته .. واتفق مع جان على مهمته الجديدة وهى الحصول على معلومات واسرار عن مفاعل ديمونة والنشاط الذرى من خلال العمل الذى يشارك فيه ومن خلال صداقاته مع العلماء والعاملين فى المجال الذرى ..

وكان البروفيسور جان ــ للحق ــ بارعا ودقيقا وغزير المعلومات وظل لسنوات طويلة عينا وأذنا لمصر فى اسرائيل حتى تدخلت الصدفة فانكشف أمره فى نهاية سنة ١٩٧٠ وألقت السلطات الاسرائيلية القبض عليه وقضت المحكمة بمعاقبته بالأشغال الشاقة عشر سنوات .

ولم تتركه المخابرات المصرية ، وفى اليوم الثانى من ديسمبر ١٩٧٣ .. كان جان قد نزل من زنزانته رقم خمسة فى الطابق الثانى من سجن الرملة إلى فناء السجن للانضمام إلى طابور المساجين اليومى عندما اقترب منه إثنان من المساجين ــ هما أيضا من عملاء القاهرة ــ وهمسا فى أذنه أن هناك خطة مدبرة وجاهزة لكى يهرب لكنه تردد وطلب مهلة للتفكير .. ثم بتردد العلماء وطبيعته الهادئة رفض قائلاً أنه قدم إلتماساً للعفو عنه و« إنهم » وعدوه بذلك !

وفى ٣ مارس ١٩٧٤ جرى تنفيذ الخطة **وهرب عميلاً القاهرة ووصلا إلى أوروبا .. أما « جان بيير » فقد رفضوا طلبه وتبدد حلمه وأمله الذى كان لايزال واستمر فى السجن حتى غادره بعد سنوات معتلا يفكر فى كتابة مذكراته منذ ان إقترب من النشاط النووى .**

***

كان دخول اسرائيل إلى المجال النووى يمثل قلقا لدى مصر وأيضا لدى دول أخرى وأكثر من ذلك لدى الولايات المتحدة الأمريكية فهى على الرغم من ارتباطاتها العضوية بإسرائيل إلا أن الرئيس الأمريكى وقتها جون كينديلم يكن مستعدا لأن يخسر كل المصالح الأمريكية لدى العرب فى مقابل محاباة اسرائيل ، بل إنه أفصح عن هذا بصراحة فى لقاءاته مع مسئولين إسرائيليين منهم جولدا مائير التى كانت وزيرا للخارجية .. وسفيرها فى واشنطن ..

ولم يكن أمام القاهرة إلا أن تعمل بكل الجد والجهد وصولا إلى صناعة متقدمة وإلى أسلحة رادعة وإلى عدم التخلف عن ركب العصر ..

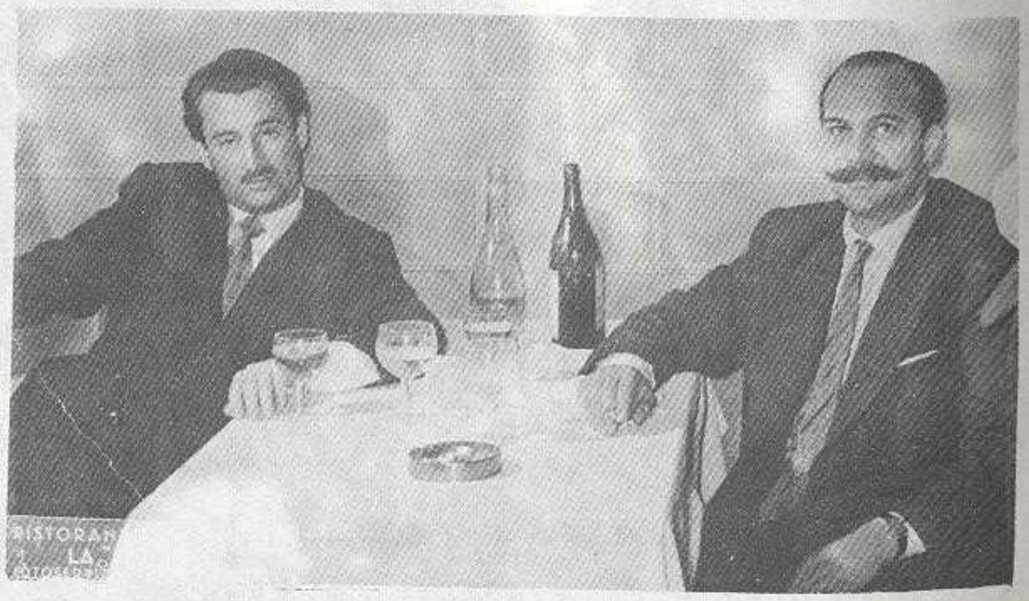

• صورة وثيقة لعصام خليل مع حسين خيرى الذى كان مندوب المخابرات الأجنبية لتدبير مؤامرة قلب نظام الحكم الثورى فى مصر .. وكانت اللقطة أثناء جلوسهما فى مطعم « لاسيزتيرنا » بروما •

• القاهر .. منطلقا .. بعدسة : **الأستاذ محمد يوسف**

عندما انطلق « الأستاذ » !

كان « **عدم التخلف عند ركب العصر** » هو ــ واعتقد أنه لايزال ــ محور التحدى أمام مصر . بل إن **جمال عبد الناصر** أدرك فى تلك الفترة بعد حرب السويس وانحسار الاحتلال العسكرى وتتابع موجات التحرر الوطنى ان الاستعمار الذى يسعى بالدرجة الأولى إلى السيطرة على إرادات الشعوب ومقدراتها ومواردها الطبيعية ــ قد إتخذ أساليب جديدة لضمان التبعية له منها الهيمنة الثقافية لتطويع العقول على هواه ، ومنها التحكم الاقتصادى ومايتصل بتوفير لقمة العيش وفرصة العمل ، ومنها احتكار العلم ولقد قالها صريحة فى خطاب عام : « إن احتكار العلم هو شكل الاستعمار الجديد » .

ومن ثم فإن صناعة الطائرات والصواريخ فى مصر لم تكن مسألة عسكرية بحتة بقدر ماكانت فى الأساس مسألة علمية تستهدف التقدم العلمى بكسر احتكار العلم والوصول إلى **تكنولوجيا ملائمة لمصر** . وتدليلاً على ذلك فإن المدنيين والعسكريين معا شاركوا فى الصناعة وكان أن أجريت بعض التجارب فى المركز القومى للبحوث الذى أنشىء عام ١٩٥٦ ــ لكن تجارب اطلاق الصاروخ جرت فى المناطق الصحراوية وتعثرت منذ أواخر عام ١٩٦٠ بين النجاح والفشل إلى أن أعطى التمام لعبد الناصر عام ١٩٦٢ وشاهد أفلاما سينمائية (لم يكن الفيديو قد ظهر) تصور تجارب ناجحة ..

كان الصاروخ وقتها يحمل اسما كوديا للتمويه هو « الأستاذ » !

وفى التاسع عشر من يوليو ١٩٦٢ وبينما كان جمال عبد الناصر فى استراحته بالمعمورة ــ الاسكندرية ــ التى ذهب إليها فى أجازة قصيرة قبل يومين تلقى مكالمة تليفونية من المشير **عبد الحكيم عامر** يخبره فيها ان « **الأستاذ** » **قد أصبح فى حالة جيدة جدا وأنه يريد النهوض وأن يلقاه** ..

وفهم عبد الناصر أن الصاروخ قد استعد للانطلاق .. فاتفق مع المشير على أن يكون ذلك صباح اليوم بعد التالى أى ٢١ يوليو .

وكان معنى هذا أن اطلاق الصاروخ يجيء فى بداية العيد العاشر لثورة ٢٣ يوليو .. لكن المسألة لم تكن « **استعراضا دعائيا** » كما يروج البعض ويتقول ! وإنما كانت بالحساب العلمى الدقيق .. فإن إطلاق الصاروخ فوق كونه عملية معقدة ــ لايجرى فى منطقة منعزلة عن العالم وإنما على العكس فإن عيون العالم كله تتركز على مصر .. ومراكز الرصد العديدة والمتنوعة منتبهة بأجهزتها العلمية .. ومن ثم فإنها سوف تسجل العملية . فلماذا نترك الآخرين يعلنونها بالتشويه والتحريف .. ولا نعلنها نحن بالأسلوب اللائق ؟ (١) .

كان هذا هو تفكير عبد الناصر وهو يمد بصره إلى مياه البحر المتوسط عبر شرفة استراحة المعمورة ... تاركا للعقل والقلب كل مدى وهو يقلب الأمر بالنسبة « للأستاذ » .. وفى هذه الجلسة نفسها اختار للصاروخ الأول اسم « القاهر » والمعنى معروف ــ اما اسم الصاروخ الثانى فقد اطلقه عند نجاح التجربة فكان ناجحاً ظافراً وأخذ إسم الظافر » .

ومن استراحته طلب عبد الحكيم عامر ليسأله عن مدى الثقة فى نجاح التجربة فقال له المشير أن فريق العمل واثق كل الثقة لكن الدول الكبرى أحيانا تفشل فى اللحظة الحرجة! « ألست واثقا ياريس أم ماذا » ؟

ورد عبد الناصر : اننى واثق .. لكن قد خطر لى أن يحضر الصحفيون العرب والأجانب عملية الاطلاق حتى يكون الاعلان من عندنا وبشكل لائق بدلا من أن يعلنه الآخرون مشوشاً .

وأجاب عامر بسرعة : فليحضروا .

وقال عبد الناصر : كنت أعرف أن هذا رأيك ..عموما نأخذ رأى العلماء والمسئولين فى القاعدة .

وفى الصباح كانت الافادة النهائية من المشيران « **كل من فى القاعدة يطلبون من الرئيس أن يعتمد عليهم ولن يخيب أمله فيهم وفى الأستاذ** » .

(١) هذا يتفق تماما مع أسلوب عبد الناصر ونذكر أنه عام ١٩٥٥ بحث عن مناسبة ليذهب إليها ويعلن عن كسر احتكار السلاح بصفقة الأسلحة التشيكية .

وفى مساء اليوم ذاته ... عاد عبد الناصر بسيارته من الأسكندرية إلى القاهرة استعداد للحدث الهام فى اليوم التالى .

★★★

فى الخامسة من صباح اليوم التالى استيقظ جمال عبد الناصر ليبدأ مهامه اليومية بقراءة الصحف ونشرات استماع محطات الاذاعات العربية والأجنبية وتقارير أخرى وتدوين ملاحظاته . وبعد ساعتين كان يتناول فنجان قهوة فى صالون منزله مع نائبه عبد اللطيف البغدادى الذى كان أول من وصل إلى البيت ثم جاء المشير عبد الحكيم عامر وبعده زكريا محيى الدين وكمال حسين وأنور السادات وحسن ابراهيم وعلى صبرى .. وتحرك الجميع إلى قاعدة الصواريخ التى كانت جاهزة تماما ومستعدة . فى صحراء غرب القاهرة .

وفى التاسعة و٤٧ دقيقة صباحاً .. وامام عبد الناصر ومعاونيه وقادة القوات المسلحة والعلماء والصحفيين العرب والأجانب والموجودين ، ارتفع صوت يعلن : بدأ **العد التنازلى .. باقى ثلاث دقائق .. باقى دقيقتان .. باقى دقيقة واحدة ..**

ثلاثة .. أثنين .. واحد .. وتفجر اللهب .. لينطلق الاستاذ يشق الفضاء .

وعلى وجه الدقة ، انطلقت اربعة صواريخ واحدا وراء الآخر .. صاروخان من « القاهر » وصاروخان من « الظافر » ومضى كل منها فى طريقه المرسوم يشق الفضاء .. والتفت عبد الناصر إلى عصام خليل الذى كان يقف بجواره يصافحه ويشد على يده قائلا : « **مبروك .. مبروك ياعصام** » .

وبدأ تبادل التهانى بين كبار رجال الدولة والمسئولين عن صناعة الصواريخ وقادة القوات المسلحة والعلماء والفنيين الذي لم يجد جمال عبد الناصر سوى أن يقول لهم : « لقد حققتم اليوم انتصاراً ضخماً لأمتكم العربية كلها » .

★★★

كانت قناعة جمال عبد الناصر ــ وهذه بالفعل هى الحقيقة بالإرتباط المصيرى والمصلحة والدور التاريخى ــ أن التقدم العلمى والتوصل إلى تكنولوجيا ملائمة ليست هدفا مصريا تخدم به مصر نفسها وانما هو هدف عربى لخدمة الأمة للعربية

وشعوبها من المحيط إلى الخليج لرفع مستوى الإنسان وترقية الحياة وإعلاء الإرادة العربية حرة مستقلة ، وكان هذا ذاته هو إدراك الشعب العربى ، ولذا فإنه عندما غادر عبد الناصر مكانه الذى راقب منه انطلاق الصواريخ واتخذ طريقه إلى سيارته مر على منصة الصحفيين فاستقبله الاعلاميون العرب بالتصفيق بدلاً من الأسئلة وكانوا بهذا يهنئون أنفسهم ويسعدون لأنهم جزء مما جرى وليسوا مجرد متابعين يلهثون وراء الخبر .. وتوقف عبد الناصر ضاحكا يرد التحية وسأله « جاى والز » مندوب نيويورك تايمز :

ــ ماهو شعوركم اليوم بعد هذه التجارب الأربع الناجحة لإطلاق الصواريخ ؟

• **وقال عبد الناصر** : لقد نجحت الصواريخ منذ مايو الماضى ولذلك فإن شعورى تجاه ذلك قديم مع أنى لم أحضر بنفسى تجربة قبل ذلك .. فقط شاهدت أفلاماً سينمائية عن تجارب سابقة ناجحة وسمعت الكثير .. ووجودنا جميعا اليوم هنا لأن الظروف تسمح للإعلان عن امكانياتنا فى صنع الصواريخ ..

وسأله مندوب وكالة رويتر الانجليزية : ماهو الغرض من صنع الصواريخ ؟ » .

• **ورد عبد الناصر** : « الغرض من صنع الصواريخ هو .. صنع الصواريخ » ! وضحك الجميع .

• **وسأله مندوب وكالة « يونيتدبرس » الأمريكية** : « هل نستطيع أن نعرف الفرق بين نوعى الصواريخ التى أطلقت الآن ؟ » .

• **قال جمال عبد الناصر** : « ان الصاروخين الأول والثانى من طراز « القاهر » ومداه **ستمائة كيلو متر** .. بينما الثالث والرابع من نوع « **الظافر** » **ومداه ثلثمائة وثمانون كيلو مترا** ..

ــ وسأل صحفى لبنانى : « إلى أين يستطيع أن يصل الصاروخ ؟ »

• **رد عبد الناصر : « القاهر يمكن أن يصل إلى جنوب لبنان ..**

وعاد مندوب نيويورك تايمز يسأل : هل هو متعدد المراحل أم هو ذو مرحلة واحدة .

• **قال عبد الناصر : « لقد أطلقنا اليوم صواريخ من مرحلة واحدة .. لكن من الممكن اطلاق القاهر والظافر معا فى صاروخ من مرحلتين ..**

• ملحوظة : عند اطلاقه كان مدى الصاروخ القاهر ٦٠٠ كيلو متر .. ثم تطور وقد تم بعد ذلك تركيب الصاروخين معا فى صاروخ واحد متعدد المراحل وهو الذى ظهر فى العرض العسكرى فى ٢٣ يوليو ١٩٦٣ بإسم الرائد .

ــ **وعاد الصحفى اللبنانى يسأل** : هل نفهم من مدى الصاروخ أنه يمكن أن يصل إلى أول حدود العدو وإلى آخرها ؟

• **وابتسم عبد الناصر قائلاً** : « كل صاروخ وانتم طيبين » .

واتجه يستقل سيارته بينما صحفى من سيراليون يقول : « أننى أريد ان انتهز الفرصة لتهنئتكم وتهنئة الشعب المصرى .. إن ما شهدناه هو عمل رائع .. رائع .

وكانت هناك اسئلة عديدة ، فقد دخلت مصر ، ومعها الأمة العربية كلها ، عصر الصواريخ ..

وكان الحدث وبحق .. كبيرا ورائعا ومذهلا ..

★★★

و .. **دق الرعب فى قلب اسرائيل** . واشتدت الحمى فى كياناتها . والتهبت أجهزة الاتصالات بين رئيس وزارتها ورئيس مخابراتها فقد كان النبأ العظيم مفاجأة للموساد وأيضا للمخابرات المركزية الأمريكية ..

لقد أصاب الهوس .. قادة تل أبيب بسبب « الأستاذ » !

وبالهوس الموتور .. بدأت المؤسسات تخطط لمواجهة الأستاذ والقاعدة التى انطلق منها فى الصحراء الغربية ..

ووضعت رئاسة الأركان الاسرائيلية خطة لتدمير قاعدة الصواريخ بما فيها ومن فيها معتمدة فى تنفيذها على القوات الجوية ، وعلى أساس أن تتسلل طائراتها لضرب القاعدة مع قيام باقى طائرات سلاح الطيران كله بالمعاونة للحماية والاستعداد لأى طارىء ..

كانت الخطة مجنونة وتعبر عن مدى الهوس الذى إنتابها وجرى التدريب بالفعل على تنفيذها الذى حددت له ساعة صفر بعد أسابيع قليلة من إطلاق « الأستاذ » لكن تل أبيب تراجعت عن العملية فى المرحلة الأخيرة لعدة أسباب صنعت أمامها حاجزاً من الخوف لايمكن اجتيازه ولايمكن الاستهانة به :

١ ــ لقد تأكدت اسرائيل أن الجمهورية العربية المتحدة (مصر) لم تقدم على خطوة اعلان اطلاق الصواريخ إلا بعد تجاوزها مرحلة التجريب إلى التصنيع الناجح والمؤثر ..

٢ ــ ان القاهرة لم تصنع هذه الصواريخ الأربعة فقط وإنما صنعت أعداداً أخرى غيرها ..

٣ ــ ان القاهرة ليست من الغفلة بحيث تدعو الصحفيين الأجانب والعرب إلى قاعدة الصواريخ بينما هى لاتمتلك غيرها . وصحيح أن المرافقين الذين صحبوا ممثلى أجهزة الاعلام لم يفصحوا فى البداية عن هدف الرحلة ولم يذكروا فى النهاية أين هذه القاعدة بل أن المشير عبد الحكيم عامر قال عندما سئل أنها « **مكان فى الصحراء** » .. لكن من البديهى أن الصحفيين وكذلك الدين رصدوا اطلاق الصواريخ الأربعة سيتوصلون إلى أن القاعدة فى الصحراء الغربية .. لذلك .. فإن القاهرة تحسبا أقامت ثلاث أو أربع قواعد أخرى ــ على الأقل ــ فى انحاء متفرقة بحيث إذا تعرضت قاعدة للاعتداء تنهض القواعد الأخرى بمهامها .. هذا فضلاً عن تكثيف حماية هذه القواعد .

٤ ــ من هنا وبإفتراض نجاح اسرائيل فى اجتياز نطاق الدفاع الجوى عن مصر .. ثم الدفاع عن القاعدة .. ونجحت فى ضرب قاعدة الصحراء الغربية .. فهل تقدر على التصدى للصواريخ التى ستنطلق من القواعد الأخرى فى اتجاه قلب اسرائيل ؟ وإن حدث هذا فكيف ستبرر فعلتها وتستصرخ الدنيا ــ كما تفعل كل مرة ــ لمساعدتها ومدها بالغوث ؟

٥ ــ ولقد كان ثمة عامل مؤثر أساسى **هو أن اسرائيل لاتأتى فعلا منفردا وإنما دائماً تستند إلى ظهير قوى** أى تصبح بشكل ما مثل راكب دراجة يتعلق بسيارة

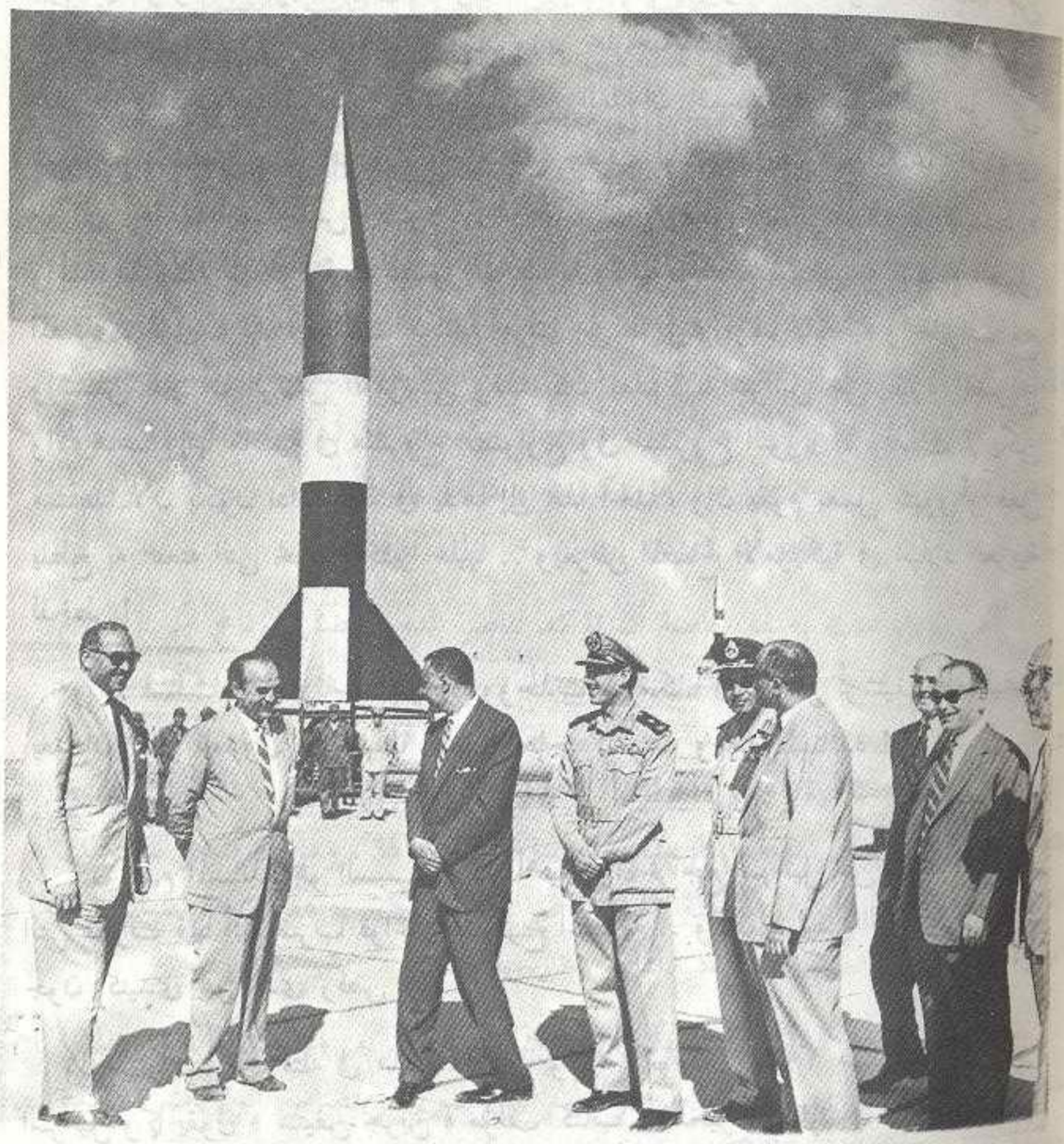

● الصاروخ القاهر منتصبا فى قاعدته وخلفه الظافر والفرحة على وجوه عبد الناصر وهو يتحدث مع عصام خليل وبجانبه عبد اللطيف بغدادى ، وإلى جوار عبد الناصر : عامر وصدقى محمود وحسن ابراهيم وعلى صبرى وزكريا محيى الدين ●

تصعد جبلا (والتشبيه لموشى ديان فى يومياته) .. ففى حرب السويس كان تتعلق ببريطانيا وفرنسا ، وبعدها فى عدوان ٦٧ أخذت الضوء الأخضر بالمساعدة من الولايات المتحدة التى سافر إليها ابا إيبان وزير خارجية اسرائيل وقتها ، كما سافر رئيس مخابراتها « الموساد » سرا يوم ٣٠ يونيو قبل العدوان بخمسة أيام — واتفق على كل شىء مع واشنطن ، بل أنها فى الهجوم على جنوب لبنان وفى ضرب المفاعل النووى العراق أخذت أيضا نفس الضوء .. أما فى ذلك الوقت عقب اطلاق « الاستاذ » واعدادها خطة للهجوم فيما تتصور أنه ضربة وقائية خاطفة تجهض به التقدم العملى المصرى العربى ، فإن اتصالات مكثفة جرت عن طريق وزارة الخارجية والمخابرات مع واشنطن غير أن الرئيس الأمريكى وقتها كان يعلم أن اسرائيل هى بؤرة الصراع والارهاب وإنها ماضية فى مشروع الصواريخ وفى المشروع النووى ، ولذلك لم يكن مستعدا لان يكون اداة طيعة فى يدها إلى هذا الحد ، وان يقوم بعمل متهور أو فعل يلطخ به سمعته التى يحرص كثيرا عليها .. ويعرض المصالح الأمريكية فى البلاد العربية للخطر !

و .. فشلت خطة رئاسة الأركان ووجدت لها مكانا فى خزائن أرشيف العمليات بعد أن تقرر العدول عنها نهائيا بسبب حاجز الخوف وعدم المساندة !

***

كان عدم المساندة هو السبب الأكثر أهمية وراء تراجع اسرائيل عن تنفيذ الحماقة التى فكرت فيها أى ضرب قواعد الصواريخ المصرية .. وكان الرئيس الأمريكى وقتها جون كنيدى هو الذى رفض هذا .

ولذلك أيضا فإن قتله فى مدينة دالاس يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ سبب ارتياحا فى اسرائيل وكما يقول « ستيفن جرين » مؤلف كتاب « التحيز »[1] فإن : « أداء ليندون جونسون رئيس الولايات المتحدة رقم ٣٦ القسم فى الطائرة من دالاس إلى واشنطن » كان فرصة ذهبية لاسرائيل لكى تبدأ عهدا أكثر تأييدا لها ..

---

(١) الناشر مؤسسة ويليام مورو وشركاه – نيويورك عام ١٩٨٤ – ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات – القاهرة ١٩٨٨ .

لقد وقفت الادارة الأمريكية برئاسة جونسون مع « الموضوع الحساس الاسرائيلى » وضد التقدم العربى المصرى خاصة وإن مصر كانت فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٦٣ قد أظهرت فى العرض العسكرى الذى تم فى عيد الثورة « **الصاروخ الرائد** » متعدد المراحل والذى تصل قدرته إلى حد خرق نطاق الجاذبية الأرضية ويمكنه حمل قمر صناعى يطوف حول الأرض .. وبلغ مدى الصاروخ ألف كيلو متر ..

وتعبيرا عن التوجه الأمريكى الجديد الممالىء لإسرائيل طلبت وزارة الخارجية الأمريكية من السفير الأمريكى بالقاهرة فى مايو ١٩٦٤ أن **يحذر جمال عبد الناصر من المضى فى برنامج تطوير الصواريخ** .. ولكن بعد اعطاء هذه التعليمات للسفير عادت الخارجية فى برقية عاجلة له تطالبه بالتزام الحذر خشية أن تكون اللهجة شديدة يقابلها جمال عبد الناصر – حرصا منه على كرامته وكرامة بلده – بإجراء حاد .. وقالت الخارجية للسفير أن عليه أن لايترك إنطباعا خاطئا .. وقالت :

« **نحن نريد** منك بصفة خاصة أن تؤكد لناصر الدور الضار لبرنامج ج . ع . م لتطوير الصواريخ ، وإنه سيتسبب فى دفع المنافسة إلى مستويات جديدة وخطيرة ، ونحن ندرك بطبيعة الحال وجود خيط رفيع بين ضمان فهم ناصر وتقديره لطبيعة هذا التصعيد ، **ومن ناحية أخرى اعطائه الانطباع بإن اسرائيل على وشك أن تصبح دولة ذرية من خلال تفهمنا للوضع ودعمنا الصامت لها** ، ومن ثم فنحن نترك لك ان تستخدم أفضل الطرق الممكنة **لإقناع ناصر بأنه لن يكسب** هذه اللعبة نظرا لتطور اسرائيل التقنى واتصالها بالمصادر المالية الخارجية » .

وعندما تلقى البرقية ، أعاد السفير الأمريكى قراءتها مرتين ووجد إنها تحمل انذارا صريحا لناصر وتهديدا له وتلويحا بقوة اسرائيل الذرية وبتضامن الولايات المتحدة معها .. وإحتار السفير الدكتور جون بادو .. !

ولم يجد فى نفسه الجرأة على أن يطلب مقابلة ناصر وتحذيره .. ومن ثم سكت .. وكل ما فعله أن أفضى بمضمونها – بتسريب غير مباشر – لعدد من معارفه المصريين وبينهم مسئولون لكى تصل إلى جمال عبد الناصر بشكل مخفف !

الأمر المهم هنا أيضا إن الأمريكان لم يكونوا وحدهم ضد إنتاج الطائرات

والصواريخ المصرية .. **وإنما كان السوفييت أيضا** كذلك ، على إنهم – للحق – كانوا أكثر لطفا من الأمريكان ، وهذا بديهى لأن الولايات المتحدة تحمى اسرائيل عضويا فضلا عن إنها كمنتج سلاح كبير لاتريد لأحد أن ينتج .. وفى هذه النقطة الأخيرة اتفق معها الاتحاد السوفييتى فهو أيضا كمنتج سلاح لايريد لمصر أن تكون منتجة خاصة وأن سوقها المحتمل الذى ستبيع فيه السلاح هو افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية – والعرب أساسا – وهذا هو سوق الاتحاد السوفييتى ومجاله الذى يريد أن ينافس فيه الولايات المتحدة ..

ولذا ، لم يكن غريبا انه عندما قام جمال عبد الناصر بزيارة موسكو فى أبريل ١٩٥٨ – وكانت أجهزة المخابرات قد رصدت بداية الاستعداد للتصنيع العسكرى الثقيل المتطور فى مصر ووصول العلماء الألمان – **ان فوجىء بالسوفييت يثيرون معه الموضوع .**

وكان رد جمال عبد الناصر : « **إنكم هنا فى الاتحاد السوفييتى ومنافسوكم هناك فى واشنطون تسابقتم على العلماء الألمان** .. وإذا كانوا قد جاءوا إلى مصر فإن هدفنا الأساسى كان ألا نتخلف عن تكنولوجيا الطيران والصواريخ .. إن هذا هو هدفنا بالدرجة الأولى . »

* * *

لكن .. من الذى يترك مصر تحقق هدفها ؟

إنه عندما فشلت الخطة العسكرية الاسرائيلية بضرب « **الأستاذ** » وقاعدته فى الصحراء الغربية بعد اطلاقه فى ٢١ يوليو ١٩٦٢ .. تركت اسرائيل مهمة المواجهة للتحرك العلنى والسرى الذى يقوم به رئيس الوزراء ديفيد بن جوريون ووزيرة خارجيته جولدا مائير .. مع تكليف المخابرات (الموساد) ورئيسها **عزراهاريل** للقيام بعمليات إرهاب يسطر فيها الخبراء وعملاؤهم وحلفاؤهم صفحات دامية من الحرب الخفية .

السكرتيرة الحسناء العاشقة !

لم تكن قصة العلماء الألمان هى بداية العمليات السرية فى الحرب الخفية ضد القاهرة ... بل ربما ليست هى أخطرها .. برغم ما أثارته من ضجة هائلة خلال الستينات فى الشرق الأوسط ، وأوروبا ، وأمريكا .

لكنى أبدأها وأبدأ بها – وهذا إعتراف منى – لأنى بى ضعف إلى كل الحدود بالنسبة لها :

لقد عاصرت أزمتها بقدر ما سمحت الظروف ...

وعرفت أسرارها بقدر ما توصل إليه جهدى ...

وخالطت الذين كانوا مسئولين عن هذه القصة فى بلدى

وإلتقيت مرات عديدة بعدد من هؤلاء العلماء وعلى رأسهم وولف جانج بيلز الذى بدا لى كفنان شاعر هادىء ... كعازف كمان ... كنت أتخيله فى كل مرة قابلته فيها وقد توسد الكمان كتفه وأمسكته يسراه ، ليعزف باليمنى الحانا تذوب رقة وعاطفة ، فإذا سكت إنساب صوته حنونا رقيقا ... لم أتخيله أبدا عالما يحسب كل شىء بالطول والعرض والارتفاع ولايؤمن إلا بالحساب والتفاعل والمعادلات .

لقد عشت القصة سنوات ذروتها وكانت قد بدأت فى النصف الثانى من سنة ١٩٦٢ بعمليات إرسال خطابات الموت وشحناته ... ومضت على طريق الخطر حتى كان **لوتز** وقضيته .. ثم غادر بيلز بلادنا إلى حيث إختفى عن أعين المخابرات السرية الاسرائيلية التى كانت تنتوى قتله كما حدث **لأيخمان** الذى اختطف من الارجنتين وحوكم صوريا فى تل أبيب – أو تخطفه ليعمل فيها أسيرا مثل **كروج** ... لقد خطفوا كروج بسيارة ستروين سوداء من ألمانيا إلى باريس وفيها أفقدوه الوعى ثم وضعوه على نقالة إسعاف وأدعوا أنه طيار إسرائيلى وحملوه إلى طائرة إسرائيلية كانت قد وصلت إلى باريس لهذا الغرض تحت ستار رحلة تدريب – وأقلعت به الطائرة إلى تل أبيب باعتباره واحدا من طاقمها .

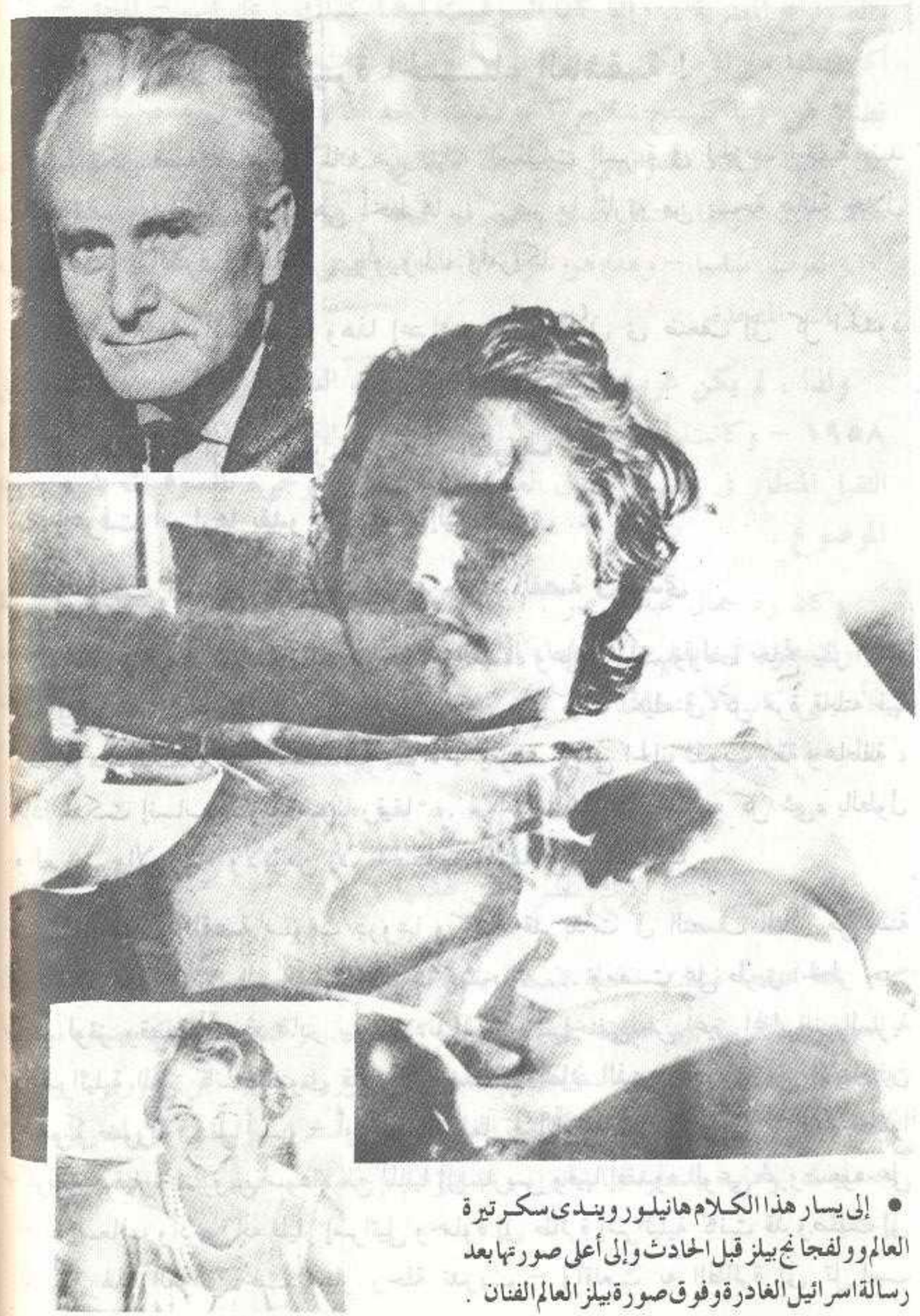

• إلى يسار هذا الكلام هانيلور ويندى سكرتيرة العالم وو لفجانج بيلز قبل الحادث وإلى أعلى صورتها بعد رسالة اسرائيل الغادرة وفوق صورة بيلز العالم الفنان .

• **عشت القصة : ومن كثرة أحداثها لا أدرى من أى يوم فيها أبدأ ...**

لكنى ، على أى حال سوف ابدأ من يوم الإثارة والغموض فى شتاء سنة ١٩٦٢ .

ضاحية مصر الجديدة التى تبعد عن القاهرة بضع كيلو مترات ... والشوارع تكاد فى هذا اليوم ... الثامن والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٦٢ – تخلو من المارة فالرجال فى أعمالهم والزوجات فى الدور ، والأبناء فى المدارس ... وعدد قليل نسبيا يجلس فى متنزهات الضاحية أو محالها العامة يتلمس بقعة شمس ...

وكان الشتاء يدق الأبواب والنوافذ ... ومنها أبواب ونوافذ إحدى العمارات حديثة البناء .. وفى أحد طوابق هذا المبنى كان هناك مجموعة من العلماء الألمان يباشرون دراساتهم العلمية ... وكانوا ملتفين حول كبيرهم « دكتور بيلز » تعلوا أصواتهم فى مناقشات العلم من أجل الحياة والسلم ... وتعلو سحب الدخان من سجائرهم وأمامهم فناجين القهوة والشاى ... وفى الحجرة المجاورة كانت سكرتيرة « بيلز » الشابة الألمانية الحسناء « هانيلور ويندى » تدق بأصابعها على الآلة الكاتبة تنهى بعض العمل المكلفة به ، بينما الريح فى الخارج يدق الأبواب والنوافذ . وفى هذا الوقت كان أمامها خمسة خطابات ، استلفت نظرها أحدها وهو خطاب جاء باسم كبير العلماء ... وبحركة آلية نظرت إلى الخطاب ... كان معنونا باسم « بيلز » على عنوانه فى الجامعة الألمانية التى كان يعمل بها فى « شتوتجارت » ثم شطب هذا العنوان وكتب فوقه « شركة الطيران العربية المتحدة » .. ولابد أن الذى أرسله لم يكن يعرف عنوان « بيلز » فى القاهرة فكتب له على الجامعة التى شطبت الاسم وكتبت اسم الشركة لعلها تهتدى إليه .... ونهضت السكرتيرة بخفة لتلقط الخطاب وهى تتساءل « ممن جاء » ؟ . ربما من ألمانيا من (الفريد سيديل) محامى بيلز وإن كان ذلك مستبعدا وربما من زميل قديم أو من صديق أو قريب .... !

أو ... أو ... ربما يكون خطاباً من زوجته ! ..

هنا بدأت الهواجس تنتاب « **هانيلور ويندى** » السكرتيرة الحسناء ... فارعة الجسد .. حادة الذكاء .. فهى ليست فقط سكرتيرة لدكتور بيلز وكاتمة اسراره .. إنما هى أيضا حبيبته ... والغرام بينهما ملتهب ... خاصة بعد أن انفصل عن زوجته وإن

كان الطلاق لم يحدث بعد ، والعاشقان بعيدان عن بلدهما ... يقيمان فى مصر بكل حريتهما وبيلز رجل هادىء رقيق وحيد .. و« هانيلور » هى الأخرى وحيدة لكنها من فصيلة **المرأة ذات الشخصية القوية الطاغية وجمالها** من النوع الذى يوقع فى أسره من يراه ... وهى بهذا التكوين تريد رجلا مثل « بيلز » . ناعما جداً لكنه صاحب مكانة عالية ومرموقة وذهن متقد وعلم بلا حدود فهو الساعد الأيمن لبراون عالم الصواريخ الشهير الذى كان مع هتلر ثم استولت عليه الولايات المتحدة بعد الحرب الثانية ليصبح « **أبو الصواريخ** » أما بيلز فرفض أمريكا والغرب كله ... وظل حائرا حتى كان وجاء للعمل فى مصر ...

اشتعلت الغيرة فى صدر السكرتيرة الحسناء عندما وصل تفكيرها إلى إن الخطاب قد يكون من زوجة بيلز .. وانقلبت من سكرتيرة إلى « **امرأة عاشقة** » تغار من المرأة الأخرى .. ماذا تريد هذه المرأة الأخرى « الزوجة » وهل ترغب فى العودة إلى بيلز مرة أخرى ؟!

وبسبب غيرتها – والغيرة فى معظمها عمياء ومدمرة – تخلت السكرتيرة الحريصة « هانيلور ويندى » عن اجراءات الأمن . فمن المفروض عندما تجىء إليها خطابات بإسمها أو بإسم بيلز أو غيره من العلماء أن تبعث بها أولا إلى الأمن حتي يتم فحصها والتأكد من سلامتها ثم إعادتها ثانية ..

لم تفعل السكرتيرة هذا كما تعودت .. فقد أكلتها الغيرة !

وإمتدت يدها بسرعة – وسط حمى وساوسها – تزيح جانبا ثلاث خطابات للعلماء الأخرين ، وخطابا رابعا لبيلز .. وتتناول هذا الخطاب بالذات الذى كان موضع شكها وبسرعة اللهفة لكشف أسراره قامت بفتحه .. وفى لحظة خاطفة وهى تقوم بعملية الفتح أثناء جلوسها على مكتبها ، انفجر الخطاب وتطايرت شحنة المتفجرات التى كان محشوا بها لتلحق بوجهها الجميل ورقبتها وصدرها ويديها وتسقط على فخذيها .. وتشوهها تماما .!

وعلى صوت صراخها .. جاء من جاء ، وبدأت ضجة ، وتلاشت أصوات الشتاء وهو يدق الأبواب والنوافذ ولمع تحت البرق سؤال :

كيف حدث هذا ؟ من فعله ... ولماذا ؟

رسـول المـوت

لن أبتعد كثيرا عن حادثة « هانيلور ويندى » ...

لكن ... فلنترك السكرتيرة الحسناء وقد سافرت إلى جنيف للعلاج – بعد مرحلة علاج فى مصر – على أيدى أكبر الأخصائيين فى العالم لكنهم – للأسف الشديد – فشلوا فى أن يعيدوا إليها نور عينيها وجمال وجهها ورقبتها والجزء العلوى من صدرها والكتفين والفخذين ..

ولنترك الرجال يبحثون فى كيفية وصول الخطاب « خطاب الموت » .

ولنمشى عبر شهور قليلة لنصل إلى شهر يناير سنة ١٩٦٣ ، ومازال الشتاء يدق الأبواب والنوافذ ، ويعوى على الطريق المرصوف الخارج يتلوى من ضاحية مصر الجديدة تجاه السويس وسط جبال « الجلالة » وتلالها السوداء الصماء .

كان الريح يتردى على سفوح الجبال ويخبط المبانى المقامة من حول الطريق . أحد هذه المبانى له طريق خاص يتفرع من الطريق الرئيسى ... وفى داخل المبنى مجموعات كبيرة من العمال والموظفين ... كانوا فى قمة نشاطهم وسط عنابر دافئة رغم برودة الخارج ، التى كانت قد إشتدت فى هذا اليوم – السادس والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٦٣ م .

- **والساعة تقترب من الحادية عشر صباحا ..**

وفى إحدى غرف هذا المبنى – وهو واحد من المصانع الحربية – اجتمعت لجنة فنية هى المختصة – بحكم العادة – بفض الظروف الواردة وتصنيفها .

وكان هناك طرد وصل فى اليوم السابق من هامبورج بألمانيا الغربية ، وهو عبارة عن صندوق من الخشب الرقيق (الأبلاكاج) جاء من الخارج بطريق الجو ، فانزوى فى أحد أركان مخزن المصنع حتى تنعقد اللجنة الفنية لتفحصه وتفضه ....

ها هى اللجنة قد انعقدت ... وكان عقرب الساعة الصغير على الرقم ١١ بينما ابتعد العقرب الكبير بمسافة ١٠ دقائق عن الرقم ١٢ – وبدأ أحد أعضاء اللجنة يفض الطرود وسط حلقة من زملائه .. بينما عدد من العمال الذين جاؤا بالطرد يقفون قريبا فى انتظار التعليمات ...

أخرج عضو اللجنة من الطرد علبة من « الكرتون المقوى » وفتحها وبالنظرة الأولى داخلها اتضح أن بها عدد ٤ كتب فنية « كتالوجات » كبيرة الحجم مدونة كما وضح على أغلفتها باللغة الألمانية ...

مال عضو اللجنة ليفتح ويخرج الكتب الأربعة ... وفى ذات اللحظة انفجر الطرد ورددت الحجرة الصغيرة أصوات الدوى والصراخ ... وعلى الضجة جاء رجال وأسرعت السيارات بالجرحى إلى المستشفى ... وكانت النتيجة أن مات خمسة وأصيب تسعة ... كانت وراء منهم قصة كإنسان ينتمى إلى أسرة ... !

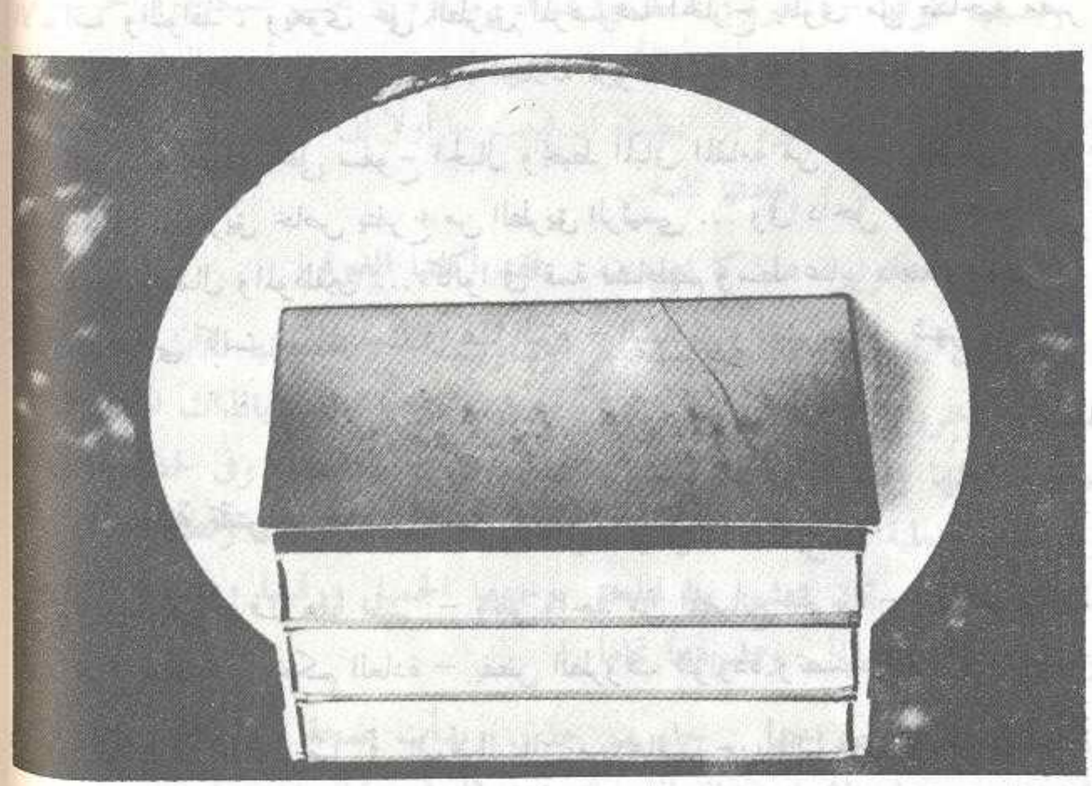

● الكتالوجات التى كانت محشوة بالمتفجرات .

كان القتلى الخمسة ... :

● **الملازم الفنى سعد محى الدين شتا :**

فى الثالثة والأربعين متزوج وله خمسة أولاد ، أكبرهم فى السادسة عشرة وكلهم فى المدارس ماعدا أصغرهم وهى طفلة فى الثالثة من عمرها .

● **المهندس ميشيل باسيلى بشارة خورى :**

كان فى الثالثة والثلاثين من عمره « غير متزوج » يقيم مع والديه المسنين وشقيقه الطالب بالثانوى وكان هو الذى يعولهم من مرتبه .

● **المهندس عبدالرازق الغرباوى :**

كان فى نفس السن ... ولكنه كان متزوجا – أو بتعبير أخر أدق – (عريسا) إذ لم يكن قد مضى على زواجه أكثر من خمسة أشهر ، وكان مع ذلك أيضا يعول – غير الزوجة – والديه وشقيقته التى لم تكن قد تزوجت بعد .

● من ضحايا حادث المصنع : المهندس الغرباوى والملازم شتا وعبد الرؤوف عبد الغنى ومحمد حسن ●

• **أمين المخزن – يوسف عاشور على جبريل :**

كان فى الثالثة والعشرين ... غير متزوج . يعول والديه وثلاثة من الأخوة .

• **أمين المخزن – عصمت عبدالمقصود شلبى .**

فى الثلاثين من عمره ... كان قد تزوج منذ شهر واحد فقط . كان يعول أمه العجوز .

••أما المصابون التسعة فقد أسعف منهم ثلاثة لم تكن اصاباتهم خطيرة ... وبقى ستة تعرضوا للخطر وفلتوا –بعناية الله وحدها – من الموت ، وهم :

• **أمين العهدة – إبراهيم محمد الدسوقى كامل :**

كان فى الخامسة والثلاثين ، متزوجا منذ عشر سنوات ، له طفل فى التاسعة ويعول والدته وشقيقته ابنة السادسة عشرة .

ونتيجة الحادث فقد سمعه إلى الأبد بسبب تهتك طبلتى الأذن ... وأصيب بتشوهات فى الوجه والذراعين والفخذين والقدم اليمنى والركبة اليسرى .

• **العامل – عبد الرؤوف عبدالغنى منصور :**

فى السابعة والعشرين من عمره ، كان قد تزوج منذ شهر واحد فقط . يعول شقيقته وقد فقد عينه اليسرى ، وضعف إبصار اليمنى . وأصيب بحروق فى الوجه وكذا – الفخذين والساقين والقدمين ، وكسر فى عظمتى الوجنتين كما ضعف سمعه .

• **أمين المخزن – سمير صابر محمد المليجى :**

فى الرابعة والعشرين . غير متزوج . أصيب بحروق فى الساعدين والوجه ، وضعف إبصاره .

• **العامل – محمد عبدالغنى حسن :**

فى التاسعة والعشرين ، غير متزوج . يعول والدته العجوز .

أصيب بارتجاج فى المخ وحروق .

• **مساعد أمين مخزن – أحمد صابر محمد :**

فى العشرين . غير متزوج . يعول والدته .

أصيب بكسر فى العمود الفقرى . إستمر علاجه عاما كاملا . كان خلال النصف الأول منه فى قميص من الجبس .

• **الكاتب – عبدالرحمن عفيفى فراج :**

فى الثالثة والعشرين . غير متزوج .

أصيب بحروق فى حاجبه الأيسر . وتشوهات ... أكثر من هذا ، فقط أصيب بصدمة عصبية أثرت عليه .

★ ★ ★

ذلك ما حدث لأعضاء اللجنة ولمن حولهم وهو الحادث الذى أشار إليه عبد الناصر فى حديث إلى « المحرر اللبنانى » ووصفه بأنه عملية قذرة قامت بها اسرائيل !

★ ★ ★

ولقد جرى تحقيق .... وربما يسأل القارىء عن نتائجه ... كما لابد وأن يكون قد سأل عن نتائج التحقيق فى حادث السكرتيرة الحسناء « **هانيلور ويندى** » .. لكنى سوف أستسمحه فى التأجيل برهة .. حتى أمضى معه إلى غير ذلك خلال رحلتنا معا داخل دهاليز العمليات السرية وخفاياها التى نسجت قصة العلماء الألمان فى مصر .

● صورة نادرة أثناء تجربة الصاروخ المصرى ويبدو فيها العالم الألمانى بيلنز فى نقاش مع السيدين كمال حسين وحسن ابراهيم ومعهم عصام خليل (يبدو ظهره) وإلى اليمين حلقة نقاش أخرى حيث جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر والفريق صدقى محمود قائد الطيران والفريق سليمان عزت قائد البحرية .. وإلى أقصى اليسار اللواء سليم طاهر ●

المكان الذى وقع فيه الانفجار فى المصنع الحربى المصرى .

عزرائيـــل رقـم ٧٧

لقد كان ذلك ونحن لانزال فى الشتاء الذى يدق الأبواب والنوافذ .. لكن الدقات هذه المرة كانت متهالكة ، فقد أصبح الشتاء عجوزا ، واستعد الناس لاستقبال الربيع ، رمز الحب .. والحياة ... والسلام ...

استعد الناس لاستقبال الربيع ، ولابد أن مئات منهم يتنقلون – فى هذا الوقت – من بلد إلى بلد للسياحة أو لمهام أعمالهم ... كلهم مقبلون على الحياة بإبتسامة متفتحة وهم يخرجون أيديهم من المعاطف لاستقبال رذاذ المطر كأنهم يسخرون منه فهو ذاهب بعد قليل وسينعمون بنسائم الربيع ودفء الصيف .

وفى هذا الوقت تكثر الحركة بالموانى والمطارات ويدب شعور بالنشاط ...

لكن عدداً آخر من الناس لم يفكر فى هذا . وإنما كان يحب أن يعيش دوما فى ظلام ويتصرف وفق مبادئه الخاصة به هو ، وليذهب الآخرون إلى الجحيم !

هكذا عقيدتهم ... إيمان بغير حدود بأن الغاية – مهما إنحطت – تبرر الوسيلة وإستهانة – جريئة وقحة – بكل البشر فيما عداهم .

وبهذه العقيدة وضعوا شبح عزرائيل بجوار الملايين قد تكون أنت واحداً منهم .

لقد أرسلوا طرد متفجرات من هامبورج فى ألمانيا فى الأسبوع الأول من شهر فبراير سنة ١٩٦٣ – وكانت المتفجرات شبيهة « بطرد الموت » السابق الذى قتل خمسة وأصاب تسعة .

وكان الطرد – هذه المرة – صندوقاً من الكرتون المقوى داكن اللون ، قالوا لموظف البريد فى هامبورج عندما استعد ليملأ بيانات استمارة الشحن انه يحتوى على تسعة كتب فنية (كتالوجات) لكن الحقيقة أنه كان يحتوى على ٧ كتب فقط ، أما الفرق بين وزن التسعة وبين وزن السبعة فكان هو وزن شحنة المتفجرات فى تجويف داخل ثلاثة كتب وضعت فى منتصف الكتب السبعة .

ولقد أراد موظف البريد فى هامبورج – وكان هذا متوقعا – أن يستوثق من الطرد ففتحه أمام مرسليه لكنهم وبحركة تمثيلية التقطوا أول كتاب وفتحوه ، « لاشىء » وقالوا أن وزنه معروف ، وبالحساب فإن وزن كل التسعة كذا ... وكان أن صدق موظف البريد ، وزيادة فى الحيطة وزن بعد ذلك الطرد كله فوجده يزيد ٥٠ جراما فقال الواقفون أمامه فى براءة وهم يشيرون إلى الطرد : لابد أنه فرق وزن الصندوق فنحن لم نكن نعرف وزنه بالضبط قالوا هذا ولم يقولوا أن هذا الفرق زيادة فى وزن المتفجرات حتى يكون مفعولها أكيداً . !

وبالاجراءات العادية أنهى موظف البريد عمله بغلق الطرد وأعاد قراءة العنوان المرسل إليه : « **دكتور بول جيركه** » .. **القاهرة ... الجمهورية العربية المتحدة** » **ثم حسب حسبته وأخذ منهم قيمة إرسال الطرد بالبريد الجوى وكتب عليه رقم استمارة الشحن** (٧٧) .

• وأصبح شبح عزرائيل يحمل رقم « ٧٧ »

وظل الطرد ... أو على الأصح الشبح ، فى مخزن مكتب البريد يهدد الموجودين والمترددين عليه من بشر ... ثم انتقل فى سيارة البريد بهدوء ليهدد الشوارع التى سارت فيها وكل من تصادف وجوده من أطفال ونساء ورجال حتى استقر فى مكتب شركة طيران لوفتهانزا باعتبارها الشركة الألمانية – الوطنية – ولها خطوط طيران تصل إلى القاهرة ... وفى مكتب الشركة ظل الشبح يهدد .. ثم انتقل إلى مطار هامبورج يهدد المطار الذى تعتز به بلاده ، ويهدد بالتالى كل الطائرات ويهدد الركاب والعاملين ومن المطار أنتقل الشبح إلى إحدى طائرات لوفتهانزا لتحمله إلى القاهرة عبر مطارات أخرى هبطت فيها خلال رحلة الخطر ... وبالتأكيد لم يكن قائد الطائرة – باعتباره مسئولا عن سلامتها وسلامة الركاب – يعلم أنه يحمل معه شبح عزرائيل ، يهدد به كل ما فى المطارات التى وصل إليها بما فيها من طائرات ومنشآت وأجهزة وبشر من كل جنس ودين ... مع أن قوانين الطيران التى تلتزم بها كل الدول تنص على عدم حمل متفجرات أو مواد قابلة للاشتعال فى الطيران المدنى !

المهم .. فلقد وصل الطرد أو لقد وصل شبح عزرائيل إلى القاهرة يوم ١٤ من شهر فبراير سنة ١٩٦٣ ... ولابد أن أيد كثيرة فى الخارج يومها كانت موضوعة على القلوب ترقب فى قلق ، ماذا سيحدث ؟ فأصحابها كانوا يتتبعون خط سير الطرد ويوم أن وصل ... نشطوا بكافة أجهزتهم وعملائهم ليعرفوا أين أنفجر ... وماذا حدث .. وما هو رد الفعل ؟

ولقد إستمر قلقهم طويلا ... فرغم أن الرجال فى القاهرة قد فطنوا للأمر واكتشفوا الطرد .. وقام الخبراء بفتحة وأبطال مفعوله ، إلا أنهم لم يعلنوا عن ذلك مما ضاعف الحيرة والقلق عند الذين أرسلوه فى الخارج ... بل إن قلقهم وحيرتهم قد دفعهم تحت حالة من الهستيريا المحمومة إلى معاودة الفعل فكان أن أرسلوا عددا أخرا غير قليل من المتفجرات فى طرود على أشكال مختلفة ... وكان هدفهم أن تنجح فى الانفجار والقتل والارهاب ليتحقق لهم غرضان هامان :

أولاً : أن يضعوا العلماء الألمان العاملين بالجمهورية العربية المتحدة (هكذا كان إسم مصر وقتها) فى موقف رعب وفزع مستمر بحيث يؤمنون ألا نجاة لهم لو استمروا فى مصر .

ثانيـا : أن يضعوا الرجال المسئولين عن حماية هؤلاء العلماء فى حالة يأس ...

لكن **لا العلماء فزعوا ... ولا الرجال يئسوا ... !**

ان كل شحنة متفجرات كانت تصل من الخارج كانت تجد من يستقبلها ليبطل مفعولها واستمر ذلك طويلا دون اعلان ... والقلق يعصر قلوب الذين يرسلون الأشباح ... حتى كان أول إعلام لهم يوم كان لى شرف أن أنشر فى « جريدة الأهرام » يوم ١٦ من شهر أبريل سنة ١٩٦٣ م . أول تحقيق على صفحة الأهرام الثالثة عن أسرار الطرود الاسرائيلية .

لكن قبل هذا التاريخ ، كانت قد وقعت مغامرة مثيرة تدخل ضمن فصول قصة العلماء الألمان .. رغم أن مسرحها كان خارج حدودنا . !

● هذه اللوحة تمثل الحادث الذى تعرض له كلاينفختر فى مدينة لوراخ ●

● مجموعة من العلماء الألمان فى صورة التقطت لهم عام ١٩٦٢ .. ويظهر . بيلز وأمامه جيركه وإلى يساره ابنته هايدى ثم كلاينفختر وكان هؤلاء الثلاثة وقتها يخفون وجوههم حتى لاتعرفها اسرائيل ! ●

مغامـرة « لـوراخ »

لم يكن قد تبقى من الشتاء سوى نهايته ... وعلى أى حال فإن المسألة تتوقف على المكان الذى توجد به لتحس : هل هناك برد أم لا ... ودرجة ذلك ... ؟

فمثلا فى مكان مثل مدينة « لوراخ » الألمانية كان الجو بارداً بحيث يجبر الناس على ارتداء الملابس الثقيلة ... ولذلك فقد ارتدى العالم الألمانى « **دكتور هانز كلاينفختر** » بالطو أسود اللون فوق بدلته ذات اللون البترولى ... وأكثر من هذا وضع كوفية من الصوف حول رقبته ليبعث الدفء فى أوصاله . ولم يتخل عن ملابسه الثقيلة حتى بعد أن ركب سيارته السوداء التى قادها بنفسه بعد أن غادر معمله فى أطراف المدينة ، وأخترق الشوارع المبتلة ثم أنحرف إلى طريق تحفه الأشجار ... ولم يكد يقطع مسافة قصيرة بسيارته حتى وجد سيارة غريبة تقف أمامه فجأة ، فأوقف سيارته منعا للمجازفة ... وبدأ يدقق النظر من خلف نظارته الطبية ومن وراء زجاج النافذ رأى شخصا يغادر السيارة الأخرى الغريبة ، ثم يتجه إليه من ناحية اليمين . ويتوقف أمام نافذة الباب المغلقة ويشير بيديه بمعنى : « **افتح النافذة فإنى أريد التحدث معك** » لكن دكتور كلاينفختر وهو عالم يحرك ذكاءه بسرعة رفض وتصنع عدم الفهم ثم حرك عينيه إلى المرآة المعلقة أمامه فرأى خلف سيارته شخصا يرتدى معطفاً ويفرد ياقته بحيث أخفت منتصف وجهه الأسفل بينما القبعة أخفت النصف العلوى منه ... وكان هذا الشخص يمسك مسدسا بيده اليمنى ومرت لحظات بطيئة رهيبة كان خلالها دكتور كلاينفختر غارقا فى تفكيره ، بينما الذى على يمينه يقف متربصاً والذى خلفه يشهر السلاح !

ولما مضت دقائق ولم يتغير من الموقف شيء فقد أسرع الشخص الواقف إلى يمين السيارة وأطلق رصاصتين من مسدسه حطمتا زجاج نافذة السيارة ودخلتا فيها لتستقر احداها بين ثنايا « الكوفية » التى وضعها كلاينفختر حول رقبته !

رعاية الله وحدها هى التى أنقذت العالم الألمانى الذى أسرع على الفور بفتح باب السيارة الأيسر ثم قفز منه جاريا إلى منزله على بعد مسافة قريبة ومن هناك

التقط سماعة التليفون وفى كلمات سريعة متقطعة أبلغ عما حدث ... وجاءت سيارة البوليس لتجد السيارة والآثار التى بها وبالأرض المحيطة ... لكنها لم تجد أحداً ... !

وكان طبيعيا أن يفحص البوليس سيارة العالم بحثا عن شىء قد يكون الجناة قد تركوه وكانت المفاجأة – **وهذا سر يذاع لأول مرة** – أنهم وجدوا جواز سفر مصرى يحمل إسم وبيانات ضابط طيار مصرى هو المقدم طيار **سمير أحمد على** ... وكان معنى ذلك أن الجناة يريدون إبعاد الشبهة عنهم فألقوا بهذا الجواز المزور حتى يحولوا التهمة إلى القاهرة باعتبار أن الجانى هو المقدم سمير ، وقد سقط منه جواز سفره سهوا ؟!

هكذا .. كانت خطتهم فى أن يوهموا البوليس الألمانى بأن الفاعل انما هو **الطيار المصرى** ... فتنتشر الحكاية ويصدقها الرأى العام كله ... وكان مدبراً ان تلتقط أجهزة الاعلام الخاضعة للنفوذ الصهيونى ما حدث لتعلنه بكافة الطرق ... لكن – وعلى حد تعبير المثل الشائع : « لاتأتى الرياح بما تشتهى السفن » . فلقد تقدم أحد الألمان إلى البوليس بعد ذلك بأيام قليلة وقال أنه لايمكن أن يكون ذلك صحيحا لسبب واحد فقط هو ببساطة أنه : – أى الألمانى – كان فى القاهرة يوم الحادث وكان فى ذات اليوم فى كازينو الأوبرج بشارع الهرم مع صديقه الطيار سمير أحمد على ... وقدم الألمانى دليلا على ذلك جواز سفره الذى ثبت فيه :

... أنه عاد من القاهرة بعد الحادث ، كما قدم صورة له ، هو وسمير وبعض الأصدقاء فى « الأوبرج » التقطت لهم فى الكازينو ، ووقع عليها سمير بعد كتابة عبارة تحية وتاريخ اليوم .

وأسقط فى أيدى الذين ارتكبوا الحادث ودبروا خطتهم الوهمية وبدا فشلهم ذريعا وخلال ذلك ... وقبل أن نفسر ، وقعت عدة أحداث :

●● ففى اليوم التالى مباشرة لمحاولة إغتيال « كلاينفختر » كان فى منزله عندما تسلم رسالة فتحها بسرعة ، فوجد ورقة صغيرة بها عبارة واحدة فقط باللغة الفرنسية ترجمتها الحرفية :

● **« إن من يأكل اليهود جزاؤه الموت » !!**

وضحك دكتور كلاينفختر طويلا ، ثم قام يروح ويجىء فى حجرته – حجرة المكتب بمسكنه – وهو يعيد مرة ومرات قراءة الرسالة القصيرة ويفكر « لماذا أرسلوها إليه ؟ »... ؟ هل لأنه يتعاون مع مصر فى ميادين العلم لأغراض سلمية ؟ ... هل : « كل من ليس مع اسرائيل يعتبر عدوا لها جزاؤه الموت ؟؟ »

واتجه العالم الألمانى الملىء بالحيوية إلى مكتبه ، وأمسك بقلمه وعلى الورق بدأ يكتب بيانا يعلن فيه أنه سيظل يتعاون مع القاهرة فى الأغراض السلمية ولن يرضخ – مهما حدث – لارهاب اسرائيل ... ولكنه مزق البيان وآثر أن ينتظر التطورات القادمة ...

ولقد مر اليوم الثالث هادئاً ...

و ... وفى اليوم الرابع تلقى رسالة غريبة . تعلن عن جرأة وقحة وفى ذات الوقت تفضح مخططات اسرائيل ... قالت الرسالة ضمن ما قالته بلا لف ولا دوران :

« ... إنه من الصعب الوقوف ضدنا ... وانك إذا كنت قد أفلت من الموت فلابد إنك ستموت ... إنك الآن تنتظر مصيرك ! ... إننا من القوة بحيث لا يصعب علينا أى هدف . إننا نسيطر على ثمانين فى المائة من صحافة الولايات المتحدة الأمريكية – أقوى صحافة فى الدنيا – ونسيطر على ٥٠ فى المائة من رأس المال العالمى ... إنك لن تنجو منا ... » .

ماذا يفعل كلاينفختر بعد هذا ؟

لقد ركب أول طائرة متجهة إلى القاهرة ...

وقبل أن تبرد حكايته ، وقبل أن تنتهى أثار مغامرة « لوراخ » .. كانت هناك مغامرة أخرى أكثر جرأة ... !

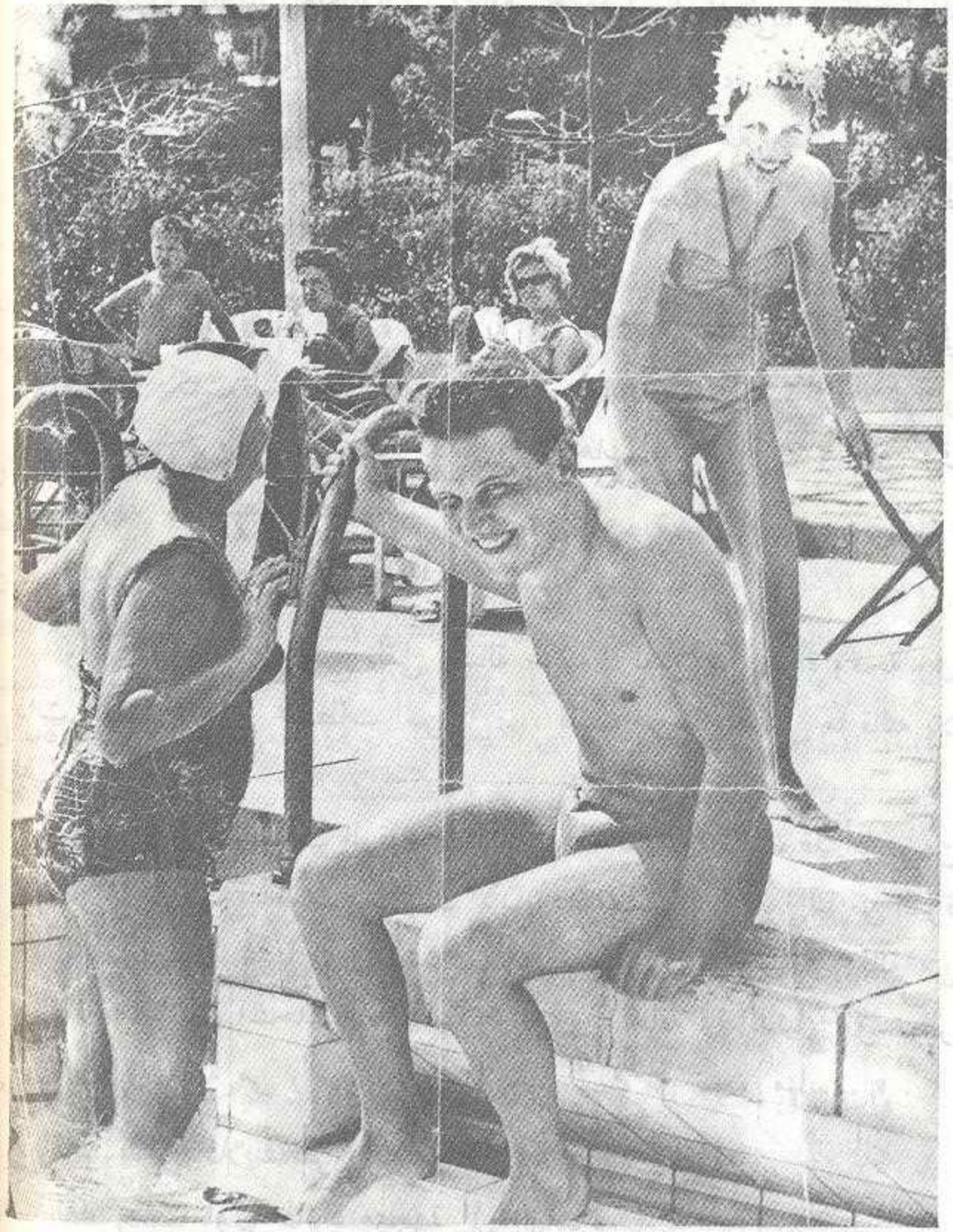

● هايدى ابنة العالم الألمان جيركه مع شقيقها رينيه وجدتها ــ والدة الأب ــ فى أحد حمامات السباحة بالقاهرة بعد تهديدها فى سويسرا ●

حكايــة « هايــدى »

كانت بشائر الربيع قد لاحت فى الأفق ، فنحن الآن فى اليوم الثانى من شهر مارس عام ١٩٦٣ والهواء رقيق يدغدغ نوافذ المنازل الصغيرة « فى المدينة الألمانية **فرايبورج** » ... وفى داخل المنزل الذى يخص العالم اللألمانى « **بول جيركه** » كانت أمه العجوز – ٩٢ سنة – وابنته الشابة : « **هايدى** » – ٢٤ سنة – وابنه الفتى « **رينيه** » – ١٦ سنة – وكان كل من الثلاثة ينشغل بأموره اليومية ولم يكن هناك ما يتوقعونه فى هذا اليوم فان دكتور « **جيركه** » وزوجته كانا فى القاهرة ، وقد أرسلا فى اليوم السابق خطابا يطمئنان فيه الأسرة عليهما ...

وفجأة ... دق جرس التليفون ، والتقط الابن السماعة .. لكن المتحدث طلب شقيقته « هايدى » .

وجاءت « هايدى » .. وبدأ الحديث ...

قال المتحدث انه زميل لوالدها وكان يعمل معه فى القاهرة لكنه ترك العمل خوفا على حياته – فان كل عالم يعمل فى القاهرة مصيره الموت ثم طلب المتحدث من « هايدى » أن تقابله فى نفس اليوم فى مدينة « بال » السويسرية خصوصاً وأن مدينتها فرايبورج قريبة من الحدود . وأضاف أن هذا اللقاء : يتوقف عليه مصير والدها ! ..

وانتهى الحديث ، ولما عرفت الجدة من حفيدتها « هايدى » ما حدث طلبت منها عدم الذهاب وهى تذكرها بحكاية الطرد الذى وصل إليهم فى شهر ديسمبر السابق بعد حديث تليفونى جاء من زيورخ بأن جيركه أرسل لهم هذا الطرد إلى زيورخ بما فيه من متفجرات !

أصرت الجدة على الرفض ، لكن حفيدتها بما فيها من دماء الشباب الحارة صممت على الذهاب وأخذت شقيقها – رينيه – معها ، وكان تصميمها لسببين :

الأول : أن الأمر يتعلق بحياة والدها ... وفى سبيل الأب تهون المخاطر ...

الثانى : انه بعد حادث الطرد السابق (فى ديسمبر) وبعد طرد بيلز – فالبوليس يراقب منزلهم ولابد أنه سيحميها ...

وأسرعت « هايدى » ابنة الخامسة والعشرين إلى البالطو لترتديه وتحفز شقيقها رينيه ليستعد لمصاحبتها وفى ذات اللحظة جاءت قريبتها « دوريس ايميجيت » فرافقت الأخوين فى الرحلة إلى « بال » ...

.. ووصل الثلاثة إلى المدينة السويسرية واتجهوا إلى فندق « الملوك الثلاثة » حيث دخلوا كافتيريا الفندق ... وكانت هايدى تسير فى المقدمة وهى تضع نظارتها السوداء على عينيها ، وجاء شخص حياها وصافحها ، واصطحبها إلى إحدى المناضد فتبعته هى وشقيقها بينما إكتفت قريبتها بأن تجلس وحيدة فى منضدة قريبة تختلس السمع والنظر ...

ووجدت هايدى وشقيقها ... شخصا آخر كان يجلس على المنضدة التى يقصدانها ولما أبدت دهشتها ... قال الأول وهو يشير إليهما بالجلوس أنه سيعرفهما الآن بكل شىء وأضاف أنه هو الذى تحدث تليفونيا وأن اسمه هو « أوتوجوكليك » وهو عالم نمساوى كان زميلا لوالدها ، أما الشخص الثانى فهو ، « جوزيف بن جال » إسرائيلى الجنسية وموظف فى وزارة الثقافة الاسرائيلية (!)

وكما بدأ جوكليك الحديث فلقد إستمر فيه ، بينما هايدى ورينيه يرشفان عصير الليمون الذى جاء به جرسون حاد النظرات ... قال النمساوى ذو الجسد المربع ، أنه هو الذى دبر لهما هذا اللقاء مع بن جال « لأن الأمر يتعلق بوالدهما دكتور جيركه الذى يتعرض لتهديد من جانب منظمة يهودية ، تهدف إلى منع العلماء الألمان من العمل فى مصر ، إن هذه المنظمة تريد من والدهما أن يعود إلى ألمانيا » ثم سكت جوكليك ونظر إلى « بن جال » مشيرا إليه ، ثم التفت إلى هايدى وقال : وسأترك ، الهر بن جال يتحدث بنفسه » ... أشعل بن جال سيجارته وقال بنبرات هادئة وهو يضغط على حروف كلماته :

« إنه مبعوث من حكومة اسرائيل ... وإن الحكومة والمنظمة لهما غرض واحد هو ... إستخدام كافة الوسائل بما فى ذلك القوة لمنع العلماء الألمان من المضى فى مزاولة نشاطهم فى القاهرة . فإنه يجب القضاء على العلماء الألمان بسبب إقحامهم أنفسهم فى الخطط التى تضعها مصر للقضاء على اسرائيل » .

وقال بن جال لهايدى وهو يتوجه بالحديث إلى شقيقها رينيه بينما الجرسون حاد النظرات يرفع أكواب عصير الليمون :

- **« لقد أعطينا والدك فرصة ... وتركناه حتى الان فى سلام وأنت تعلمين ماذا حدث لسكرتيرة بيلز ولكلاينفختر ... إننا نريد منك يا هايدى أن تسافرى إلى والدك خلال ثلاثة أيام لاخطاره بتحذيرنا . »**

ثم سكت بن جال وعاد ليقول وهو يعبث بعلبة سجائره :

- « لو لم يكن معك أجرة السفر ، فنحن على استعداد لاعطائها لك ... لأننا قد رصدنا **مليون دولار** وعلى استعداد كامل لانفاقها فى سبيل تحقيق غرضنا وهو منع والدك من العمل فى مصر ... أو قتله لو استمر فى ذلك ... ان استمراره فى العمل سيجعله يأسف أشد الأسف ، وسوف يؤدى ذلك إلى **أن يخسر أكثر من شخص حياته** ... ؟ هل تريدين أجرة السفر ؟ »

قالت هايدى وهى تغالب انفعالها : « لاشىء ... لاأريد شيئا » .

ثم نهضت ، وتبعها شقيقها رينيه ، واتجها إلى الخارج ومن خلفهما قريبتهما « درويس » التى كانت جالسة على مائدة مجاورة تختلس السمع والنظر ...

انصرف الثلاثة بينما تبادل « جوزيف بن جال » و« أوتوجوكليك » نظرة إرتياح ورفع بن جال يده يطلب الجرسون ليدفع له الحساب ... ولم يلاحظ وهو يخرج النقود أن الجرسون قد تبدل ... وإن الذى يأخذ منه الحساب الآن غير الذى أحضر له المشروب .. لم يلاحظ ذلك لا هو ولا جوكليك ربما لعدم دقتهما فى الملاحظة ... وربما لأن « المشبوه » .. لايتفرس عادة فى وجوه الناس ليعرفهم وإنما دائما ينظر فى أى مكان غير العيون ....

على كل ... فلقد نهض الاثنان وفى ذات اللحظة كانت عيون تراقبهما وتنظر إلى باب جانبى يؤدى إلى داخل الفندق ، وخرج منه على التو الجرسون الذى أتى من قبل

بالليمون ، لكنه هذه المرة كان فى ملابس أنيقة ... لقد كان واحدا من رجال البوليس السرى السويسرى جاء هو وزملاؤه ليراقبوا ما يحدث لأنهم كانوا قد عرفوا الكثير عن « بن جال » و« جوكليك » وتهديداتهما للأبرياء ...

* * *

وحتى لا أنسى نفسى ... فلنكمل الحكاية ...

لقد عادت هايدى وشقيقها وقريبتهما إلى منزل دكتور جيركه فى فرايبورج أما بن جال وجوكليك فقد اتجها على الفور إلى مدينة زيورخ وعندما أصبحا داخل المدينة وأثناء سيرهما أمام قاعة رقص هجم عليهما رجل البوليس السويسرى الذى كان منذ قليل جرسونا ومعه أربعة من زملائه ...

ولقد كانت المفاجأة قوية بالنسبة لبن جال فإرتعد وحاول الهرب لكن الرجال أحاطوه فصرخ مذعوراً : « إنى لست مسلحا » ..

وأقتيد الأثنان : « بن جال » و « جوكليك » إلى السجن لتقديمهما إلى المحكمة فى مدينة بال بأعتبارها كانت مسرحا لما حدث ... وحتى يحين موعد المحاكمة أفرج عن المتهمين بالضمان المالى !!!

* * *

وربما أضيف هنا تعليقا بأن الأصل فى حبس المتهم احتياطيا حتى يحين موعد محاكمته هو ضمان عدم هروبه ... فإذا كان المحقق على ثقة بأن المتهم لن يهرب وإنما سيحضر يوم محاكمته ليتلقى الحكم بعدها – سواء بالبراءة أو الأدانة – أفرج عنه بالضمان الشخصى أو المالى ولكن فى الجرائم الخطيرة فإن المحقق يحبس المتهم لاحتمال هروبه أو تدخله – بأسلوب ما – بما يمس سلامة التحقيق كالاتصال بأطراف القضية أو التزوير أو التهديد ...

ونعتقد هنا أن الجريمة المعنية – وهى تهديد هايدى – تدخل فى نوع الجرائم الخطرة ... لكن لم يكن الافراج عن المتهمين يستند إلى تفسير قانونى وإنما إلى تواطؤ غير شريف يهدف إلى تمييع القضية كما سنرى فيما بعد ... !

إنه فى الوقت الذى كان فيه المدعى العام السويسرى « هانز فيلاند » يعد قرار الاتهام الذى طالب فيه بالحبس ثلاثة أشهر للاسرائيلى « بن جال » والحبس ١٠٠ يوم ، وغرامة ١٠٠٠ فرنك للنمساوى « أوتوجوكليك » مع إبعاد الاثنين ومنعهما من دخول سويسرا لمدة ١٥ عاما (خمسة عشرة عاما) ... فى هذا الوقت كانت هايدى وشقيقها قد سافرا إلى القاهرة يرويان ما حدث للأب وزملائه ويترقبون جميعا موعد المحاكمة .

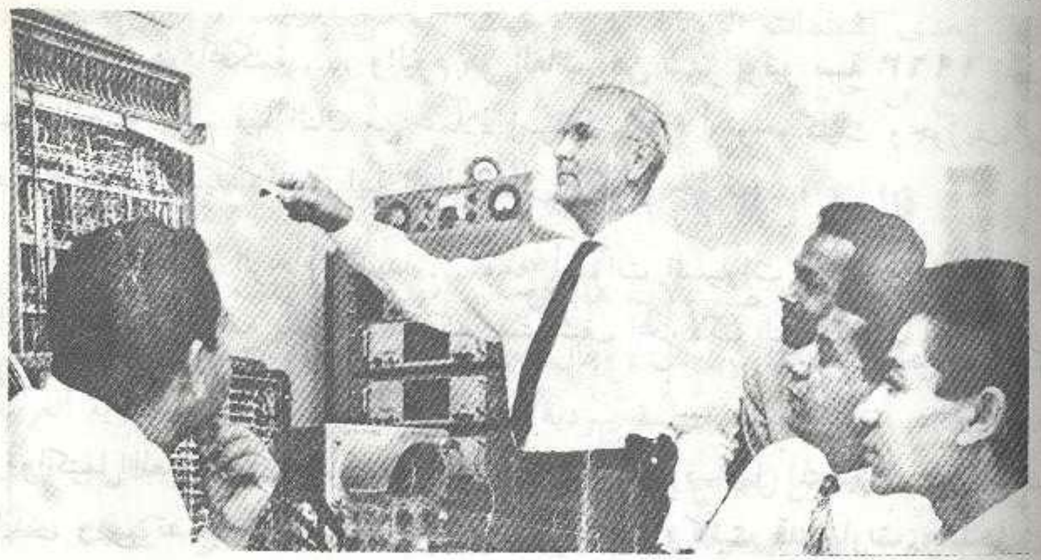

• د . جيركة فى قاعة محاضرات بإحدى قواعد الصواريخ يشرح لمجموعة من المهندسين والفنيين المصريين الشباب •

• د . كروج الذى خطفته اسرائيل من باريس !

• د . كلاينفجر .. العالم الذى حاولوا قتله .

كوميديا بال

مدينة « بال » فى سويسرا ... والصيف يدفع إليها بآلاف السياح ... والشوارع تشهد على غير العادة حركة نشطة فى اتجاه مبنى يحيط به عشرات من رجال البوليس ويتجمع أمامه صحفيون ومصورون بلا عدد ... وبين الحين والحين تقف سيارة أمام المبنى فيتجه إليها الزحام يرى من فيها ... وماذا سيقول ؟ .

إن المبنى هو المحكمة .... **واليوم هو العاشر من شهر يونيو سنة ١٩٦٣** المحدد لنظر القضية المتهم فيها اثنان من عملاء اسرائيل هما « أوتوجوكليك وجوزيف بن جال » بجريمة تهديد هايدى ابنة العالم الألمانى دكتور جيركه .

أمام المبنى كان الزحام شديدا ... ومع أصوات السيارات فى مسيرها ووقوفها كانت التعليقات ترتفع بأن هذه المحاكمة ستكشف المحاولات التى تمارسها اسرائيل فى الخفاء .

وإكتمل العدد .... وصل القضاة ... وصلت سيارة تحمل المتهمين .... وصلت هايدى وهى تضع نظارتها السوداء على عينيها .... **وكانت قد زارت والدها فى القاهرة عقب الحادث** .... ثم عادت إلى سويسرا قبل موعد المحكمة بيومين ....

وبدأت المحاكمة :

وقف المدعى وقرأ قرار الاتهام الموجه إلى المتهمين .

- **قال قرار الاتهام :**

« إن العميلين جوزيف بن جال الموظف الاسرائيلى ... وأتوجوكليك النمساوى قد صدرت عنهما تهديدات خطيرة ضد العالم الألمانى جيركه الخبير فى الألكترونات ... وذلك أثناء مقابلتهما لهايدى جيركه فى أحد فنادق مدينة بال يوم ٢ من مارس بحضور شقيقها رينيه والسيدة « دوريس ايميجيت » قريبتهما وقد سجلت الأحاديث التى دارت فى هذه المقابلة على شريط كامل دون أن يحس العميلان ... كما كان رجال البوليس السويسرى موجودين داخل الفندق وقد ارتدى بعضهم ملابس الخدم ليتابعوا

كل ما يجرى أثناء الحديث وخلال هذه المقابلة قال بن جال أن البروفسور جيركه سيأسف أشد الأسف إذا هو لم يكف فورا عن نشاطه الحالى لحساب الحكومة المصرية . وكان بن جال قد حضر إلى أوروبا فى أكتوبر الماضى بناء على تعليمات من ادارة المخابرات السرية الاسرائيلية وكانت مهمته هى التوصل إلى السبل والوسائل الكفيلة بمنع العلماء والمهندسين الألمان من العمل فى إنتاج الأسلحة الحديثة متبعا فى ذلك ما يراه مناسبا من الوسائل أما جوكليك فإنه وقع – كما قال – تحت ضغط من جانب إحدى المنظمات اليهودية التى وجهت إليه تهديدات وأنه أبدى استعداده للتعاون مع بن جال ... »

- **و ... قال قرار الاتهام ...**

« ان جوكليك قد إتصل بالإبنة هايدى جيركه فى منزلها بمدينة فرايبورج فى ألمانيا الغربية بناء على تعليمات بن جال ، وقال إنه عمل مع والدها البروفسور جيركه الذى يتعرض لتهديد من جانب منظمة يهودية عقدت العزم على منع الجمهورية العربية المتحدة بأية وسيلة من التسلح نوويا وأنه هو الذى دبر لاجتماعها مع بن جال فى فندق الملوك الثلاثة فى « بال » وقال إن وجوده معها فيه الضمان لحياتها . كذلك حضر المقابلة شقيقها رينيه . »

- **ومضى قرار الاتهام الذى تلى فى المحاكمة يصف إجتماع فندق الملوك الثلاثة فقال :**

« لقد قدم بن جال نفسه إلى هايدى وشقيقها على انه مبعوث من قبل حكومة إسرائيل وقدم لحديثه ببعض كلمات عن اضطهاد اليهود فى ظل الرايخ الثالث (هتلر) وعن التهديد الجديد لدولة اسرائيل من جانب مصر التى تصنع صواريخ مزودة برؤوس نووية وكيمائية بقصد تدمير اسرائيل ... وأشار إلى الخبراء اللألمان المشتغلين بصناعة هذه الصواريخ فى مصر ومن بينهم والدها البروفسور جيركه .... **فقال بن جال أن غرض حكومته والمنظمة التى يعمل معها هو استخدام كافة الوسائل بما فى ذلك القسوة لمنع هؤلاء الخبراء الألمان من المضى فى مزاولة نشاطهم** . وهذه المنظمة

تتألف من النزلاء السابقين بمعسكر الاعتقال الذين أصبحوا متعصبين ولن يترددوا فى القيام بأى عمل ولو كان القتل والهجوم بالقنابل ... والاختطاف فإنه يجب القضاء على العلماء الألمان المشتغلين بالأبحاث بلارحمة بسبب إقحام أنفسهم فى الخطط التى تضعها مصر للقضاء على اسرائيل . »

• **وأضاف بن جال كما جاء فى قرار الاتهام :**

« إنه نظرا لأنه من الواضح أن البروفسور جيركه ليس نازيا فقد رئى أعطاؤه فرصة ، وهذا هو السبب فى تركه حتى الآن فى سلام فلم يحدث له ما حدث للبروفسور **بيلز** الذى أرسل إليه طرد يحتوى على متفجرات أو للدكتور كلاينفختر الذى جاءه التحذير عن طريق الهجوم الذى وقع عليه فى يوم ١٠ فبراير الماضى .... ثم طلب بن جال من هايدى أثناء مقابلتها فى فندق الملوك الثلاثة – أن تسافر إلى مصر خلال ٣ أيام لتوضح لوالدها خطورة موقفه ... وقال لها أن مشروع إنتاج الصواريخ المصرية سيكون قد تم تنفيذه بعد بضعة أشهر لأن الأسلحة الجديدة ستظهر فى العرض العسكرى الذى يقام يوم ٢٣ يوليو القادم (أثناء الاحتفالات بعيد الثورة)[1] ...

• **وبعد أن إنتهى ممثل الادعاء من تلاوة قرار الاتهام ، وجه رئيس المحكمة التى تضم ستة قضاة سؤاله التقليدى إلى المتهمين عما إذا كانا مذنبين أو غير مذنبين ؟**

هنا وقف بن جال وقال أنه غير مذنب ....

ووقف جوكليك ، وقال : أنه غير مذنب فيما وجه إليه بشأن تهديد ابنة العالم الألمانى ... لكنه مذنب فى تهمة واحدة ، وهى « خرقه قرار بمنع دخول الأراضى السويسرية ! »

---

(١) كان اطلاق الصاروخ القاهر والصاروخ الظافر فى ٢١ يوليو ١٩٦٢ ، أى العام السابق لهذه المحاكم ، أما المقصود به هنا فهو الصاروخ الجديد الذى جرى تطويره ، وبالفعل ظهر الصاروخ الرائد وهو متعدد المراحل .

وبدأ جوكليك بعد ذلك يروى كلاما غريبا عن الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وصناعة الصواريخ فيها ... وتلاه بعد ذلك محاميه ... وبدأ على نفس اللحن يغنى ... !

وكان كلام الاثنين بعيداً عن جوهر القضية ... وأصبحت المحاكمة على حد ما وصفت وكالة اليونايتد برس الأمريكية محاكمة لمصر بعد أن إستغلتها اسرائيل لمصلحتها – فى الدعاية – ضد القاهرة ... بحكم السيطرة الصهيونية على الاعلام ونفوذها فى دوائر المال والحكم !

* * *

إن هذا الذى جرى يعتبر سابقة أولى وخطيرة فى تاريخ القضاء والعدالة ... ثم هو يعتبر أيضا سابقة خطيرة فى تاريخ الصحافة والاعلام فلو ان الصحفيين وممثلى وكالات الأنباء الذين حضروا المحاكمة قد صدقوا وهم ينقلون مادار فى الجلسة على نحو مخلص وشريف لكان مجرى المحاكمة كله قد تغير ولانتفض الرأى العام العالمى كله يشجب ما حدث ويطالب التحقيق الفورى العادل .... لكن ما جرى اسدلت عليه ستائر التعتيم السوداء ... فما الذى جرى ؟

* * *

لقد نادى رئيس المحكمة على « هايدى » فوقفت فأشار لها القاضى إلى شخص فى قفص الاتهام وقال لها : **هل تعرفين هذا الشخص ؟** فقالت : « لا » .. فقال لها « **هل هو بن جال** » فقالت : « لا » ... إن بن جال ليس هذا الشخص ... إن أوصافه مختلفة تماما ... ليس هذا الذى أراه هو الذى جلس معى فى فندق « الملوك الثلاثة ! » وتوجه القاضى إلى هذا الشخص وقال له : « **هل أنت بن جال ؟** » فرد هذا بجرأة : « نعم أنا بن جال ... أنا الذى جلست مع هايدى فى فندق « الملوك الثلاثة » ... أنا الذى قبض على البوليس » .

وصرخت هايدى : « لا ... ليس هو » .

لكن رئيس المحكمة طلب منها أن تجلس وصدق كلام هذا الشخص وأعتبر أنه هو بن جال وإن هايدى لم تستطع التعرف عليه ... !

والسؤال الآن :

● هل فعلا كان هذا الشخص هو بن جال ؟

إن الاجابة تقطع بأنه لم يكن هو ! .... وإلا فلماذا لم تعرفه « هايدى » وهو الذى جلس معها فترة ؟ .... ثم إذا لم يصدقها رئيس المحكمة فلماذا لم يستدع رجال البوليس الذى قبضوا على بن جال وجوكليك ... ؟ ولماذا لم يطلب محضر الضبط والصور التى تلتقط عادة لمن تضبطهم السلطات وبصمات الأصابع التى تؤخذ منهم وشريط التسجيل ليضاهى ويقارن ؟ .

★ ★ ★

إن العملية كلها كانت مقصودة ... يأتى شخص آخر يدعى أنه بن جال – طبعا بالاتفاق والتواطؤ مع عناصر من البوليس السويسرى بتأثير الضغط الارهابى – ثم عندما تراه هايدى لاتتعرف عليه فيضعف موقفها فى القضية ... وبالتالى لا يؤخذ بكلامها ولا بكلام من هم فى صفها ....

« الغريب أيضا كما قلت أن وكالات الأنباء لم تنقل هذا الذى جرى وتحققه بمهارتها المعهودة وذلك تحت ضغط اللوبى الصهيونى »[1] .

★ ★ ★

المهم ... إنتهت الجلسة الأولى من المحاكمة بعد هذا التواطؤ وفى اليوم التالى كانت الجلسة الثانية ....

وكانت هذه الجلسة على موعد مع « هايدى » ابنة العالم جيركه ... التى وقفت لتروى ما حدث لها ... شرحت للمحكمة التفصيلات الكاملة للقائها مع بن جال وجوكليك وتهديدهما لها ... وكان مما قالته : إن بن جال قال لها : إن والدها سيقتل إذا لم يترك عمله فى القاهرة ... !

(١) اعترفت مصادر إسرائيلية فيما بعد إنه قد تم تغيير شخص المتهم بن جال بالاتفاق بين الموساد (المخابرات الاسرائيلية) وبين البوليس السويسرى .

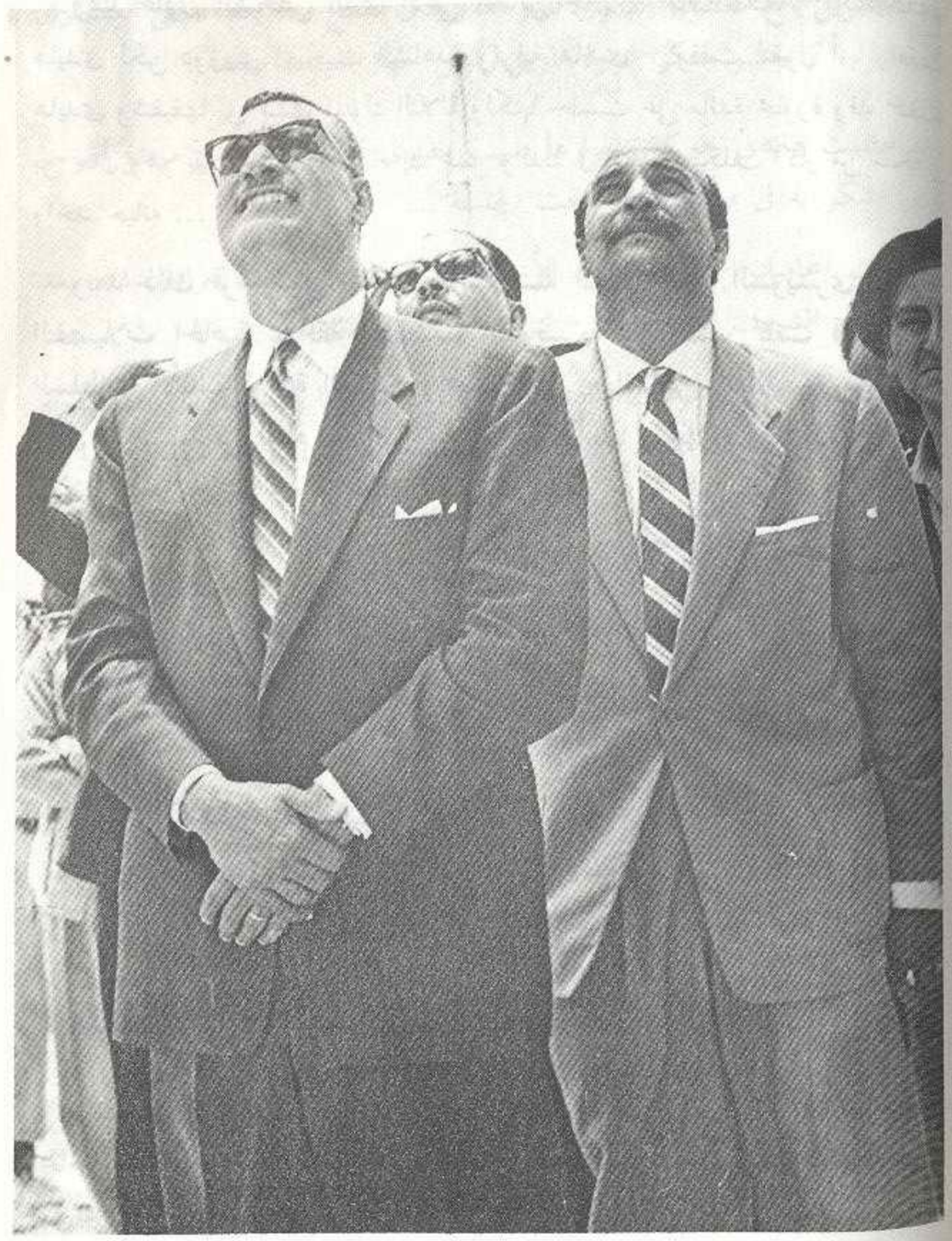

● الكولونيل محمود يقف إلى يسار عبد الناصر وخلفهما يبدو صلاح نصر وهم يتابعون اطلاق القاهر والظافر .. ●

وهنا حاول الشخص الذى ادعى أنه بن جال – أمام المحكمة – أن يكذب هايدى لكن دوريس ايميجيت الشاهدة وقريبة هايدى – وقفت لتقول أنها رافقت هايدى وشقيقها إلى فندق الملوك الثلاثة ولكنها جلست على مائدة مجاورة وقد سمعت بن جال وهو يقول لهايدى : ... إن عمل والدك فى مصر سيكلف أكثر من شخص واحد حياته ...

وبعد ذلك قرأ رئيس المحكمة بيانا أرسله المدعى العام السويسرى يتضمن التفصيلات الخاصة بموافقة السلطات السويسرية على طلب كانت قد أرسلته السلطات الألمانية لمراقبة العميلين والمحافظة على حياة أسرة العالم « جيركه » ... **وقال تقرير المدعى العام** : « أن جوكليك متهم أيضا – علاوة على هذه الجريمة – بالاشتراك فى جريمة محاولة إغتيال العالم كلاينفختر ، كما أنه متهم أيضا فى جريمة اختطاف العالم الدكتور هانز كروج الذى ، لم يعد أحد يعلم شيئا عن مصيره !! » .

ثم وقف ممثل الاتهام – الذى كان قد أعلن قرار الاتهام وهو المدعى العام – « هانزفيلاند » – وطالب بحبس بن جال ٣ أشهر وحبس جوكليك مائة يوم .... مع تغريمه ألف فرنك ... وحرمان الإثنين من دخول سويسرا لمدة ١٥ سنة ...

وانتهت الجلسة ....

وفى اليوم الثالث بدأت الجلسة الثالثة ... والأخيرة ... فى القضية التى وصفها المراقبون – من كل الاتجاهات – أنها « مسرحية ساذجة ودعاية رخيصة » . !

نهايـــة الكوميديـــا

إمتلات القاعة ... واتجهت العيون إلى الصف الأول حيث جلس على مقاعد المحامين « **جورج بروشفيج** » العضو البارز فى الجالية اليهودية بسويسرا ... و« **كارل سن** » المعروف بميوله الصهيونية .

والاثنان كانا يتوليان الدفاع عن المتهمين ... وبجوارهما جلس « **دافيد لاندور** » مدير مكتب الصحافة فى حكومة اسرائيل ... مراقبا رسميا للمحاكمة ... وحضر

أيضا **جابريل باخ** المستشار القانونى للموساد والذى أصبح فيما بعد المدعى العسكرى لإسرائيل ، كما حضر متنكرا **عزرا هاريل** رئيس جهاز الموساد بنفسه ![1]

وجلست هايدى جيركة وبجوارها طبيب مصرى كان يعالجها من مرض القرحة الذى تشكو به فى معدتها . ثم فتحت الجلسة ...

ووقف المحاميان – واحدا وراء الأخر – يدافعان ... وكانت مرافعتهما – بعد التواطؤ غير الشريف الذى رأيناه – تتركز حول أمور ثلاثة :

١ – **أن بن جال** : موظف عادى كان يطوف أوروبا للدراسة ... عهدت له حكومته – حكومة اسرائيل – كى يتصل بهايدى ... وهذه مهمة وطنية !!

٢ – **أن جوكليك** : – عالم ... وهو زميل لدكتور جيركه ... وإن حديثه مع هايدى ... لم يكن أكثر من نصيحة مخلصة !!!

٣ – **أن مصر هى (الجانية) !! والدليل** : – ذلك المصرى (يقصد الطبيب الذى يجلس بجوار هايدى فى القاعة لإصابتها بقرحة فى المعدة نتيجة ماحدث لها ويعاودها الألم بين لحظة وأخرى) .

ولقد كان الدفاع هنا يحاول تبرئة بن جال « صاحب المهمة الوطنية » وجوكليك « صاحب النصيحة المخلصة » !! ... ويحاول أن يلقى بالمسئولية كلها على مصر زاعما بغير حق إنها هى المسئولة عن عمليات الارهاب ... وحاول الدفاع أن يصور من الطبيب المصرى الذى كان يرافق هايدى ... شخصا إرهابيا . رغم أنه كان طبيبا كما تدل المستندات التى معه ورغم أنه أعزل بغير سلاح ورغم أنه لايمكن أن تقوم عمليات إرهاب من شخص داخل محكمة ... وإلا فلقد كان جديرا بالدفاع « الذكى » أن يقول كيف ؟

وبإنتهاء مرافعات الدفاع إنتهى الفصل الأخير من « كوميديا بال الهزلية » .

---

(١) كان حضور عزرا فى الوقت الذى فقد فيه موقعه .. وكان بهذا يحاول إعادة نفوذه بالإشراف على العملية التى خطط لها (انظر فصل السقوط فيما بعد) .

ثم إحتلت المحكمة بنفسها للمداولة وأخيرا أصدرت حكمها الذى يقضى بحبس المتهمين لمدة شهرين لكل منهما وذلك منذ تاريخ القبض عليهما ... أى منذ مارس ... وعليه فهما الآن وقت صدور الحكم – ١٢ يونيو – يكونان قد أمضيا فترة العقوبة ... وبناء عليه يستحقان الافراج واخلاء سبيلهما !

هكذا ... بمنتهى البساطة كان الحكم فى قضية بمثل هذه الخطورة !! . ولقد أثار آراء عنيفة لدى الكثيرين وبالذات لدى الطرف الأساسى .. المجنى عليه !

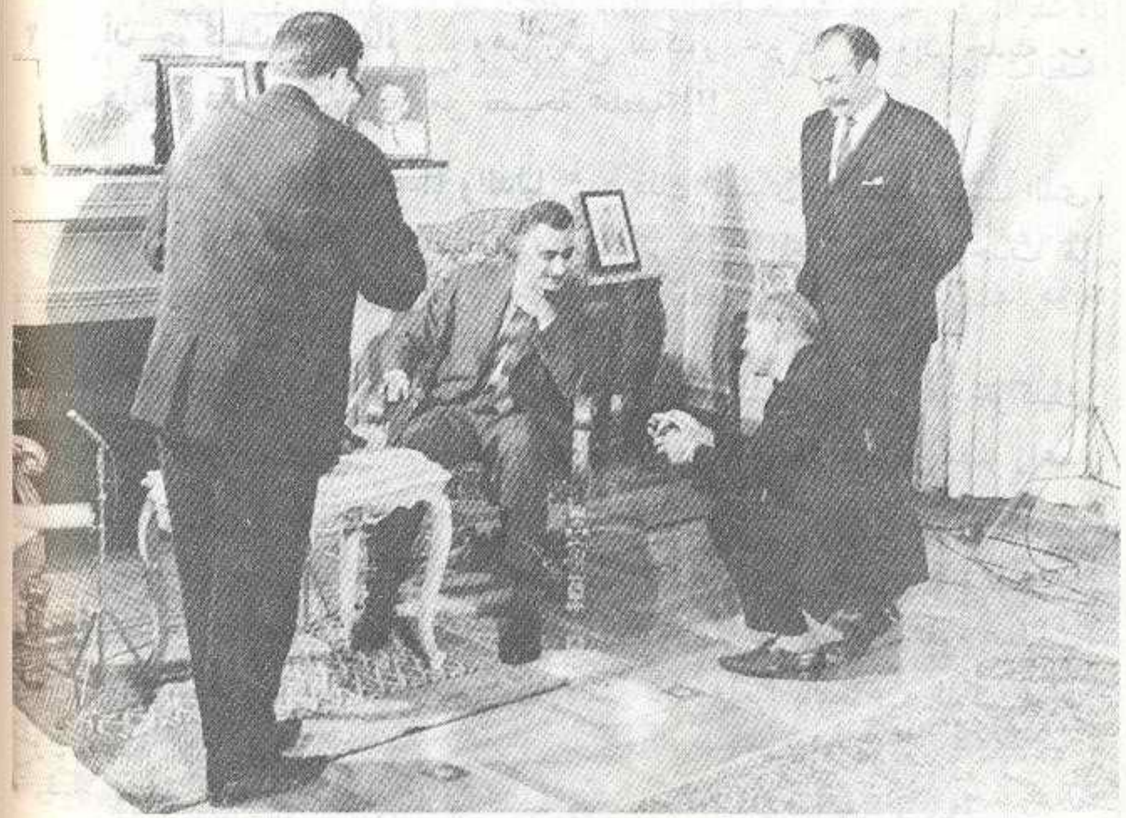

● عبد الناصر فى بيته بمنشية البكرى خلال التحضير لحديث تليفزيونى لألمانيا الغربية خلال الحملة المسعورة ضد مصر ، ووقف إلى اليمين عصام خليل ●

ماذا قال العلماء .. ؟

فى لقاء مع كبير العلماء دكتور وولف جانج بيلز بتاريخ ٣ مارس ١٩٦٣ . قال لى العالم الذى كان قد بلغ الرابعة والخمسين أنه يتعجب ويدهش من عمليات الارهاب الصهونية التى لا تتوقف ... ولقد كانت أول العمليات التى عاصرها فى أكتوبر ١٩٦٢ عندما خطفت إسرائيل دكتور كروج من مدينة ميونيخ فى ألمانيا الغربية .

قال بيلز أن كروج ليس عالما فى الصواريخ ولا فى أى فرع من فروع العلوم فهو يحمل دكتوراة فى القانون وكان يفتتح مكتبا للتصدير فى ألمانيا لكن إسرائيل اختطفته وكان كل ذنبه أنه يتعامل مع شركة الطيران العربية المتحدة ! ثم يتوقف بيلز صاحب الوجه الهادىء عن الحديث ... ويضغط على الكلمات وهو يقول : « **لماذا تقوم اسرائيل بهذه الأساليب الوحشية ضد العلماء العاملين فى الجمهورية العربية المتحدة ... لقد كنت أعمل من قبل فى إنجلترا ثم فى فرنسا ... وخلال هذه الفترات لم يتعرض لى أحد ...** » .

ويومها قلت لبيلز : ألا تخشى من نشر صورتك ؟

فقال : ان إسرائيل بكل تهديداتها .. لاتهزنى .

هذا فعلا هو بيلز . هادىء . رقيق . لكنه جرىء وصريح ومقاتل !

إن بيلز – فى الأصل – ليس ألمانيا فان أمه من المجر ولقد ولد فى بوهيميا – تشيكوسلوفاكيا حاليا – أيام كانت جزءا من المانيا .. وقد أدى الخدمة العسكرية فى تشيكوسلوفاكيا بعد إنتهاء دراسته الجامعية فيها ... وخلال الحرب العالمية الثانية حارب فى روسيا برتبة جندى !

ولقد لعبت الحرب دورا أساسيا فى حياته فغيرت مجراها تماما .

لقد كان أثناء الحرب فى الجبهة الروسية يحارب كجندى ... ليست له أى صلة بالصواريخ بل أنه لم يكن يعرف ما هو مستقبله بعد الحرب وفى أى ميدان سيعمل .

لكـــن ..

وذات يوم قالوا له أنت مطلوب للذهاب إلى « بنيموندى » ... وتعجب الشاب فهو لم يعرف عن هذه المدينة أكثر من أنها مركز هام من مراكز القيادة الألمانية ... لكن فى أى نوع ؟ ... لايعرف ... وعندما وصل عرف أنها مركز صناعة الصواريخ التى يشرف عليها « **فون براون** » « إن براون يطلقون عليه أبو الصواريخ وذهب يعمل فى الولايات المتحدة الأمريكية دون ضغط أو إرهاب وله الفضل فى تقدم الولايات المتحدة فى هذا المجال . »

وكانت هذه أول علاقة لبيلز بالصواريخ ... قد عمل مع براون حيث اشترك فى دراسات انتهت بتصميم الصاروخ « ف ٢ » ... ثم صاروخ « فاسافال » المضاد للطائرات ...

ويكمل بيلز حكايته لى فيقول أنه بعد إنتهاء الحرب انتقلوا إلى معسكر « جارمش بارتن كيرخن » فى بافاريا حيث استمر مع براون فى المشروعات الصاروخية لكن هذه المرة لحساب الأمريكيين وبعدها بدأت الدول تأخذ العلماء – تركة الألمان الغالية – فسافر كثيرون إلى أمريكا ومنهم براون وسافر آخرون إلى إنجلترا ومنهم بيلز ... الذى انتقل بعد ذلك إلى فرنسا .

وهنا يقول بيلز إن الاتحاد السوفيتى أخذ مجموعة من العلماء والفنيين الذين كانوا يعملون فى مركز صاروخ « ف ٢ » إذ أن هذا المركز أخذته روسيا بعد الحرب فأخذت منه نحو ٢٠٠ عالم وفنى ... فى حين أن أمريكا أخذت نحو ١٢٠ وفرنسا أخذت خمسين أما إنجلترا فقد أخذت خمسة فقط !

وفى فرنسا ظل بيلز ١٢ سة خلالها أجاد اللغة الفرنسية تماما ... وبعدها عاد سنة ١٩٥٧ إلى ألمانيا الغربية ... حتى جاء إلى القاهرة .

ذلك عن بيلز كبير العلماء ...

★ ★ ★

هناك أيضا لقاء مع **كلاينفختر** صاحب مغامرة لوراخ التى عرضنا تفاصيلها (وهنا نضيف أن السيارة التى أعترضت طريق كلاينفختر هى سيارة ستروين سوداء ...

وهى التى كان قد أختطف بها كروج من قبل إلى باريس ومنها إلى إسرائيل ..) لقد جاء كلاينفختر إلى القاهرة يعد محاولة إغتياله ، كان ثائراً ... متحمسا .. تندفع الكلمات سريعة من فمه وهو يحرك عينيه يمينا ويسارا ويقول : لماذا تحاربنى اسرائيل ؟ ... لماذا تريد قتلى ؟ . هل يجب أن أعمل لحسابها حتى أعيش فى سلام ؟... هل ذنبى الوحيد أنى لا أريد أن أذهب إليها للعمل فيها ؟ .

ويسكت كلاينفختر ليلتقط أنفاسه ثم يقول : إن إسرائيل تملأ الدنيا أكاذيب وضجيجاً وتزعم بالباطل أن العلماء الألمان يصنعون القنابل المعبأة بالجراثيم البكترولوجية ... ولكن هذا كذب وافتراء . !

والحق أن هدف اسرائيل كان ولايزال – حتى هذه اللحظة – هو تعطيل التقدم العلمى لمصر بأى وسيلة وهى فى سبيل ذلك تنفق الملايين التى تأخذها كمساعدات وتبرعات ... لتلجأ إلى العنف والارهاب والأكاذيب ....

★ ★ ★

أما دكتور بول جيركه فإنه يحتضن ابنته هايدى التى كانت قد جاءت تستقر معه بعد حكايتها الشهيرة ... ويعيد دكتور جيركه ما حدث ثم يقول : إن المخابرات الاسرائيلية تهدد ابنتى... لماذا .. ؟ هل تفعل ابنتى أو أفعل أنا شيئا ضد الانسانية حتى يحاربوننا ... ان اسرائيل هى التى تقوم بكل عمل لا إنسانى مثل تشريد أبناء فلسطين والاستيلاء – ظلما – على أراضيهم وأموالهم ... ومثل أبحاثها لانتاج أسلحة سامة ونووية ومثل جرائم الاختطاف والقتل ... !

وتقول هايدى : لقد عشت فترة عصيبة من حياتى لكنى الان فى القاهرة أشعر بالاطمئنان الكامل .

★ ★ ★

من خلال هذه الأحاديث وضحت أهداف إسرائيل وعملياتها الارهابية ...

وإذا كنا فى هذه الفصول من هذا الكتاب نعرض لأسرار قصة العلماء الألمان إلا أن هناك حادثة خطيرة ينبغى ألا تفوتنا !

إن هذه الحادثة – وقعت فى أول عام ١٩٦٣ ففى ميونيخ كان يعيش المهندس المصرى **حسن كامل** الذى كان يدير إحدى الشركات التى تتعامل مع مصر ... وكان قد تزوج بسيدة ألمانية الأصل مولودة فى بريطانيا إسمها « هيلينا أوف ماكلينبرج » ...

ووقت الحادث كان الزوجان فى سويسرا ... وكانا قد قد قررا زيارة ألمانيا حيث إبنتهما هناك ولكن فى آخر لحظة وبعد إستئجار طائرة ألمانية خاصة جاءت مشاغل جعلت المهندس حسن كامل يقرر تأجيل السفر غير أن زوجته أصرت على السفر وحدها وبالفعل ذهبت إلى المطار – وكأنها على موعد مع القدر – إذ بعد أن ركبت الطائرة وقبل أن تبتعد بها كثيرا عن الأرض انفجرت الطائرة وسقطت اشلاء محترقة براكبتها وطاقمها .

وفور وقوع الحادث انطلقت أبواق الدعاية الصهيونية تتهم المهندس المصرى بأنه هو الذى دبر الحادث ليحصل على قيمة التأمين الخاص بزوجته . لكن ومن نتيجة التحقيق تبين أن اسرائيل كانت تراقب المهندس المصرى وكان أن وضعت قنبلة فى طائرته لكن الحظ خانها فلقد كانت الزوجة هى التى قتلت وتركت إبنتها يتيمة مصدومة ... وكذلك الزوج !

ولقد يطل هنا سؤال : وأين كان الرأى العام العالمى ؟

وأظن إننا جميعا نعلم أين كان ... وأين هو الأن ؟

نعلم من خلال تلك الرسالة التى تسلمها دكتور كلاينفختر والتى أشرنا إليها من قبل وهى تهدد بأن « الصهيونية تسيطر على ٨٠٪ من صحافة الولايات المتحدة .. وكذلك الصحافة المؤثرة فى العالم » ؟

ونعلم من خلال ما حدث بعدها وحتى الان ... وها هى اسرائيل ترتكب المذابح وتعربد بلا أحد يوقفها عند حدها . !!

نعلم الحقيقة إذن ... وإذا كان الموقف قد تغير بعض الشىء الآن فإنه خلال الستينيات كان رهيبا ... إذ كان ما يدور فى الخفايا مهولا ....

وإننى أتذكر الآن ، وأعود إلى أوراق ...

نـيزار ... سكرتـير خـــاص !

ذات مساء من ابريل ١٩٦٥ ... كنت فى مكتبى عندما جاءتنى دعوة للقاء ضيف من سويسرا مهتم بالقضايا العربية والمتعلقة منها باسرائيل وارهابها على وجه الخصوص ... وقبلت على الفور .

وفى الموعد المحدد ذهبت لألتقى بالضيف : دكتور « هانز فلايج » وهو صحفى سويسرى كبير يقترب من الخمسين من عمره وزوجته التى تقف على عتبات الأربعين ومعها صحفية المانية كانت تقيم فى القاهرة بمفردها منذ زمن طويل حتى جاوز عمرها الستين ولم ترض العودة إلى بلادها رغم شيخوختها ووحدتها وإنما ظلت فى بلدنا لحبها الشديد لمصر وهى تراسل صحيفة المانية ولها علاقات مع ألمان ممن يدافعون عن القضايا العربية . (ولقد ظلت فى مصر حتى توفيت .)

* * *

فى شقة الصحفية الألمانية العجوز على جبل المقطم جلسنا وأمامنا جدار من زجاج تبدو خلفه القاهرة عظيمة تتناثر أضواؤها كحبات اللؤلؤ ... ملونة جذابة ...

وبدأ الشراب والحديث مع الشراب لازم وممتع !

إن دكتور فلايج ينطبق عليه التشبيه الشهير : « لايطيق أن يرى الكأس فارغة ولا يطيق أن يراها ملآنه » !

• وبين هذه وتلك روى لى دكتور هانز فلايج حكايته ...

لقد كان رئيسا لتحرير صحيفة كبرى فى زيورخ بسويسرا ... وكان يكتب مقالاته ضد المؤامرات الصهيونية وعمليات المخابرات السرية لاسرائيل التى تتعقب بالارهاب والقتل كل من يرتفع صوته ضدها ... وكان بالتالى يكتب مؤيدا القضية العربية وحقوق شعب فلسطين وبطبيعة الحال لم ترض المخابرات السرية الاسرائيلية عن هذا . !

فماذا فعلت ؟

ذات يوم جاء شاب إلى دكتور فلايج . قال إن إسمه « **نيزار** » وأنه معجب شديد الاعجاب بما يكتبه فهو يداوم على قراءة مقالاته ويريد أن يكون دائما بجواره ويعرض أن يعمل سكرتيرا خاصا له . **وقال فلايج للشاب** : « لكنى لا أحب أن يكون لى سكرتير فأنا أفعل ما أريد بنفسى » ... لكن الشاب أصر والح واستعطف .... فكان أن وافق فلايج وبالفعل استلم الشاب عمله كسكرتير خاص لرئيس التحرير .

إن السكرتير الخاص يعرف كل أسرار رئيسه ... وليس غريبا إذا دخل فى غيابه وفتش فى أوراقه فذلك بحجة البحث عن « ورقة ما » أو بحجة « ترتيب الأوراق » ... ولكن فلايج دخل أكثر من مرة ليجد سكرتيره يعبث بالأوراق بطريقة مريبة ولما كان يستفسر « لماذا » ؟ كان السكرتير الخاص يلتمس ألف عذر وعذر ... ونتيجتها كان فلايج – الطيب – يصدق .

ومرت فترة ثم إذا بصاحب الجريدة يستدعى فلايج ويقول له صراحة إن الشركات وأصحاب النفوذ الذين يمولون الجريدة بالأموال عن طريق الاعلانات لايريدون هذه السياسة وإلا فإنهم سيسحبون كل أموالهم ولن يقدموا إعلانات وبالتالى ستخسر الجريدة ولذلك فعليه – أى على فلايج رئيس التحرير – أن يختار بين أمرين صريحين أما أن يوقف مقالاته أو أن يترك العمل .

وسكت فلايج قليلا ثم جاء رده : سأترك العمل

إستقال هانز فلايج – أو على الأصح – **فصل من عمله** ... وظل فترة بلاعمل حتى وجد صحيفة أخرى عمل بها .

وذات يوم فوجىء بنفس الشاب « نيزار » يدخل عليه ويلح فى العمل معه سكرتيرا خاصا أيضا لأنه لايطيق البعاد عنه .... فوافق فلايج الطيب ... !

ومرة أخرى بدأ فلايج يلاحظ عبثا فى أوراقه الخاصة وكان يشاهد سكرتيره فى نفس الحالة المريبة ... وكانت أعذار وحجج ... وكان فلايج يصدق ... حتى جاء يوم فوجىء بالبوليس يفتح مكتبه ويسأل عن « نيزار » ويقبض عليه ... !

هنا فقط عرف دكتور هانز فلايج أن « نيزار » عميلا اسرائيليا وأن مخابرات اسرائيل دفعته إلى العمل معه كى يفتش أوراقه الخاصة التى كان يلتقط صورا لبعضها ... وكان هدفهم من هذا : هو البحث عن أى وثائق أو مستندات إذ كان ظنهم إنه على إتصال بمصر وإنها هى التى تدفعه إلى كتابة مقالات ضد الصهيونية واسرائيل ... لكنهم بالطبع لم يجدوا شيئا .

* * *

إن فلايج لم يكن على إتصال بالقاهرة بل أنه لم يزرها من قبل على الإطلاق وإنما كان صوتا شريفا دفعه الضمير إلى الكتابة عما أعتقده حقا(١) .

* * *

قلـــت : وبعد ذلك ؟

قالت زوجته بينما كان هو يفرغ كأسه :

بعد القبض على هذا العميل « نيزار » لم يتوقف الضغط ... إذ أن الشركات والممولين هددوا أصحاب الصحيفة أيضا ... وحدث نفس الشىء فلقد رفض زوجى أن يعدل عن كتاباته – وأيدته أنا فى ذلك – وكان أن فصل وغادرنا سويسرا لنعيش فى ألمانيا الغربية ثم رأينا أن نقوم بهذه الرحلة إلى القاهرة لنزور بلادكم لأول مرة ونشاهدها ونتحدث إلى أهلها ... إن بلادكم حقيقة ساحرة ...

ودار حديث طويل ليس هذا مكانه فلقد ذكرت فقط نموذجا لتقييد الصحافة وبالتالى لمنع الرأى العام عن التعبير ...

إذن فالرأى العام العالمى كان موجودا ... لكنه كان مكرها على الصمت ... لقد قيدوا الصحافة ... !

وقيدوا الحكومات إلى حد أن حكومة ألمانيا الغربية أجرت تحقيقا واسعا فى كل حوادث الارهاب التى جرت للعلماء الألمان فى مصر ثم أجبرت على حفظه وعدم إعلانه !

---

(١) كانت تلك الزيارة لمصر التى قام بها فلايج هى أول مرة يجىء فيها للقاهرة ، وكانت بدعوة من السيد صلاح دسوق محافظ العاصمة وقتها .

لقد نشرت مجلة ميتاج التي تصدر فى دوسلدورف أن « نتائج التحقيق فى كل الحوادث التى وقعت للخبراء الألمان المتعاونين مع مصر احتفظ بها فى طى الكتمان بأمر صدر من أحد كبار المسئولين فى الحكومة الألمانية ! » .

وتسلطوا على القضاء – والمفروض أنه نزيف شريف – والدليل ما حدث فى محاكمة جوكليك وبن جال ...

وتسلطوا على البرلمانات ... فإن بلومن فيلد « **أحد أعضاء البوند ستاج** – برلمان ألمانيا الغربية – » **أرسل زوجته إلى زوجة عامل ميكانيكى لتحمل تهديدا بالقتل لها وأولادها إذا ذهب زوجها إلى مصر** ... كما كان هذا العضو المحترم يطوف بنفسه على الخبراء لتهديدهم !

أيضا فإن جوزيف شتراوس وزير دفاع ألمانيا السابق – وعضو البرلمان – إتصل بمدير مصنع بلكو للالكترونات وهدده إذا ذهب أحد من خبراء المصنع إلى مصر ... وطلب منه أن يحمل هذا التهديد إلى العلماء ... كل العلماء لتحذيرهم ... !

والنتيجـــة ؟

فلنصبر قليلا ... ولننتقل إلى تل أبيب ... !

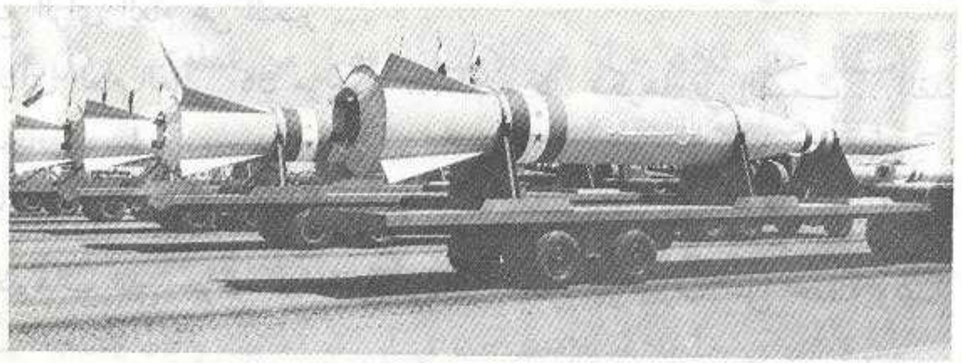

● الجيل الثانى من الانتاج الصاروخى المصرى .. وهو « الصاروخ الرائد » متعدد المراحل .. وهو هنا فى استعراض امام الجماهير المصرية العربية ●

ذعر فى مخابرات إسرائيل !!

رغم أن إسرائيل تساندها الصهيونية العالمية تتسلط على الحكومات والصحافة كما رأينا ... إلا إنها فى داخلها تتمزق مثل امرأة عاهرة تغيظ الرجال وتتدلل عليهم وتطلق ضحكات صاخبة فيظنون إن السعادة تملأها بينما هى فى الحقيقة تتمزق وتحترق بعد أن ضاع منها الاحترام والشرف ... !

إنه بعد أن انفضح أمر إسرائيل من خلال نشر أسرار طرودها المشحونة بالموت ... وبعد فشلها فى **إغتيال كلاينفختر** ... وبعد فشل عميلا مخابراتها السرية : جوكليك وبن جال وعلانية محاكمتهما التى أظهرت – رغم كل شىء – كم من عمليات الارهاب قامت به ... !!

• بعد ذلك كله لم يكن الأمر سهلا على إسرائيل ..

ولم تنفع بن جوريون رئيس وزرائها فى ذلك الوقت فيلته التى يعتزل فيها للتفكير والتدبير ! .. ولم تنفعه جولدا مائير العجوز وزيرة خارجيته وقتها التى أرسلها تطوف العالم وتتسول العطف والتأييد ... ولاشيمون بيريز نائب وزير دفاعه – وقتها – والذى اعتبر العمليات فشلا شخصيا له ... !

• تكهرب الجو فى إسرائيل ... وتوالت الاجتماعات ..

واستدعى بن جوريون : رئيس المخابرات السرية « عزرا هاريل » وبعد مناقشة معه طرده من منصبه وتسرب النبأ وأذيع فى العالم أن بن جوريون طرد رئيس المخابرات لفشله فى العمليات الارهابية ضد العلماء الألمان فى مصر ... ولما انكشف الأمر وقف متحدث رسمى بإسم بن جوريون فى أبريل ٦٣ – يعلن « إن رئيس المخابرات قد استقال وقبلت استقالته » .

وسئل : لماذا ؟

وأجاب : لأن بن جوريون لايوافق على تقديراته السياسية **وسئل** : من هو رئيس المخابرات ؟ **لكنه لم يجب فقد اعتبرت حكومة اسرائيل إن إسم رئيس مخابراتها سرا !**

السقـــــوط ... !

كان لسقوط « عزراهاريل » أثر كبير فى الحكومة الاسرائيلية ولدى رئيسها ديفيد بن جوريون وفى جهاز المخابرات « الموساد » نفسه ... فإن عزرا كان رجلا قويا ورغم صداقته الطويلة لبن جوريون ألا أنه أعتبر نفسه الحاكم الفعلى غير المتوج لاسرائيل وكذا فإنه بعد استقالته – أو إجباره على الاستقالة ــ بدأ فى تسريب معلومات إلى الصحافة عن سلامة موقفه الأمر الذى جعل بن جوريون – طبقا **لكتاب الموساد** الذى وضعه ثلاث من الاسرائيليين للدفاع عن المخابرات وحشو عملياتها بكثير من الأكاذيب بهدف دعمها وزعزعة الثقة بالعرب ومصر بصفة خاصة – الأمر الذى جعل بن جوريون يتعرض لأسئلة كثيرة فاستشاط غضبا « **مما اعتبره بمثابة مناورات يقوم بها عزرا للتأثير على الصحافة وطرح تفسيره هو للأحداث** . » وبدأ رئيس الوزراء يشعر بعزلة متزايدة إبان الأشهر التالية وكان فشل الموساد وانسحاب عزرا واحدة من النكسات التى دفعت بن جوريون إلى الاستقالة وتسليم زمام الحكم إلى ليفى أشكول .

وبهذا كانت قصة العلماء الألمان فى مصر سببا فى نهاية رجلين قويين فى اسرائيل هما : بن جوريون – المؤسس التاريخى للدولة الاسرائيلية – وعزرا هاريل – المؤسس الأول للموساد الذى جمع بين منظمات المخابرات ووحدها – وطبقا للمصدر الاسرائيلى – فإنه فى آخر مارس عام ١٩٦٣ ناقش الرجلان – بن جوريون وعزرا – المشكلة فى أحد الفنادق قرب بحيرة طبرية حيث كان يستحم بن جوريون ، وأوضح رئيس الوزراء المسألة بصراحة فقال :

● .. « عزرا ، إن بون تساعدنا بالدبابات وطائرات الهليكوبتر والسفن ، وأسلحة أخرى ، وتوجد هنا بالفعل كما تعلم ، بعثة ألمانية لمناقشة تقديم مزيد من الأمدادات ... وقد أثارت حملتك بالرسائل الناسفة قلق الألمان فى بون وعداءهم ، وعليك أن توقف هذه الحملة فوراً .. » .

ولكن عزرا – رغم حبه لبن جوريون – أدرك بعد هذه المقابلة – كما قال لمعاونيه – إن رئيس الوزراء قد أصبح عجوزاً مخرفا ، وكان يرى نفسه الرجل المناسب

لخلافته ولذا رأى إن من واجبه أن يخرج ويتحداه ، وقرر أن يكشف الحملات ضد العلماء الألمان ... غير أن بن جوريون استدعاه للقاء فى مكتبه بعد أسبوع واحد – وقال له بلهجة باردة – على حد تعبير المصدر الاسرائيلى : « **إننى أريد الأطلاع بنفسى على الوثائق ... إننى أريد أن أقرر مدى مصداقية التقارير الخاصة بالعلماء الألمان ... وسوف أحكم بنفسى على المسألة** » .

وشعر عزرا بإهانة بالغة فقال : إذا لم تكن تثق بى فإننى مستقيل .

ورد بن جوريون : « وهو كذلك » !

★ ★ ★

وبالفعل كتب عزرا هاريل استقالته وأرسلها لبن جوريون وكان يعتقد إن زلزالا ضخما سيحدث وأنه سيعود إلى منصبه على أسنة الرماح ومنه يقفز إلى منصب رئيس الوزراء بعد إزاحة العجوز المخرف ... لكن أوهامه تبددت عندما قبلت استقالته وعين بدلا منه « **مائير إيميت** » ثم خرج **بن جوريون وجاء أشكول**.... وظل عزرا هاريل عامين وعينه الطموحة ترنو إلى المنصب وأجرى عديدا من اتصالاته السرية حتى فلح فى إقناع ليفى أشكول رئيس الوزراء بالعودة « مستشارا خاصا لشئون المخابرات فى مكتب رئيس الوزراء « وهنا شعر رئيس المخابرات مائير إيميت أن هذه العودة بمثابة تحد ضمنى لسلطاته وبدأت فترة من الصراعات داخل الموساد استمرت عدة أشهر حتى قرر أشكول اعفاء **عزرا هاريل** وكانت هذه نهايته الحقيقية فانسحب ليجتر ذكرياته فى منزل بإحدى ضواحى تل أبيب وحتى بعد أن أصبح نائبا فى الكنيست فإن ضوءه لم يعد !

وثائـــق ... ومؤامـــرة

العمليات السرية الخفية لاتزال دائرة ... خافية !! ونحن الان فى بداية شهر مارس سنة ١٩٦٤ نستعد للربيع ومع تغير الجو تغيرت بعض الوجوه فى اسرائيل ... وتغير أسلوب حربها للعلماء الألمان وتركز فى بداية هذه الفترة على : الضغط على حكومة ألمانيا الغربية .

كان الضغط عن طريق الاتصالات الشخصية وعن طريق أبواق الدعاية الموالية وعن طريق شبح التهديد « بالنازية » ..

إن مسئولين ألمان كبارا كانوا ينجرفون مع اسرائيل خوفا من إتهامهم بالنازية .

مسئولون كبار ... منهم – على سبيل المثال – « **لودجر ويسترك** » وزير الدولة للشئون الخارجية فى حكومة ألمانيا وقتذاك ... لقد أجرى عدة اتصالات مشبوهة مع ممثلى أحزاب ألمانيا ثم قدم تقريرا إلى مجلس الوزراء الذى اجتمع فى ساعة متأخرة من ٣ مارس ١٩٦٤ وبعده صرح جونتر فون هازى المتحدث الرسمى بلسان الحكومة وقال « **إن المجلس ناقش تقرير ويسترك** » وبحث مشروع قرار بدعوة جميع العلماء الذين يعملون فى مصر إلى أن يتخلوا عن أعمالهم ويعودون إلى ألمانيا ... » !

● **ثم توالت الأحداث ...**

فى ٢١ مارس – وعقب تصريحات كثيرة ترددت فى تل أبيب – إجتمع برلمان اسرائيل (الكنيست) ... واستمر حتى ساعة متأخرة من الليل ثم أصدر قرارا « بمطالبة حكومة ألمانيا الغربية بالعمل لوقف نشاط العلمان الألمان الذين يعملون فى مصر لصناعة أسلحة التدمير الشامل الموجهة ضد إسرائيل » .

وفى اليوم التالى مباشرة ارتفع صوت شريف فى بون إذ قالت صحيفة « دوتش زيتونج » :

« إن ما نعرفه فى الوقت الحاضر عن نشاط العلماء الألمان فى مصر أقل مما نعرفه عن حملة الإرهاب والتهديد والقنابل ضد هؤلاء العلماء ... والذين يقومون بهذه الحملة عملاء إسرائيل ... ! » .

★ ★ ★

وفى مساء ذات اليوم ٢٢ مارس ١٩٦٤ ... أصدرت حكومة ألمانيا قرارا جريئا – تراجعت عنه للأسف بعد ذلك – قالت « إنها لاتستطيع منع الخبراء الألمان من العمل فى مصر ولاتستطيع أن تمنع أيا من رعاياها من العمل أينما شاء ولن تلجأ الحكومة إلى تعديل الدستور للحد من الحرية الشخصية للمواطنين كما تريد اسرائيل » .

وسئل المتحدث الرسمى جونتر فون هازى :

« ماذا يكون الموقف لو أن علماء ألمانيا ذهبوا إلى ألمانيا الشرقية مثلا للعمل هناك ؟ »

فأجاب : إننا لانستطيع التدخل حتى فى هذه الحالة . !

كان قرارا شجاعا ... لكن الضغط على ألمانيا أنهك قوى كل رجال حكومتها ... بل إن واحداً مثل إيرهارد – مستشار ألمانيا السابق – ونائب رئيس وزرائها فى ذلك الوقت – لم يكن أحد يتصور إنه سينهار بسرعة ... لكنه كتب بنفسه مقالا يوم ٢٦ مارس هاجم فيه العلماء الألمان العاملين فى مصر ...

★ ★ ★

وبعدها بيومين إلتقيت بالعلماء الثلاثة : بيلز وجيركه وكلاينفختر ... ووجدتهم ثائرين إلى حد كبير ... كيف يفعل ايرهارد هذا ؟ .

وباللغة الانجليزية سلمنى بيلز صورة من خطاب أرسله هو وجيركه وكلاينفختر إلى ايرهارد وكان نصه :

« نشرتم مقالا فى جريدة (دى فليت) قلتم فيه : إننا نأسف لأن الخبراء الألمان يعملون الآن فى إنتاج إسلحة ذرية ، ونحن نعتبر إنك كتبت هذا المقال دون أن تعرف طبيعة العمل الذى نقوم به ... ولقد أدليت بهذه التصريحات دون أن تتأكد من دقتها ولهذا نطلب منك أن تصحح تصريحاتك لمصلحة العلماء الألمان فى أى مكان ، ولسلامة عائلاتهم ولمصلحة كل مواطن من أبناء ألمانيا ولحفظ سمعتهم فى العالم كله ... ولقد ذكرت فى يوم ٢٦ مارس إننا نعمل فى إنتاج الأسلحة الذرية ... ونحن لانعمل فى أى إنتاج لأسلحة على الاطلاق وعندما يصدر هذا الكلام من وزير مسؤل فإنه يكون بمثابة تشجيع للمجرمين الذين قاموا بالاعتداء علينا ... ونحن نحملكم بعد هذه التصريحات مسئولية أى محاولة اعتداء تقع علينا فى المستقبل » .

• وسلمنى كلاينفختر رسالة كتبها وحده إلى ايرهارد وقال فيها :

« نشرتم مقالا فى جريدة « دى فليت » أشرتم فيه إلى الخبراء الألمان وقلتم إنهم يعملون فى إنتاج أسلحة ذرية وأحب أن أبلغك إنك لم تتلق المعلومات الأكيدة عن طبيعة عملى فى القاهرة لأننى مهتم جدا بالبحث والتدريس فى علوم الملاحة فى الفضاء ولاعلاقة لى بأى إنتاج حربى على الاطلاق ... وإننى أعبر عن أسفى لأن رجلا مثلك قد يصبح مستشارا لألمانيا خلفا لدكتور أديناور وقع فريسة لهؤلاء المجرمين ومن الغريب إنكم تشجعون هذه الأعمال وقد يؤدى مقالكم هذا إلى إعطاء تبرير غير أخلاقى لهؤلاء المجرمين فى ارتكاب جرائمهم وما يدعو إلى الأسف أن تجرى فى ألمانيا « الجديدة المعاصرة » **محاكمة ألمان أبرياء دون جريمة أو قرينة وأن يقع الأبرياء ضحية اعتداء عصابات مجنونة** ... ومن الغريب أيضا أن مسئولا رسميا يتحدث فى هذا الموضوع صراحة دون أن يتأكد من المعلومات ... ولقد كان من الأجدى بدلا من أن تبدى إمتعاضك من عملنا فى مصر – أن تبدى أسفك ورثاءك على المصريين الستة الذين ذهبوا ضحية القتلة المجرمين « يقصد طرد المصنع » ... وكان من الأجدى أن تشكر البوليس السويسرى على مجهوداته فى القبض على المجرمين الذين حاولوا الاعتداء – على حياتنا – (يقصد جوكليك وبن جال) ... وبذلك تكون قد وقفت موقفا صريحا فى قضية تتعلق بحماية حقوق الانسان » .

• وفى نفس اليوم أصدر كلاينفختر مع العالم النمساوى فرناند براندنر ومجموعة أخرى من الفنيين بيانا قالوا فيه بالحرف الواحد :

« إننا نحن المهندسين والفنيين الألمان والنمساويين الذين نعمل فى الجمهورية العربية المتحدة نعلن عن دهشتنا لأننا أصبحنا هدفا لحملات يبدو أنها مركزة وموجهة بغرض تشويه موقفنا ، وإجبار الحكومة الألمانية على إتخاذ اجراءات ضد نشاطنا فى الجمهورية العربية المتحدة طوال ثلاث سنوات ونحن سعداء بالتقدم الذى حققناه فى عملنا وقد كان معظمنا يعمل فى صناعة الطائرات الألمانية التى صفيت عقب الحرب العالمية الثانية وهاجر كثير من الخبراء الذين كانوا يعملون فيها برغبتهم – أو قسراً – إلى الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والاتحاد السوفيتى ... ولقد سعدنا إذ وجدنا الجمهورية العربية المتحدة بلدا على استعداد لأن يقدم عملا يلائم خبرتنا العلمية والفنية ولم يكن مبعث قبولنا للعرض الذى قدمته لنا الجمهورية العربية المتحدة أية أسباب سياسية أو أية كراهية ضد أى بلد آخر . »

ولزم ايرهارد الصمت ...

★ ★ ★

لكن إسرائيل لاتزال ماضية فى خطتها ... وفق سياستها الجديدة وحسب الخط الذى يرسمه رئيس مخابراتها الجديد مع حكومته ...

لقد بدأت المخابرات الاسرئيلية السرية تستعين بعملائها السابقين .. منهم – مثلا – دكتور فرانز بوهم استاذ القانون فى جامعة فرانكفورت الذى سبق أن أعد إتفاقية التعريضات التى دفعتها ألمانيا الغربية لاسرائيل ...

* اتصلوا به – وهو عضو الحزب الديمقراطى المسيحى – وطلبوا إعداد مشروع بتنظيم اشتغال العلماء الألمان خارج ألمانيا وذلك بهدف وقف نشاط العلماء فى مصر ...

* **وفى يوم ٦ أبريل أعلن « بوهم »** الخبر للصحفيين وقال أنه أعد المشروع بناء على طلب « بعض النواب » .

* وفى ٥ يونيو ١٩٦٤ **أعلن هانزلينز وزير البحث العلمى فى ألمانيا** أن « حكومة بون قد أعربت عن استعدادها لتوفير العمل المناسب للعلماء إذا تركوا أعمالهم فى مصر » .

* وفى ١١ أغسطس **أعلن أشكول – الذى كان يرأس الوزارة بعد بن جوريون – أن اسرائيل** طلبت من حكومة ألمانيا استخدام جميع الوسائل لوقف نشاط علمائها فى مصر . وفى نفس الوقت طلب أشكول من رئيس مخابراته مائير ايميت أن يتحرك .. فجاء رده أنه قد استعد بالفعل لجولة جديدة من الارهاب ...

*** كيـــف ؟**

** ما هى خطة أيميت رئيس المخابرات الجديد ؟ .

جولة الارهاب الجديدة :

كانت جولة الارهاب الجديدة لمدير مخابرات اسرائيل الجديد لها نفس الهدف الاستراتيجى القديم وهو « منع العلماء الألمان من العمل فى الجمهورية العربية المتحدة وعرقلة التقدم العلمى للقاهرة .» لكن المدير الجديد لكى يحقق هذا الهدف استخدم تكتيكا جديدا بدأ تنفيذه من يناير ١٩٦٤ وحتى الان – سبتمبر ١٩٦٤ – كان قد أنهى المرحلة الأولى من هذا التكتيك وهو :

- **« بناء ستارة دخان تحمى المهاجمين » ...**

ولقد بنى الستارة – أو هكذا تصور – وكانت ستارته هى العمل السياسى والضغط الذى تمثل فيما ذكرناه خلال الفصل السابق ...

وبعد ذلك بقيت المرحلة الأخرى من التكتيك وهى :

- **« اختيار المهاجمين وأسلوب الهجوم » .**

لقد كان هدف المرحلة الأولى وهى ستارة الدخان ... الايهام بأن اسرائيل قد

اكتفت بأن تلجأ للعمل السياسى – مهما كان لونه – متمثلا فى الضغط على حكومة ألمانيا وتطويع رجالها – بالتهديد والغواية – لكى يصبحوا اداة لاسرائيل ... ومتمثلا فى تصريحات اشكول ورحلات جولدا مائير وشيمون بيريز إلى الخارج ... ومتمثلا فى أبواق كثيرة من صحافة وإذاعة ومحطات تليفزيون ...

أما هذه المرحلة – المهاجمون والهجوم – **فهى أخطر بكثير إذ أنها هى العمل الحقيقى الذى ألقت فيه مخابرات اسرائيل بثقلها كله ... وكان لها أولا أن تبحث عن : من الذى يهاجم ؟** .

ولم تتعب مخابرات اسرائيل فى البحث طويلا ... فلقد كان لها فى القاهرة جاسوس محترف ولم يبق أمامها سوى أن تستدعيه وترسم له مهمته الجديدة وكيف ينفذها ؟ .

من هو هذا الجاسوس ؟

لقد وصلنا بسرعة إليه ؟

... إلى لوتز ؟

• المؤتمر الصحفى الذى أذيعت فيه قضية لوتز ويعلنها ممثل المخابرات السيد ابراهيم بغدادى وإلى يساره د . يحيى أبو بكر وخلفهما جالسا على منضدة محمود مراد ، ويظهر الصحفيون العرب والمراسلون •

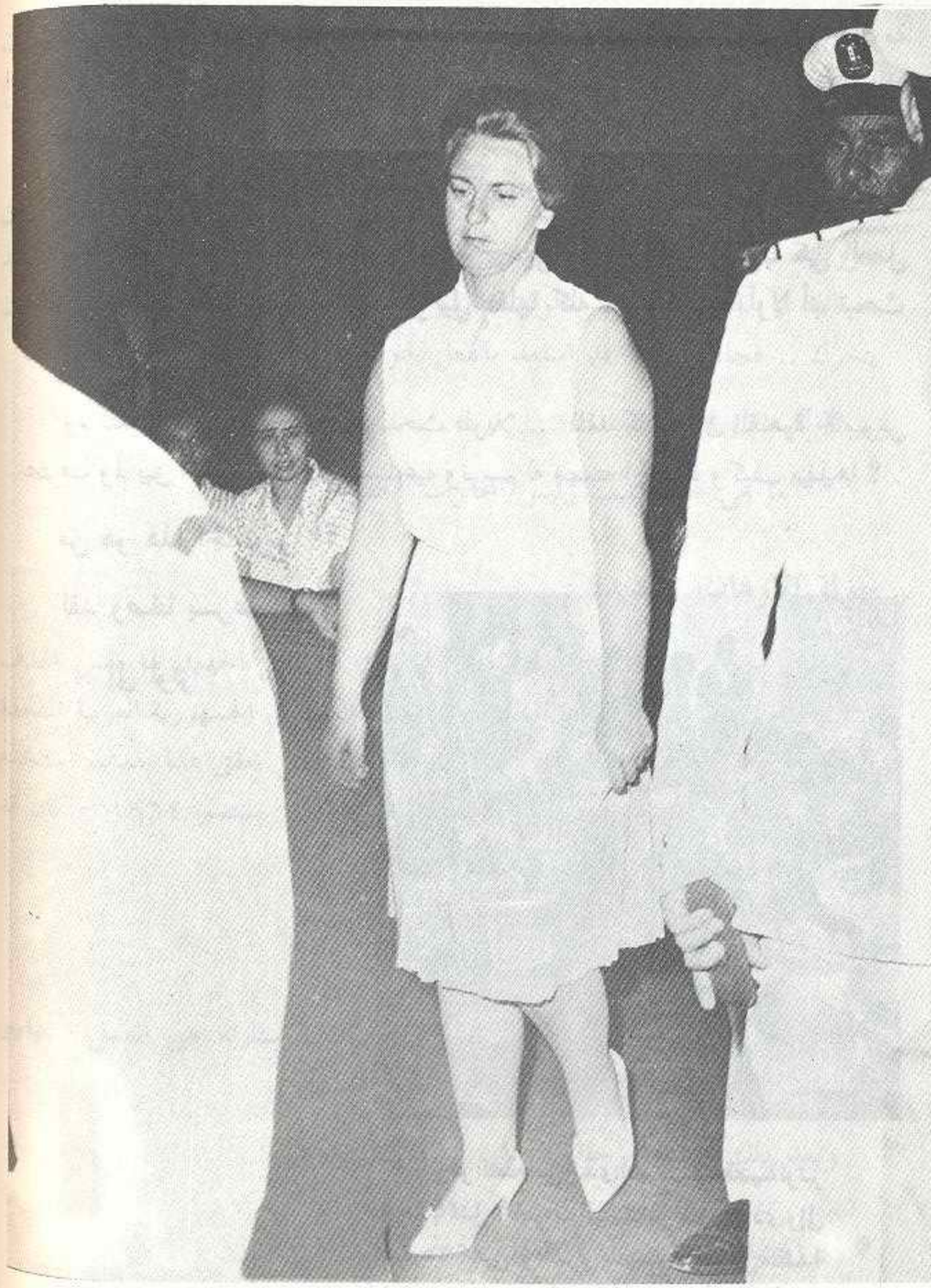

● مارتا .. زوجة الجاسوس لوتز ●

جاسـوس فـى القاهـــرة !

كانت خطة المخابرات الاسرائيلية أن تهاجم العلماء الألمان وأن تهاجم كل عمل علمى متقدم تقوم به مصر من داخل القاهرة نفسها ... وبعد ستارة الدخان التى صنعتها اسرائيل كما قلنا من خلال الدعايات السوداء والتحرك السياسى العلنى والسرى ... بدأت تستعد لشن أسلحة الهجوم ومن هنا كان القرار بضرورة وجود « **جاسوس مقيم فى القاهرة** »واعطائه مهاما كبرى !

إن الجواسيس ... عملاء المخابرات ... أنواع متعددة ودرجات شتى ... لكن أرقاها وأرفعها هو أو هى مرتبة « **الجاسوس المقيم** » الذى يعتبر « **كبير الجواسيس** »العاملين فى منطقة معينة والذى تعطى له إمكانيات عديدة وتترك له حرية التصرف بكل مرونة لتنفيذ ما هو مطلوب منه ... بل إن من حقه ممارسة أى فعل خارج النطاق المرسوم ... أكثر من هذا فإنه عادة يكون عارفا بغيره من الجواسيس والعملاء الصغار وله أن يطلب من الرئاسة ترحيل أحدهم أو قطع التعامل معه إذا أساء التصرف ... هذا مع أن أى جاسوس أو عميل فى مرتبة أقل لايعرف غيره ممن يعملون فى نفس نشاطه !

الجاسوس المقيم إذن شخصية هامة فى دساتير المخابرات وعالم الحرب السرية ولذلك كان على اسرائيل أن تفحص من لديها وأن تدقق قبل أن يقع إختيارها على « **جوهان وولفجانج سيجموند لوتز** » ... وهذا هو الاسم الذى وصل به إلى ميناء الأسكندرية فى ٧ يناير سنة ٦١ حاملا جواز سفر مدون به مهنته « مدرب خيول » وجنسيته بإعتباره مواطنا من ألمانيا الغربية ...

ولقد كان لوتز بالفعل مواطنا ألمانيا – بحكم جنسية الأب وبحكم مولده – لكنه فى نفس الوقت كان يهوديا إسرائيليا بحكم جنسية الأم وبحكم تربيته وجنسيته !

ذلك ليس لغزا ... لكن قبل مواصلة السرد أقول أن المخابرات المصرية لم تكن تجهل ذلك بعد القبض عليه إذ قدمت عن طريق النيابة العامة التى تولت الادعاء وثيقة بهذا المعنى – كما سنشير فيما بعد – لكن المحكمة لم تأخذ بها وحاكمته على

أساس أنه « ألمانى » رغم الفرق الكبير بين جاسوس اسرائيلى أى من دولة بيننا وبينها حالة حرب مما يستوجب توقيع حكم الاعدام عليه ... وبين جاسوس ألمانى يعمل لحساب إسرائيل - بدافع أو بآخر - مما يخفف الحكم إلى المؤبد !

هكذا لم تأخذ المحكمة بالوثيقة واستمرت فى معاملة « المتهم » على أساس جنسيته **« ألمانيا الغربية »** ... مما يعطى دليلا على **« عدالة القضاء المصرى »** وعلى عدم خضوعه لأية جهة أخرى ... بل أننى كتبت خلال المحاكمة نقلا عن معلوماتى من مصادر صحفية منها المحامى الألمانى **الفريد سيديل** وهو المحامى الخاص بالعلماء الألمان و ... منها صحفى ألمانى إسمه **« لودا »** كان يعمل فى مجلة « شتيرن » ولا أعرف أين هو الان ... كتبت أن لوتز اسرائيلى وأوضحت حقائق عديدة ... ويومها ثارت ضجة فى جلسة المحاكمة إذ أن هذا ممنوع بحكم القانون حتى لايؤثر على سير المحاكمة وضمير القاضى ... ووقف لوتز داخل القفص ينفى هذا بشدة وبكت زوجته « مارتا » بدموع التماسيح النسائية وتحدث محاميه **على منصور** رحمه الله والذى كان أمين المهنيين فى الحزب الوطنى - كما تحدث رئيس النيابة **سمير ناجى** - وقدم خطابا من مصدر المانى هام لكن القضاء لم يأخذ به ! وأخيرا تمت التهدئة أمام رئيس المحكمة المستشار حسن فهمى البدوى (الذى صار فى السبعينات وزيرا للعدل) ... وجرى « قفل » الموضوع دون مضاعفات ... إذ كان من حق المتهم ودفاعه طلب محاكمتى ... يومها كنت أشعر بمزيج من الحماس والقلق ... ولما إنتهى الموضوع هكذا أدركت بيقين أن لوتز جاسوس اسرائيلى محترف كما كتبت لأنه إذا لم يكن كذلك لكان له موقف آخر !

ثم وبعد سنوات ... وبعدما جرى الافراج عنه بعد حرب سنة ١٩٦٧ ضمن تبادل الأسرى عاد إلى تل أبيب وخرجت **« اعترافات »** تقول أنه بالفعل **« اسرائيلى »** ومنها كتاب **« عين تل أبيب »** الذى أصدره رجل المخابرات السابق ، « ستيف ايتان » ... ومنها كتاب **« الجنرال كان جاسوسا »** الذى يتحدث عن الجنرال جيهلن رئيس المخابرات الألمانية الغربية فى تلك الحقبة بقلم أثنين من الألمان هما : **« هاينز كوهن - وهيرمان زولنج »** اللذان نشراه عن طريق دار نشر « كاوارد وما كان .. وجيوجهيجان بنيويورك . » ثم كتب لوتز نفسه كتابا باسم **« جاسوس الشمبانيا »**

إشارة إلى حفلات الشمبانيا الماجنة التى كان يقيمها وتحدث فيه عن مغامراته فى مصر ! ومنها كتاب **« الموساد »** الذى وضعه ثلاثة من الكتاب وثيقى الصلة بجهاز المخابرات الاسرائيلى !

هذه الاعترافات وغيرها - مع القدر العظيم من الأكاذيب والمغالطات التى تتضمنها - إلا أنها أكدت أن لوتز ... اسرائيلى تماما ... وفضحت علاقاته ونظرة رؤسائه إلى الأسرة والزواج والأخلاقيات داخل المجتمع الاسرائيلى ...

• و .. لنبدأ من البداية !

لقد ولد وولفجانج لوتز عام ١٩٢١ فى مدينة « مانهايم » على شاطىء نهر الراين ... من أب ألمانى وأم يهودية هى ممثلة من الدرجة الثانية إسمها هيلين ... وعندما بلغ عمره الحادية عشرة هجر الأب زوجته الممثلة وإبنه الطفل ... وفى نفس الوقت وجدت الأم أن نفوذ هتلر وحزبه يزداد كراهية لليهود فما كان منها إلا أن حملت ابنها وسافرت إلى فلسطين تقيم مع الجالية اليهودية حتى تخرج من مدرسة بن شيمان للزراعة وانخرط مثل غيره فى الجماعات المسلحة اليهودية وبهذه الصفة شارك فى حرب ١٩٤٨ وأصبح ضابطا ملازما ... واستمر إلى أن صار سنة ١٩٥٩ برتبة راف - سيرن أى مقدم وكان قد نقل إلى جهاز المخابرات بسبب شكله الألمانى الآرى ... ولغته الألمانية بلهجة سليمة مما يفيد فى عمليات المخابرات السرية ...

وفى تلك السنة - ١٩٥٩ - فكروا فى ارساله جاسوسا إلى القاهرة على أساس أنه ألمانى « وكان ضابطا نازيا » وبهذا يجد صدى فى مصر التى تحب الألمان ولاتوجد حساسية تجاههم على عكس الانجليز أو الأمريكيين ...

وبدأوا يؤهلون الراف - سيرن زيف ... فأرسلوه إلى **« الياهو جوردون »** الذى كان يدير مدرسة للفروسية فى تل أبيب وكان معظم المشتركين فيها من الألمان أو الوافدين من ألمانيا ... وبهذا يتدرب على الخيول ويعرف أسرارها ... ويعايش الألمان فيجدد معرفته بطريقة حياتهم ... ثم ، وبعد أكثر من عام فى هذا التدريب ... خلاله كان يقرأ كثيرا عن مصر من خلال ما تعده له المخابرات ... دفعوه للسفر إلى ألمانيا الغربية ... إلى حيث يقوم بجولة واسعة **« متسكعا »** فى كل مقاطعاتها ومدنها ...

يعرف ويتعرف ... يرى ويسمع ... يتحدث ويقرأ ... إلى أن استقر فى مانهايم ، مسقط رأسه ، لكى يدرسها بالتفصيل ولكى يقوم بمساعدة المخابرات الألمانية الغربية « **البولاخ** » التى اتفقت معها المخابرات الاسرائيلية (الموساد) بالتدريب ثم باستخراج الأوراق الرسمية القانونية التى تدل على أنه « **جوهان وولفجانج سيجموند لوتز** » وكان مما ساعده على هذا أن جميع السجلات المدنية لبلدة « مانهايم » قد أبيدت سنة ١٩٤٣ أثناء الغارات الجوية الأمريكية ضد هتلر فى الحرب العالمية الثانية !

وتقول رواية ألمانية فى كتاب « **الجنرال كان جاسوسا** » ان المخابرات الاسرائيلية طلبت من جهاز « البولاخ » أى المخابرات الألمانية الغربية مساعدتها فى تسلل عميل إلى داخل مصر ... فوافق الجنرال جيهلن رئيس المخابرات وفوض أحد كبار مساعديه وهو « **لانجكو** » الذى كان من أشد مؤيدى اسرائيل لكى ينفذ مهمة المساعدة وكيفيتها وبناء على هذا بعث الاسرائيليون بعميلهم المقدم « **زيف لوتز** » لتتسلمه المخابرات الألمانية فى معسكر الاستقبال ببرلين الغربية والموجود فى « **ماريا نفيلد** » ثم أخذوه إلى ميونيخ ليتدرب فى أحد البيوت الآمنة على أمور عديدة منها معرفة آداب المائدة الألمانية ... ثم أخذوه بعدها إلى أحد المعسكرات التابعة للمخابرات كى يتدرب على إصابة الأهداف بالرصاص ... وزودوه بكل ما يلزمه من أوراق تفيده فى مصر !

هكذا عاد لوتز إلى « جلده الألمانى » مرة أخرى واستكمل أوراقه الرسمية وتدرب ... وتعرف على المجتمع الألمانى بآدابه وتقاليده ومواطنيه بما يخدم أهدافه تماما ... وبما يصقل دوره الجديد الذى إدعى فيه أنه ضابط سابق فى جيش النازى ... هرب بعد الحرب العالمية واختفى ... عمل كمدرب خيول ... جنى ثروة طائلة ... يريد أن يجرب حظه بحياة جديدة فى بلد جديد ... وها هو الآن « يتسكع » هنا وهناك فى انتظار الفرصة مجترا ذكريات المحارب القديم !

ولما وصل إلى هذه الدرجة طلب منه رؤساؤه السفر إلى القاهرة فى مهمة « جس نبض » يتحسس بها خطوات مستقبله ... فحزم حقائبه وركب باخرة ليعطى نفسه فرصة أطول للتفكير والتدبر وليبين أنه غير متعجل ... فهى زيارة سياحية .. لعل وعسى !

وفى ٧ يناير ١٩٦١ وصل لوتز إلى الأسكندرية بالباخرة « أوزونيا » يحمل أمتعة خفيفة بينها حذاء « لركوب الخيل » بداخله جهاز إرسال صغير وورقة شفرة ومواعيد الارسال إلى المقر فى « باريس » ... ومن الأسكندرية ركب سيارة إلى القاهرة ليتجه إلى حى جاردن سيتى ويقيم فى فندق « الزهراء » خلف فندق شبرد الشهير ...

طاف لوتز بشوارع القاهرة ...

ذهب كثيرا إلى نادى الفروسية بالجزيرة ... تعرف على عدد كبير من أفراد الجالية الألمانية ... ومن المصريين ... من هواة ومحبى الخيول ... احسنوا إستقباله ... بدأت ملامح صداقة معه ... فهو ألمانى ... ضابط سابق ... مدرب خيول ... مليونير يريد شراء « إسطبل » فى مصر لتربية الخيول ... كل هذا كان كفيلا بالأمان له ! ... ولا أقول التقرب إليه !!

ومرت خمسة أسابيع ... فى بداية كل منها كان يرسل إلى المقر فى باريس برسالة – بجهاز الارسال – يطمئن فيها على سلامته فى القاهرة ... وفى نهاية الأسابيع الخمسة ... فى ١٥ فبراير ركب لوتز الطائرة من القاهرة عائداً إلى بون ليتبادل التهنئة بنجاحه المؤقت مع رؤسائه ... ثم سافر سرا إلى باريس ومنها إلى تل أبيب بجواز سفر مزور غير جوازه « الألمانى » وهناك أخذ مزيدا من التدريب ومزيدا من المعلومات والتعليمات وقيل له أنه مرشح لأن يكون « جاسوس مقيما » فى مصر له حرية الحركة والتصرف وأعطوه أسماء بعض العملاء ... وقالوا له أن يبقى فى مصر ولايخرج منها إلا مرة كل ستة أشهر على أساس أنه سيسافر إلى أوروبا لتفقد اسطبلاته والوقوف على أحدث ما فى عالم الخيول ... !

وبالطبع أعطوه أجهزة التراسل والأحبار السرية وكاميرات تصوير ومفاتيح شفرة وغيرها من الأدوات اللازمة ...

وأعطوه أسبوعين أجازة فى أوروبا قبل السفر إلى مصر ... وبعد ذلك غادر تل أبيب إلى باريس ... ومنها ركب القطار إلى ميونيخ ... حيث جاءت جلسته أمام امرأة بيضاء مثيرة الجسد إلى حد أن عينيه لم تفارقها منذ أن وقعت عليها ...

وبالطبع كان ينتهز فرصة الحديث معها بين الحين والحين ... ثم كانت المفاجأة أنها نزلت أيضا فى ميونيخ ... فدعاها إلى تناول العشاء معه ... فوافقت ... واختار مطعما أنيقا فاخراً ... حيث روى لها حكايته « المزيفة » ... وروت له هى حكايتها بصدق ... فلمع بريق غريب فى عينيه ... وعلى صوت الموسيقى قال لها الكلمة التى تسحر كل امرأة ... « أحبك » !

لقد قرر أن يوقعها فى حبائله ... فإنه لايوجد أفضل منها ... لو كان قد طاف الدنيا لما كان قد عثر على واحدة مثلها ... مثل « كلارا فلترود نومان مارتا » إنها هى ... مناسبة تماما للهدف ولذلك لمع البريق الغريب فى عينيه وضغط على يدها هامسا ... « أحبك » ...

• لوتز الجاسوس الاسرائيلى وزوجته فى قفص الاتهام •

خطوات إلى المجهول

كانت « مارتا » امرأة ضائعة . ! .

كانت فتاة صغيرة عندما نشبت الحرب العالمية الثانية ... ذهب الأب مع الجيش النازى كجندى بسيط يحارب على الجبهة الروسية ... وبقيت الابنة مع أمها فى مستوى مادى فقير فأضطرت للعمل كخادمة فى بيت أحد البولنديين ثم فى مزرعة بها نوفر ... وهكذا حتى إذا ما إنتهت الحرب وجدت نفسها فى ألمانيا الشرقية تعمل فى مهن شاقة فكان أن هربت والتحقت **بالعمل كخادمة منزل وفراش لدى** أحد الأمريكيين وأخذها معه إلى بلاده لكنها عادت مرة أخرى إلى موطنها لتعيش مع أمها ومع الأب الذى كان قد عاد من الحرب مهزوما فى أعماقه لايكاد يفيق من الخمر ولايمل الحديث عن ذكرياته وبطولاته المزعومة !

وبهذا فهى تعتبر صيداً ثمينا للوتز – الجاسوس المحترف – لم لاتصبح عشيقة له . ؟ لم لايتزوجها باسمه الجديد وبشخصيته المزيفة حتى لايشعر فى غربته فى مصر بالحرمان . ؟ .. وحتى تيسر له مهمته كجاسوس مقيم . ؟ . فإن الرجل المتزوج – خصوصا فى المجتمعات الشرقية – يصبح أكثر « أمانا » و« ثقة » ... فيدعوه الناس إلى بيوتهم ويسمحون له بالاختلاط مع عائلاتهم ... ويقبلون دعوته ... والمرأة خصوصا إذا كانت شابة ، حلوة ، ذكية ... يمكن أن تفتح كثيرا من الأبواب المغلقة !

وكان تخطيط لوتز – كما أقنع به رؤساءه – أنها لن تكون زوجة له بالمعنى المعروف أى زوجة تشكل معه أسرة وتنجب أطفالا ... إنما مجرد إمرأة – لاترق حتى إلى مستوى العشيقة التى يغار عليها – ... امرأة تمثل أداة هامة من أدوات الجاسوس المقيم ... خاصة وأن لوتز كان متزوجا !!

* * *

كان فى إسرائيل قد تزوج بفتاة اسرائيلية تدعى « ريفكا » التى أنجبت منه ولدين ... والتى تعمل أيضا فى أحد أجهزة المخابرات لكن سحنتها بوجهها وأنفها

اليهودى لم يكن ليتيح لها أن تبدو كامرأة ألمانية ... ولذلك وبطلب من المخابرات لزمت الصمت التام ووافقت أن يسافر زوجها ... « زيف لوتز » بمفرده ... ثم وافقت أن يصطاد امرأة أخرى يتزوجها لتساعده فى المهمة !

كانت هذه المرأة – الأخرى – هى ... « كلارا فلتروود نومان مارتا » التى وجد فيها ضالته المنشودة ... فاتصل بضابط المخابرات الاسرائيلى « رودى » المكلف بالاتصال به حيث حدد معه موعدا للقاء « مارتا » ... وبعده وافق ... فعرض عليها الزواج لتطير فرحا ... إنبهاراً بهذا العاشق ... الضابط السابق ، مدرب الخيول الحالى ، الذى ينفق عن سعة وبذخ !

وكان هو – على الجانب الأخر – فرحا بها ... فإنها ستكون فى حياته امرأة تؤنس وحدته ... وستكون معه طيعة ... رهن اشارته ... تسمع كلامه بلامناقشة ولأنها بالنسبة لها « أملا » كبيرا فترضى بكل شىء ... وتخدمه وتخدم زواره ... أى أنها ستكون قادرة بإمكانياتها على الظهور معه فى المجتمعات وإقامة الحفلات و« التباسط » مع الأصدقاء ... تضحك وترقص وتفعل أى شىء معهم ... بلامناقشة ... بلا كرامة توجعها ... بلا تمرد عليه !

لكن قبل الزواج ... كاشفها لوتز بمهمته .. لم تمانع ... فإنه خير لها أن تكون سيدة مجتمعات محترمة حتى ولو كانت زوجة جاسوس ... من أن تكون خادمة تخدم كل يوم فى بيت تعبث بها أيادى الأقدار والناس !

و ... بالفعل تم الزواج فى برلين ... فى يونيو ١٩٦١ ... وبعد شهر واحد فقط – وبناء على تعليمات تل أبيب – حزم أمتعته للسفر إلى القاهرة ... هذه المرة بمفرده لكى يبدأ خطواته الفعلية إلى المستقبل المجهول !

• مسرح النشاط المنتظر !

كانت القاهرة هى مسرح النشاط المنتظر ... وإليها جاء لوتز من قبل وها هو اليوم ٣٠ يوليو سنة ١٩٦١ يعود إليها قادما من الأسكندرية التى وصلها بالبحر ...

كانت معه سيارة فولكس واجن جديدة ... وكانت معه أدوات كثيرة لركوب الخيل ... وكانت معه – داخل مخابىء سرية – أدوات الكتابة بالطرق السرية وكان معه جهاز للارسال اللاسلكى موضوع داخل كعب حذاء ... !

وفى القاهرة لم يتعب كثيرا وسرعان ما أستأجر شقة مفروشة فى الدور السادس بالعمارة رقم ١٦ شارع إسماعيل محمد بالزمالك ... وبدأ يضع حاجياته فى الشقة وفتح جهاز الارسال على مخابرات اسرائيل ليجربه ويبلغ عن « سلامة الوصول » .

وبعد ٧ أيام – فى ٧ أغسطس – كان لوتز فى مطار القاهرة يستقبل « مارتا » ويصطحبها على الفور إلى الشقة ...

وفيها روى لها أسراره ... فأبدت استعدادها لمعاونته : فى تهيئة الجو الاجتماعى الذى يتعرف فيه على من لديهم الأسرار ... وفى مراقبة الخدم عندما يرسل رسائله ... وفى اصطحابه إلى الرحلات الاستطلاعية ...

وبدأ لوتز يستعد لمزاولة نشاطه من مقره المؤقت ... تحت ستار أنه مليونير ألمانى يهوى الخيول ويربيها ...

تردد على أندية سباق الخيل والفروسية وتعرف على عدد من المصريين قدموا له – بحسن نية – أكبر عون فى مهمته ... واشترى خمسة خيول دفع فيها ١٥٠٠ جنيه :

* **اشترى واحدا من السيدة وجدان البربرى**[1]
* **واشترى الثانى من السيد على الشريعى**
* **واشترى الثالث والرابع من السيد أحمد حمزة**
* **واشترى الخامس من مزاد علنى .**

(١) لايعنى هذا أنه كانت هناك صلة بين هؤلاء المصريين وبين لوتز فإن الصلة لم تكن إلا كأى صلة بين بائع ومشترى ... حتى إذا تطورت الصلة إلى صداقة خصوصا بين الدكتور البربرى وحرمه وبين لوتز فإن الصداقة كانت بعيدة عن عمليات لوتز ونشاطه السرى ... وعلى هذا فإن موقف المصريين ليس عليه شبهة وإن كان يجب الحذر مع من نتعاملهم من الأجانب فندرس شخصياتهم وطبيعة عملهم ثم نحدثهم بحذر خصوصا عندما يكون الحديث عن بلدنا وما يتعلق بسلامتها وأمنها فى شتى مجالات الحياة – (المؤلف) .

ثم استأجر جزءا من عزبة محمد سعيد ذوالفقار التى تبعد نحو ٤ كيلو مترات من شارع الهرم على طول ترعة المنصورية . وأقام فيها اسطبلا لخيوله .

وراح لوتز بعد ذلك يغرق معارفه وأصدقاءه بالحفلات والدعوات ليوطد صداقاته وليفك الألسن وليحصل على مزيد من المعلومات والأخبار والأسرار ....

وكان يبلغ كل ما يعرفه إلى مخابرات اسرائيل عن طريقين:

★ طريق الرسائل السرية التى كان يرسلها إلى عناوين فى ألمانيا وهى تحمل بالطبع أسماء مزورة مثل عنوان « دكتور يوليوس بيزيه ... هامبورج » .

★ طريق التراسل باللاسلكى .

وفى يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦١ تعطل جهاز اللاسلكى ولم يستطع إصلاحه فحطمه ونزل من شقته وسار على قدميه حتى وصل إلى نهر النيل عند الزمالك والقاه فيه ، ثم عاد إلى منزله ليقرر السفر إلى المانيا فها هى قد إنقضت ستة أشهر منذ وصوله وها هو الجهاز قد تعطل ولابد أن يدرس الموقف مع الرؤساء ... وكان السفر بحجة الكشف الدورى على زوجته التى تعانى مرضا فى رأسها !

وفى اليوم التالى سافر لوتز ومارتا إلى الأسكندرية وركبا الباخرة إلى ألمانيا واتصل برئيسه ضابط المخابرات الاسرائيلى « ردوى » وطلب مقابلته فقال له رودى أن يقابله فى اليوم الأول من عام ١٩٦٢ – أى بعد أيام – فى مطعم « دى بون » بميدان « فاجرام » فى باريس ... !

التدريـب الراقـى !

مدينة باريس ... والليل قد انسحب منذ ساعات قليلة بستائره السوداء – والناس لايزالون فى الفراش نائمين بعد ليلة سهر وصخب استمرت حتى ساعات الصباح الأولى تم فيها وداع عام ١٩٦١ واستقبال عام ١٩٦٢ – ومع كلمات « **سنة جديدة سعيدة** » عاد الناس إلى بيوتهم ولذلك فإن الشوارع كانت فى هذا الوقت قبل ظهر اليوم الأول من يناير خالية إلا من نفر قليل وعدد من السيارات صغير ... وفى ميدان

« فاجرام » نزل لوتز من سيارة تاكسى وهو يضع نظارته السوداء فوق عينيه ويرتدى البالطو السميك ... وفى خطوات متزنة إخترق الميدان إلى مقهى « **دى بون** » حيث وجد « رودى » يجلس خلف صحيفة يقرأها أو يتظاهر بقراءتها ... وبعد أن حياه كاد لوتز أن يجلس لكن رودى أشار للجرسون بيده وأعطاه الحساب وانصرف بلوتز رغم ان فنجان قهوته كان ممتلئا إلى أكثر من النصف ... واخترق رودى أكثر من شارع رئيسى وجانبى حتى وصل إلى منزل منعزل ودخله .. وهناك كان ضابط مخابرات أعلى مرتبة وهو « جوزيف » يتسلى بلعب الورق بمفرده وبعد أن استمع من لوتز إلى تجربته كلها طلب منه أن يعود إلى ألمانيا لقضاء شهرين يسترد بعدهما ثقته بنفسه ويعود مرة أخرى إلى باريس للقائه ...

وبالفعل يوم ١ مارس – بعد شهرين تماما – عاد لوتز ليجد أمامه برنامجا طويلا للتدريب على :

★ استعمال أحدث أجهزة الارسال ...

★ طريقة حديثة للشفرة ...

★ استخدام المفجرات الزمنية الحديثة ...

واستغرق تدريبه ثلاثة أسابيع كاملة بعدها أخذوه إلى « **جوزيف** » الذى قال له أن – مهمته القادمة فى القاهرة شاقة وأعطاه قائمة بالمعلومات المطلوبة عن **الأهداف العسكرية المصرية ... عن الطائرات والمطارات والطرق العسكرية** ... ثم سلمه مجموعة من الأقلام التى تنفجر فور فتحها وجهازين للاسلكى وميزان صغير يخفى فى جيب سرى بقاعدته الجهازين والأقلام ... وأعطاه فى النهاية عشرة آلاف دولار وطلب منه أن يبدأ فورا فى الاستعداد للعودة إلى القاهرة ...

وفى ٢٥ مارس ١٩٦٢ وصل لوتز مع مارتا إلى الأسكندرية ومنها جاء إلى القاهرة ليستأجر عوامة يقيمان بها أمام شارع الجبلاية بالزمالك ... ذلك طبعا لسببين رئيسيين :

١ – أن الشقة المفروشة كانت فى الطابق السادس وفوقها ٣ طوابق أخرى واستخدام اللاسلكى صعب خصوصا وأنه لم يكن يستطيع استعمال ايريال اللاسلكى

إلا بصعوبة ... فى حين أن العوامة ملك له كلها يضع اللاسلكى فى أى مكان والايريال فى مكان لايحيطه شيء ... .

٢ - أن الحفلات التى يقيمها تعلو فيها أصوات الموسيقى والضحكات وربما هذا يضايق الجيران أما العوامة فهو فيها حر ... ليس هناك من ينزعج لصوت عال ... أو ضحكات صاخبة كما أنها تهيىء الناس للتحرر فينطلقون مرحين ويتحدثون فى « بجبحة » !

واستمرت الحياة الجديدة فى العوامة ٤ أشهر بالتمام والكمال بعدها وفى أول اغسطس ١٩٦٢ تلقى لوتز رسالة لاسلكية بالشفرة من مخابرات اسرائيلية تطلب منه العودة فورا إلى باريس .

• ترى لماذا يستدعونه هكذا فجأة ... ودون أن تنقضى فترة الستة أشهر ؟

ودون أن يهتدى إلى اجابة ترك العوامة ولكن هناك أمتعة خاصة به وبينها جهازى اللاسلكى والمتفجرات ... هل يأخذها معه ؟ بالطبع لا .. لقد دخل بها بمعجزة فكيف يخرج بها ثم يعود مرة أخرى ... إن هذا مستحيل ... وكان أن استقر تفكيره على أن - يودع الأمتعة بما فيها عند صديقه الدكتور عبد السلام البربرى وزوجته وجدان البربرى وهى فارسة - وقد نشأت بينهما وبينه هو وزوجته صداقة فاستغل حسن النية والكرم وكان أن ذهب إليهما وقال أنه مضطر إلى زيارة أوروبا حيث مزارع خيوله ويريد ترك بعض الأشياء - فرحبا بذلك ... ووضعا أشياءه فى غرفة مغلقة دون عبث فيها ...

ووصل لوتز ومارتا إلى ألمانيا يوم ٤ أغسطس ... وسارع بالاتصال برودى فى ميونيخ فأمره بالسفر فوراً إلى باريس لمقابلة جوزيف الذى يريده لأمر هام .

ما هو ؟

ماذا يريد جوزيف ؟

أســـرار الصواريـخ ؟

فى اليوم التالى مباشرة - ٥ أغسطس ١٩٦٢ - كان لوتز فى باريس فى مقهى صغير أمام جوزيف ورودى ... وكشف جوزيف فى بداية الحديث عن طبيعة اللقاء فقد كان ثائرا يتكلم بسرعة وهو يحرك يديه وعينيه ...

قال جوزيف للوتز : إن اسرائيل أصيبت بصدمة عنيفة بسببك .

قال لوتز مندهشك : بسببى أنا ؟

قال جوزيف : نعم بسببك أنت ... لقد أطلقت مصر صواريخها[1] دون أى تعرف إسرائيل قبلها ... دون أن ترسل أنت ولو مجرد تكهن .

قال لوتز : لكنكم لم توجهونى إلى هذا ... وإنما ركزت على الأهداف العسكرية والمنشآت وقد قمت برحلة إلى طريق هاستب وأرسلت لكم عنه ...

وثار جوزيف ... ثم هدأ ... وقال له أن مهمته خطيرة جدا وهى تتبع كل شيء عن الصواريخ ومن الذى يصنعها ... وحجم الانتاج وتكاليفه وإلى أى مدى وصل ؟

ثم أعطوه فترة تدريب على أجهزة ووسائل أحدث ... وبعدها أجازة وكمية ضخمة من النقود على أساس أنه غاب فى أوروبا لأنه كان يبيع خيوله ... ! وكذلك أعطاه رؤساؤه . قائمة بالمطلوب ... بأسلوب عملى جديد وخطة جديدة :

*** من هم العلماء الألمان المتعاونين مع الجمهورية العربية المتحدة ... وأين يقيمون ؟**

*** ما هى مفاتيح شخصياتهم ليصل إليها ؟**

*** هل هناك من توجد فيه نقط ضعف بين العلماء لاستغلالها ؟**

---

(١) تسبب إطلاق الصواريخ فى تغييرات جذرية فى المناصب الرئيسية بالمخابرات الاسرائيلية ووزارة الدفاع الاسرائيلى . وقد اعترفت المصادر الاسرائيلية - مثل كتاب الموساد - ومصادر أخرى بأن اطلاق الصواريخ كان مفاجأة لمخابرات الموساد وكذلك للمخابرات المركزية الأمريكية ... وهذا يفند مزاعم قوة كل من الجهازين ومزاعم أنهما اخترقا صفوف القيادة ! (المؤلف) .

* **ما هى تحركاتهم ... وإلى أين ومتى ... ولماذا ؟**

* **أين يعملون ... وفيماذا يعملون ؟**

* **أين مصانع الصواريخ العربية ... والطائرات ... وما هو حجم الانتاج ؟**

* **أين قواعد الصواريخ والمطارات ... وماذا فيها ... ومن يعمل بها ؟**

حفـلات صيـادة ...

و ... فى العاشر من أكتوبر ١٩٦٢ وصل لوتز ومارتا إلى القاهرة عن طريق الجو واتجها إلى المدينة التى أصبحا يعرفانها جيدا ... وأقاما فى فندق « كوزمو بوليتان » فترة قصيرة خلالها اتصلا بأصدقائهما وكان أن استاجرا فيلا فاخرة مفروشة فى شارع محمود غالب المتفرع من شارع الهرم ...

وبذلك أصبحت له فيلا مستقلة منعزلة يفعل فيها ما يشاء ... علاوة على المزرعة !

وبدأ يباشر نشاطه على أوسع نطاق لكن بحذر ...

وسوف نرى النشاط ...

وسوف نرى الحذر ... !

كانت الخطة العامة هى إقامة الحفلات فى الفيلا بمناسبة وبغير مناسبة ... لكنها وسيلة مفيدة لاصطياد الكثيرين والنفاذ إلى اسرارهم دون أن يشكون فى الأمر فهم يفعلون ذلك فى جو ثقة « مزيف » وتحت غطاء صداقة لايحترمها الجاسوس ... فإن كل هدفه أن يخلق إطارا من الصداقات والعلاقات الاجتماعية يحيلها إلى شبكة عنكبوت يصطاد بها من يشاء ... وكان يستخدم فى ذلك أيضا عشرات من زجاجات الخمر – وبالذات الشمبانيا – التى تراق يوميا ولذلك أطلقوا عليه فى الموساد « جاسوس الشمبانيا ! » ولم يكن صعبا على لوتز أن يفعل هذا ...

هو صاحب مزرعة خيول يرتاد أندية الفروسية ويصادق من فيها والصداقة إذا التقت على هواية ازدادت توطداً ...

وهو ألمانى والمصريون والعرب تربطهم علاقات مودة مع الشعب الألمانى ..

وهو ألمانى ... والعلماء الذين يهدف إليهم – ألمان ... وليس صعبا أن تنشأ صداقة بين أبناء البلد الواحد خصوصا خارج بلدهم ...

ثم هو مليونير – كما إدعى – يغدق الهدايا ويقيم الحفلات وهذه ترضى الكثيرين . !

ولم تكن حدود نشاط لوتز تقف عند حد « الفعل » بل « ردود الفعل » ذاتها ... كان عليه أن يعرف ماذا يجرى ؟ وكيف يجرى ؟

وخلال عمله كان على اتصال مستمر بالمخابرات الاسرائيلية (الموساد)يعطيها ما يصل إليه من معلومات وتعطيه تعليمات بما يجب أن يفعل ...

وبعد ٦ أشهر وخمسة أيام بالضبط ... من وصول لوتز سافر من القاهرة كتعليمات المخابرات الاسرائيلية لتبادل الرأى وتفريغ تفاصيل معلوماته والحصول على تعليمات جديدة ...

هكذا فى ١٥ أبريل حملت الطائرة لوتز وزوجته مارتا إلى ألمانيا ... وقضيا هناك نحو شهرين إذ عادا مرة أخرى إلى القاهرة فى ١٢ يونيو وكان مع لوتز ١٢ ألف دولار – بحجة أنها مكسب خيوله فى ألمانيا – ليبدأ فصلا جديدا من نشاطه وفق مخطط الحرب السرية الذى وضعه رؤساؤه ...

ولايهمنا كثيرا أحداث هذا الفصل الذى سافر بعده إلى ألمانيا فى ٣ يناير ١٩٦٤ – لكن يهمنا أن نقف قليلا لنعرف ماذا جرى مع لوتز عند سفره هذه المرة ...

إن ما جرى لم يقف عند حد تفريغ المعلومات وتبادل الأراء وتلقى التعليمات ثم العودة بـ ١٢ ألف دولار جديدة ...

فلقد كان ما جرى هو بداية النشاط الحقيقى لرئيس المخابرات الاسرائيلية الجديد – مائير أميت – الذى خلف « عزرا هاريل » ... !

قالوا له : لقد صرت « جاسوسا مقيما » معتمدا ... والآن فقط ... ستبدأ مرحلة المهام الكبيرة !

التخريـب مـن الداخـل !

إن عمليات التخريب التى جرت من قبل والتى وقعت فى القاهرة ... كانت « مدبرة » ومجهزة . فى الخارج ...

* مثلا الطرد الذى قتل وأصاب فى المصنع الحربى ... كان من الخارج .

* مثلا الخطاب الذى انفجر فى وجه سكرتيرة بيلز ... كان أيضا من الخارج .

** ولقد انكشفت اللعبة ... وضبطت طرود وخطابات متفجرة فور وصولها إلى القاهرة وأبطل مفعولها ... كما ذكرنا فى فصول سابقة .

ذلك ما كان يحدث ... وكانت الضجة ... وكان طرد مدير مخابرات اسرائيل **عزرا هاريل** – كما قيل – لخطأ فى تقديراته السياسية ... ! وعين بدلا منه مائير إيميت .

ولقد درس هذا المدير الجديد الموقف وقرر بجرأة – وبموافقة أشكول رئيس الوزراء – أن ينقل نشاط التخريب فى القاهرة إلى القاهرة ذاتها ... بحيث ترسل الطرود والخطابات وتوضع فى أهدافها ... من القاهرة ذاتها ... وكما قلنا من قبل لم تتعب مخابرات اسرائيل كثيرا فقد كان لها فى القاهرة جاسوس .

كان لها لوتز الذى استدعوه هذه المرة فى ٣ يناير ١٩٦٤ إلى ألمانيا لينفذ مخطط المدير الجديد !

قالوا له ... للجاسوس المحترف لوتز إنه فى هذه المرة سوف يبدأ مهمة جديدة خطرة ... وشرحوا له خطتهم ... وقالوا أنه سيحمل معه متفجرات لاستخدامها عندما يرسلون له تعليمات بذلك ... وأعطوه متفجرات داخل ٣ قطع من صابون « لافندرياردلى » وأخذوه إلى حيث دربوه على كيفية استخدام هذه المتفجرات ...

ان كل قطعة من القطع الثلاث مغلفة بطبقة رقيقة من صابون « لافندر ياردلى » بالفعل لكن الحشو داخل هذه الطبقة الرقيقة كان عبارة عن المتفجرات ذاتها وهى « مادة عضوية مفرقعة يدخل فى تركيبها مادة « البتروبينتز » .

وبعد الشرح وضعوا له القطع الثلاث داخل صندوق صابون يحمل علامة الماركة وتمنوا له التوفيق . !

وجاء لوتز وزوجته مارتا إلى القاهرة يوم ١٠ مارس ١٩٦٤ ... وبدأ يزاول نشاطه العادى .. لكن بهمة أكبر ... غير أنه لم يتسلم تعليمات بإستخدام الصابون ... ففى هذا الوقت كان الرأى العام لايزال متوترا من الحوادث السابقة وخشى مدير المخابرات الجديد أن يخطىء فى التقديرات السياسية مثل سلفة المطرود !!

وبعد أشهر قليلة ... فى ١٨ يوليو من نفس العام ١٩٦٤ غادر الجاسوس وزوجته القاهرة إلى ألمانيا .

وفى هذه المرة توغل فى المهمة الخطيرة وفق مخطط (إيميت) المدير الجديد الذى عينه أشكول وكانت جولدا مائير وزيرة الخارجية المحرضة لاستخدام أعمال عنيفة !

وصل لوتز إلى ألمانيا ومنها سافر إلى باريس ... وهناك التقى بجوزيف الذى أخبره أن – مهمته سوف تصبح أكثر خطورة فإنه سوف يحمل هذه المرة خطابات داخل مظاريف تحمل إسم **البنك الأهلى المصرى** ويحمل كل منها عنوان واحد من العلماء والخبراء الألمان فى مصر مكتوب بالآلة الكاتبة وفى أعلى المظروف رقم بالقلم الرصاص ... وما عليه إلا أن يحتفظ بها وكل مظروف بخطابه داخل غلاف من البلاستيك ... وكل المضاريف بأغلفتها داخل مخبأ سرى فى قطعة خشب مما تستخدم فى تقطيع اللحوم عليها داخل مطابخ المنازل . !

ثم عليه أن ينتظر التعليمات ... إذا أرسلوا له عن رقم معين ... فإن عليه أن يخرج الخطاب الذى يحمل هذا الرقم ويلصق عليه طابعى بريد مصريين (١) ويضعه فى صندوق بريد ليصل الخطاب إلى صاحب الأسم المدون عليه .. وقبل أن يفعل ذلك كله يرتدى القفاز فى يديه حتى لايترك أية بصمات ... !

هذا إذا أرسلوا له رقما واحدا ... أما إذا أرسلوا له كلمة السر وهى « **أحذية** »

---

(١) كان يمكن وضع طابع مصرى واحد مادام الخطاب يرسل عاديا وليس مسجلا من داخل البلاد إلى خارجها ولكن خبراء مخابرات اسرائيل قرروا وضع طابعين زيادة فى الحيطة لكن ذلك يدل على اضطرابهم وغبائهم إذ إن أى شىء أقل أو أكثر مما يجب يثير الانتباه !

فإن عليه أن يرسل كل الخطابات لكل الناس من صناديق بريد متعددة ... دفعة واحدة وفى يوم واحد !

- **ماذا فى هذه الخطابات ؟**

قال جوزيف للجاسوس لوتز إن الخطابات نوعان :

- **نوع يحمل تهديدا وإنذارا إلى العالم أو الخبير الألمانى المرسل إليه ليكف عن عمله فى مصر ويتركها إلى الخارج .**
- **ونوع فيه متفجرات تنفجر فى وجه العالم فور فتحه للخطاب .**

وعليه – بديهيا – أن يرسل بعد ذلك إلى المنظمة عن رد الفعل .

وانتهى لقاء جوزيف بلوتز بعد هذا الشرح وآمره أن يستريح حتى يتلقى تعليمات أخرى ... فانصرف لوتز .

وبعد أيام ... فى ٣١ أغسطس تلقى لوتز مكالمة تليفونية من أحد أعضاء الموساد وطلب منه أن يقابله فى أحد المقاهى فورا .

ونفذ لوتز الأمر وقاد سيارته الفولكس التى كان يستأجرها من ألمانيا ويأخذها معه إلى باريس ... وإتجه إلى المقهى وقبل أن يغادر السيارة فوجىء بعضو الموساد واسمه (الحركى طبعا) « ايرلج » يركب بجواره ويطلب منه أن يقود وهو يرشده عن المكان الذى يتوجهان إليه وهو غابة خارج مدينة باريس ... وهناك دخلا فيلا منعزلة ... وأخرج « ايرلج » قطعة الخشب ... وبدأ يشرح له كيف يفتح مخبأها السرى ... وكيف يخرج الخطابات ... ثم وضعها مكانها وسلم له « قطعة الخشب » وطلب منه ألا يفتحها إلا إذا تلقى التعليمات (وقطعة الخشب هذه مساحتها ٤٠ × ٣٠ سنتيمترا) .

واستلم لوتز « **المهمة الجديدة الأكثر خطورة** » ... وغادر الغابة وبدأ يستعد للعودة إلى القاهرة ... وكان أيضا قد تسلم حقيبة متفجرات – سنعرض لها فيما بعد – وطلبوا إليه الا يستخدمها إلا عندما تجيئه تعليمات بذلك .... !

إنفجارات فى المعادى !

فى ٨ سبتمبر ١٩٦٤ وقفت الباخرة فى ميناء الأسكندرية ومنها نزلت مارتا ووراءها زوجها الجاسوس لوتز وعندما هبطا إلى الرصيف كان فى انتظارهما اللواء **يوسف غراب** مدير أمن مرسى مطروح – وقتها – وبطبيعة الحال أنهى اللواء غراب اجراءات خروج الجاسوس وزوجته من الميناء بما يحملان من أدوات قتل وتدمير وتهديد ... !

أن اللواء يوسف غراب[1] فارس قديم وكان من أعمدة نادى الفروسية وفيه قابل لوتز وانخدع فى مظهره فاتخذه صديقا له دون أن يدرى حقيقته ودون أن يشك لحظة واحدة فى أمره .

ومن الأسكندرية وصل لوتز إلى القاهرة ... إلى فيلته فى الهرم حيث أخفى « قطعة الخشب » وبدأ يمارس حياته كالمعتاد ... حفلات ... واختلاس معلومات ... وتظاهر بالثراء وهواية الخيول ... لكن علاوة على ذلك كان يترقب – عبر جهاز اللاسلكى – التعليمات الجديدة .

وفى ١٩ سبتمبر ١٩٦٤ – أى بعد ١١ يوما من وصوله تلقى لوتز إشاره تقول : أرسل الأحذية « كل شىء على مايرام ... نفذ التعليمات ... الأحذية » وهنا – وفقا للتعليمات أيضا – أرسل الرد : « تلقيت طلب أحذية » ... وفى اليوم التالى – ٣٠ سبتمبر – تلقى نفس الاشارة الأولى وكان معنى هذا أن يرسل كل الخطابات ...

وعلى الفور ارتدى قفازه وأخرج الخطابات وأسرع يلصق عليها طوابع البريد – وكانت جاهزة لديه – ثم أسرع إلى سيارته يطوف بها شوارع الجيزة – بعيدا عن فيلته – وشوارع الزمالك ليلقى بالخطابات داخل صناديق البريد ....

وبدأت الخطابات مسيرة الرعب فى اللحظة التى عاد فيها لوتز إلى فيلته حيث أرسل اشارة تقول « تم ارسال الأحذية ... كل شىء تمام » .

---

(١) يمكن أن نكرر هنا نفس الحديث القصير الذى قلناه من قبل بالنسبة للذين اشترى منهم لوتز خيوله – المؤلف .

وانتظر لوتز – ماذا سيحدث ؟

وفى اليوم التالى مباشرة – ٢١ سبتمبر ١٩٦٤ – وصل إلى الخبير الألمانى كير مايير مارتن خطابه . لكنه – لسوء حظ مخابرات اسرائيل – لم يفتحه واشتبه فيه فابلغ سلطات الأمن حيث تسلمت الخطابات وفتحته بطرقها الخاصة دون أن ينفجر . لقد كان الخطاب يحمل شحنة متفجرات !

وفى اليوم التالى – ٢٢ سبتمبر – تسلم الخبير جوزيف هايزج خطابه ... وكان هذا الخطاب من النوع الذى يحمل تهديدا لترك العمل فى مصر .

وفى نفس اليوم – ٢٢ سبتمبر – تسلم أرنست شتانج خطابه ... وكان تهديدا أيضا .

ثم بقى خطابان أحدهما محشو بالمتفجرات والاخر برسالة تهديد ... ومنهما عرف لوتز ردود الفعل ... فلقد كان خطاب التهديد مرسلا إلى صديق له .. صحيح أنه ألمانى لكن يعمل فى التجارة بعيدا عن العلماء والخبراء المعنيين ... ولقد كان الهدف من أرسال الخطاب له هو أنه سوف يروى للوتز – باعتباره صديقا – ماذا حدث ... ؟

أما رد الفعل لخطابات المتفجرات ... وهل نجحت أم لا فقد عرفها لوتز بعدها بأيام عندما نشرنا فى « الأهرام »[1] تحقيقا عنها ... ولقد كان هذا التحقيق عن خطاب المتفجرات الذى أشرنا إليه قبل سطور ... وهذه هى حكايته ...

كانت معلومات المخابرات السرية الاسرائيلية عن الخبير الذى أرسلت له هذا الخطاب خطأ ... فهى لم تكن تعرف عنوانه ... ولذلك كتبته على ضاحية المعادى القريبة من القاهرة شارع ١٠ منزل ٧٣ ووصل الخطاب إلى مكتب بريد المعادى مساء يوم ٢١ سبتمبر وأخذه ساعى البريد إلى العنوان المكتوب عليه فاكتشف أنه خطأ فعاد به مرة أخرى إلى المكتب ليفحصه وكيل مكتب البريد صباح اليوم التالى .

وفى صباح اليوم التالى ... الساعة الثامنة والنصف . كان محمد رجب بدران وكيل المكتب جالسا فى حجرته وأمامه كومة من الخطابات ... وفى نفس الوقت كان

(١) نشر الأهرام هذا التحيق المصور على الصفحة الأولى ، وعلى الصفحة الثالثة مع الصور فى ٢٣ / ٩ وكتب التحقيق محمود مراد .

الشرطى محمود عبدالرحمن يقف بجوار المكتب ليسأل وكيل البريد عن خطاب وضعه فى صندوق البوستة منذ ساعة ويريد أن يعيده مرة أخرى لعدم حاجته إلى ارساله .

قال الشرطى لوكيل البريد :

- صباح الخير ...

— .....

- صباح الخير ياحضرة الوكيل ...

— نعم .....

أنا عايز أرجع الجواب ....

— .....

- يا حضرة الوكيل أنا عايز أرجع الجواب ...

— جواب ايه ؟

وقبل أن ينطق الشرطى ... حدث إنفجار شديد ... وسقط وكيل البريد تحت المكتب والدم ينزف من وجهه وانكفأ الشرطى وتناثر الزجاج ... وجاء الموظفون ... ونقل وكيل البريد إلى مستشفى مبرة المعادى حيث شوه الانفجار وجهه وكاد يفقد بصره ... وبالفعل أفقد العين اليمنى معظم إبصارها . !.

★ ★ ★

والآن ما هى صيغة التهديد الذى كان فى الخطابات ؟ لقد كانت تختلف من واحد إلى اخر .

مثلا أرسلوا إلى هايزج يهددون بقتله وقتل زوجته وابنتيه :

« إلى السيد جوزيف هايزج ...

« نرجو احاطتكم علما أن إسمكم قد أدرج بقائمتنا السوداء حيث تشتمل على أسماء أولئك الذين يعاونون مصر فى إنتاج الأسلحة المدمرة ... ولقد اتضح لنا بواسطة اعتراف ابنكم إنكم تعملون الآن فى موضوع الطائرات ..

« ولقد ظننا أن ماضيكم النازى وخبرتكم السابقة أثناء اعتقالكم لدى السلطات الروسية كانت كافية لفتح عينيكم لكى تبتعدوا عن الانتاج فى الصناعات الحربية ولكنه يبدو ضروريا اتخاذ اجراءات أخرى مع رجل مثلكم ... ولكن مما ينبغى تقديمه من النصح إليكم أن تتذكروا مستقبل زوجتكم « روث » وكريمتيكم « أنجه » و« جيتا » أليس الأحسن والأوفق لكم أن تقيموا فى « باد أوسنريه » حيث الجو الألطف للعمل .

« ان هذا الخطاب بمثابة تحذير إليكم وكلما بكرتم بترك العمل فى خدمة مصر كلما كان هذا بمثابة منجاة لكم » .

التوقيع « الجدعونيون »

والملاحظات على هذا الخطاب :

١ – إنه وثيقة تهديد إلى الخبير الألمانى .

٢ – إنه وثيقة تهديد لإبنه الذى قال – تحت التعذيب – أن والده يعمل فى مصر .

٣ – إنه وثيقة تدين بعدم الأنسانية والخلق لتهديد ابنتى الخبير وزوجته بالقتل .

٤ – إنه يبين استغلال تهمة النازية ولصقها بالأبرياء منها .

٥ – إنه يكشف عن جماعة صهيونية ارهابية هى جماعة الجدعونيين وهى جماعة كانت تقتل **عرب فلسطين عند قيام اسرائيل** وتتعاون مع المخابرات الاسرائيلية وبالتنسيق معها !

٦ – إنه يكشف رعب اسرائيل من تقدم الجمهورية العربية المتحدة .

★ ★ ★

وكانت رسالة الخبير شتانج تهدده كما يلى :

« **السيد / ارنست شتانج**

« **نبعث إليكم بهذا المكتوب لأنه قد بلغ إلى علمنا أن اقامتكم فى مصر لاتقتصر على أداء عملكم فى الدائرة المحددة لاختصاصكم فى صناعة الطائرات .. بل تعدتها**

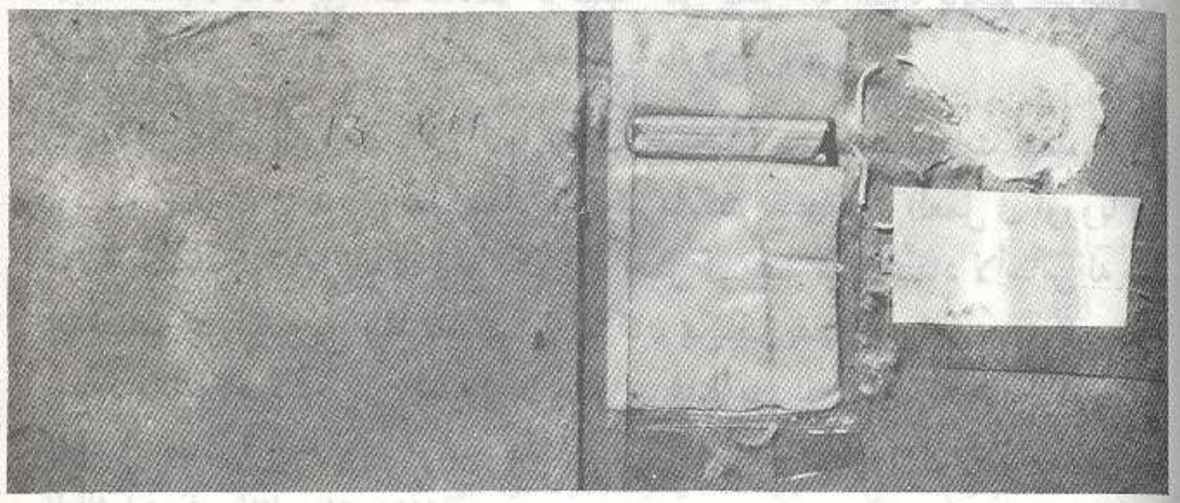

• الخطاب الذى يحمل شحنة المتفجرات الذى انفجر فى سكرتيرة بيلز ومثله فى مكتب بريد المعادى .. •

• وكيل مكتب بريد المعادى محمد رجب بعد اصابته ونقله إلى المستشفى والتقينا به فيها •

إلى أن اقامتكم هى للمعاونة بصلة بمباشرة فى أعمال الاستعدادات الحربية كما نعلم جيدا أنه بالاضافة إلى مساعدتكم الوظيفية التى يبدو أنها كبيرة فأنكم تساعدون مصر أيضا فى مجالات أخرى من بينها تقوية الروح المعنوية .

« كل هذا تعملون فى وعى كامل بحيث أصبحت كل الاستعدادات محصورة فى الحرب والحرب وحدها . أما اعتقادكم بأنكم ما كنتم تستطيعون العمل فى أوروبا فى دائرة تخصصكم الأمر الذى دفع بكم إلى العمل فى مصر فهو اعتقاد لاأساس له بل أن نقيضه هو الصحيح ومما لاشك فيه أنه كان يمكنكم بقليل من الجهد ، ونحن على استعداد للمعاونة لكى - تعثروا على أنواع عدة من العمل فى غرب أوروبا مما لايتصل مباشرة بالحروب وغير هذا نتساءل لماذا لم تفكروا فى تطوير صناعة الطائرات فى غانا مثلا (!!!) .

« ومما تقدم ايضاحه يمكنكم أن تدركوا أنكم بعملكم فى مصر إنما تعملون على امتداد - الفضائح النازية فى الوقت الحاضر ، وهذا بالاعداد لحرب ضد الانسانية الأمر الذى يجعلنا نقدم إليكم النصح بالتعجيل فى اتخاذ الاجراءات لمزالة عمل أخر فى بلد آخر غير مصر » .

« لقد أوضحنا هنا وجهة نظرنا نحو عملكم الحاضر ... ويمكنكم أن تفهموا انه من الخير لكم المبادرة باتخاذ ما يناسب من الاجراءات . ان لدينا المعلومات بأن عقد عملكم ينتهى فى سنة ١٩٦٦ ، ولكن هذا ليس سببا يمكن اتخاذه اساسا لاستمراركم فى عملكم الاجرامى » .

التوقيع « الجدعونيون »

وملاحظاتنا على هذه الرسالة :

١ - اعترافها أن الخبراء يعملون فى وعى كامل . بلاضغط ولا أرهاب كما فعلت اسرائيل مع العالم كروج الذى اختطفته وتفعل مع غيره !

٢ - اعادة التلويح بتهمة النازية .

٣ - وصفهم التعاون الصادق المبنى على الاحترام المتبادل بأنه « عمل اجرامى » ولاتعليق على هذا !

هذه كانت عينة من رسائل التهديد أما خطابات المتفجرات فإن شحنة المتفجرات التى توجد داخل الخطاب عبارة عن :

١ -المادة القابلة للتفجير وهى على شكل مستطيل : ارتفاعه نحو ١٠ سنتيمترات وعرضه ٥ سنتيمترات .

٢ -المفجر ... وهو أصبح اسطوانى يوضع فى الثلث العلوى لعبوة المادة القابلة للتفجير .

٣ -بطارية صغيرة فى مواجهة المفجر .

٤ -سلك رفيع يصل ما بين المفجر والبطارية وينتهى بقضيب صغير . وسلك أخر يخرج من المفجر وينتهى بقضيب مماثل للأول ويجاوره .

٥ -خيط رفيع دقيق يصل ما بين القضيبين ويلف حول المظروف من الداخل .

٦ -هذه المواد كلها موضوعة على نوع معين من الورق ملصقة عليه بمادة عجينية . على أن تكون هذه المواد ملصقة على نصف مساحة الورقة أما النصف الأخر فيطرى فوقها بحيث تكون الورقة كلها - بما فيها من مواد تفجير - مثل « الساندوتش » .

٧ -يوضع هذا « الساندوتش » داخل المظروف بحيث يصبح الخيط الرفيع الذى يصل ما بين القضيبين يلف بمحيط المظروف كله .

٨ -عند فتح المظروف أو تمزيقه من أى جهة فإن فاتح الخطاب أو ممزقه يجذب فى لحظة خاطفة وبغير قصد - هذا الخيط - الذى يصل القضيبين ويلف المحيط - فينضم القضيبان الصغيران ويتم الاتصال بين كل مواد التفجير فيحدث انفجار سريع .

هكذا كان الخطاب محشوا بالموت سريع المفعول .

ولكن ما هو الأثر الحقيقى لهذه الخطابات ؟

إن لوتز أصبح مجنونا بعد ارسال الخطابات . كان يريد أن يعرف ما هى نتائجها ... لكنه لم يصل إلى شىء :.. حتى نشرنا تحقيق (الأهرام) الذى قلنا فيه إن خطاب المعادى أخطأ العنوان وانفجر ... وإن خطاب كير مايير لم ينفجر وإنما اكتشف ... **وهنا فقط أسرع لوتز يرسل إلى المنظمة** « الخطاب المرسل إلى كير مايير لم ينفجر عند فتحه . خطاب اخر انفجر فى مكتب بريد المعادى وأصاب موظفا فيه . أثر الخطابات فى الألمان عظيم . سأوافيكم بالمزيد .. » .

كان لوتز يضحك على رؤسائه بالبرقية . فالجديد الموجود فيها الذى أضافه من عنده هو الخاص بالأثر فى العلماء ... وهذا كذب عظيم منه والا فهل استمر الجاسوس « النشيط » فى تنفيذ بقية خطة مهمته الخطيرة ... ؟ هل أرسل المتفجرات التى جاء بها فى الحقيبة مع الخطابات والتى أشرنا إليها من قبل ؟؟ .

● الشرطى محمود عبد الرحمن شاهد حادث مكتب بريد المعادى وهو يرويه لنا عقب وقوعه مباشرة ●

● خلال الاستراحة.. وسيجارة تخفى التوتر

الأفعى .. والحمامة !

كان لوتز قد أنهى برقيته الأخيرة بعبارة : « سأوافيم بالمزيد » ... وهو هنا كان كاذبا حذرا وحويطا فى نفس الوقت ... !

كان كاذبا لأن خطاباته التى حملت شحنات الموت وأسواط التحذير ... لم تفلح بالدرجة المؤثرة ...

وكان حذرا لأنه ترك الباب مفتوحا فلا هو قال أنها فشلت ولا هو قال أنها نجحت ...

وكان حويطا لأنه رغم ادعائه بأنه مدرب وتاجر خيول ... ورغم صداقاته وحفلاته الساهرة الصاخبة كان وجهه يزداد احمرارا من فرط توتره وعصبيته الزائدة التى لم تفلح كؤوس الشمبانيا وأحضان « مارتا » فى تهدئتها !

بل أن عيونا ألمانية كانت تراقبه[1] .

ففى القاهرة ، كان يوجد وقتها « جيرهارد باوخ » ممثل مخابرات ألمانيا الغربية – أو مندوبها الدائم المقيم – وكان متسترا وراء منصب مدير إحدى الشركات التجارية ... ومن الطبيعى أنه إلى جانب تجسسه على مصر فإنه كان يمد شباكه إلى الأجانب وبالذات الألمان ليعرف تحركاتهم وأنشطتهم خاصة فى ذلك الوقت الذى تموج فيه العلاقات بتيارات شتى وتبرز قصة العلماء الألمان – أبناء بلده – .. وكان من الطبيعى أيضا أن تتصل خيوط المعرفة بينه وبين لوتز ... وأن يكتشف بعض ثغرات فى حكاية هذا الضابط السابق مدرب الخيول الحالى وزوجته مارتا بل إنه بعيون رجل المخابرات الفاحصة المدققة لاحظ أن لوتز يهتم بأمور وأشياء تتجاوز اهتمامات مدرب الخيول !

---

(١) مصدر هذه المعلومات كتاب « الجنرال كان جاسوسا » .. « الحقيقة عن الجنرال جيهلن – رئيس مخابرات ألمانيا الغربية فى تلك الفترة – وحلقته للجاسوسية » تأليف هاينز كوهن وهيرمان زولنج مع مقدمة بقلم هيوتريفور وتمهيد للطبعة الأمريكية بقلم أندروتولى – نيويورك .

ولذا لم يكن غريبا أن يرسل باوخ – فى تلك الفترة بالذات التى توتر فيها لوتز عقب فشل عملية الخطابات فى سبتمبر ١٩٦٤ – تقريرا إلى رئاسة المخابرات (بولاخ) عن لوتز يطلب فيها البحث إذا كان بالفعل مواطنا ألمانيا أم لا ويقول أنه يشك فى أنه يتجسس لحساب دولة ما ... !

وانتظر باوخ الرد ... وكان متأكدا أنهم سيردون عليه بسرعة . فهو ليس مجرد مندوب المخابرات إنما أحد رجالها البارزين فضلا عن أنه التلميذ النجيب بل الأبن بالتبنى لهانز هينريك وورجتسكى نائب رئيس المخابرات الألمانية الغربية ...

وكان باوخ فضلا عن منصبه كمندوب مقيم للبولاخ فى مصر مسئولا عن نشاط المخابرات فى شمال ووسط افريقيا وعندما جاء إلى القاهرة تحت ستار ممثل لمجموعة من الشركات الصناعية الألمانية الغربية أقيمت له حفلة لائقة وأهداه الجنرال جيهلن رئيس المخابرات صينية من الفضة منقوش عليها عبارة « كن حكيما كالأفعى وديعا كالحمامة » ...

ولقد كان هكذا بالفعل !

وبرغم هذا لم يأت إليه الرد ... فعاد يبعث بتقرير آخر ... ولم يأت رد ... وأرسل تقريرا ثالثا وتكرر نفس الشىء فتخلى عن وداعته واستشاط غضبا وسافر إلى ألمانيا بحثا عن السبب ! .

كان السبب فى عدم وصول رد إلى « باوخ » هو اتفاق سرى تم بين المخابرات الاسرائيلية « الموساد » وبين المخابرات الألمانية « البولاخ » بخصوص لوتز ومطاردة العلماء الألمان فى مصر ... فقد سافر **عزرا هاريل** رئيس الموساد فى أواخر عام ١٩٥٩ سرا إلى ألمانيا حيث التقى بالجنرال رينهارد جيهلن لتنسيق خطة مطارة العلماء[1] وقال له : **أننى أريد إيقافهم وإلا تصرفت وحدى ولو بالقتل ! »**

---

(١) كتاب الموساد – المصدر السابق – وقد أدى التنسيق وتدخل البولاخ إلى الضغط على المستشار الألمانى اديناور عام ١٩٦٢ فأصدر أمرا بالضغط على العلماء والخبراء الألمان لمغادرة مصر واتصل بالمؤسسات والمصانع الألمانية لتدبير عمل لهم .

و ... وافق جيهلن على التنسيق وعلى مساعدة الموساد فى تسلل عميل لها إلى داخل مصر ، وفوض فى هذا الشأن مساعده « لانجكو » الذى كان معروفا بانحيازه إلى اسرائيل وتأييد سياساتها . وبقى الأمر سرا بين الاثنين فلم تعرفه سائر أجهزة المخابرات ولم يعرفه وورجتسكى رغم أنه كان نائبا لرئيس البولاخ واحد رجالها البارزين وأحد خبرائها الكبار فى شئون الشرق الأوسط ...

وفى سرية تامة[1] تولى « لانجكو » استقبال لوتز والحقه عام ١٩٦٠ بمعسكر استقبال المخابرات فى ماريا نفيلد ببرلين الغربية ثم معسكر ميونيخ وهكذا طوال فترة التدريب سواء على أعمال المخابرات أو على آدات المائدة الألمانية وتقاليد الحياة الألمانية ... وتم تجهيزه بالأوراق والمستندات الألمانية ليسافر بعدها إلى مصر كضابط سابق فى جيش روميل الأفريقى ومدرب خيول حالى ...

جرى كل ذلك سراً ... ومن ثم فإنه عندما أرسل باوخ مستفسرا لم يتلق ردا ... فسافر إلى بون وفى المركز الرئيسى للبولاخ قيل له أنه لاتوجد لديهم أية معلومات أو ملفات عن لوتز وكذب عليه جيهلن بقوله أنه لايعرف شيئا وطلب منه العودة لاستئناف عمله ... !

وقبل أن نترك علاقة المخابرات الألمانية بالموساد ولوتز نقول أن « باوخ » ظل يجهل أمر لوتز لكنه اقترب منه كثيرا ليفك طلاسمه إلى حد أن المخابرات المصرية عندما ألقت القبض على لوتز شكت فى أمر باوخ فألقت القبض عليه أيضا لتجرى اتصالات مكثفة حتى أفرج عنه وعاد إلى بلاده ليتلقى تأنيبا من جيهلن لأنه لم يكتشف سر لوتز وعندما حاول وورجتسكى الدفاع عن باوخ تلقى هو الأخر لوما من رئيس البولاخ قائلا أن لوتز عمل ضدهم وضد المصالح الألمانية وتمادى جيهلن فى التعمية وتقليص نائبه حتى لايكتشف الحقيقة ويفضحه وأمر بفصل باوخ بحجة أنه أهمل وصار ورقة محروقة ... واستدار إلى وورجتسكى فسحب اختصاصاته تدريجيا وأمر بالتجسس على تليفوناته[2] ونتيجة لهذا أصيب بأزمة قلبية فظل يعالج ولم

---

(١) كتاب الجنرال كان جاسوسا – المصدر السابق .

(٢) ان هذا يوضح لنا صراع الاتجاهات فى أجهزة المخابرات واتصالات قادتها بقوى خارجية وتنسيقها مع عناصر داخلية ... وشراسة سلوكها حتى مع كبار قياداتها ! .

يعد أبدا إلى مكتبه حتى توفى فى ١٣ ديسمبر عام ١٩٦٩ **وحضر جنازته كبار رجال البولاخ وفى مقدمتهم رئيسها الجديد « جيرهارد ويسيل »** بينما لم يحضر جيهلن الذى كان قد خرج من منصبه ... نتيجة من ضمن نتائج قصة العلماء الألمان فى مصر ... والجاسوس المحترف وولفجانج لوتز ! .

★ ★ ★

كان لوتز فى تلك الفترة – آخر سبتمبر ١٩٦٤ – متوترا بسبب فشل خطاباته المدمرة والمهددة ... وإذا كان قد أنهى برقيته السابقة ، التى أشرنا إليها ، قائلا لرؤسائه : « **سأوافيكم بالمزيد** » فانه فى الواقع كان متخبطا خائفا ... أغرق نفسه فى الحفلات الصاخبة لكنه لم يهدأ ... أحس مما حوله أنه قد فشل فشلا ذريعا ... وأخبر زوجته وتدارس معها الأمر وجاءته رسالة أن ينفذ عملية حقيبة المتفجرات التى كان قد عاد بها وأخفاها ...

كانت الحقيبة مزودة بمخبأ سرى بداخله هدايا مميتة ، عبارة عن أقلام متنوعة وأجندات ودفاتر للكتابة ... أنيقة تحمل اسم « مكتبة النهضة المصرية » وهذا طبعا بالتزوير فإن هذه الهدايا فى حقيقتها كانت محشوة بنوع قوى من المتفجرات داخل أغلفة أنيقة ....

وكان من المفروض إرسالها فى عيد الميلاد – ٢٤ ديسمبر – ورأس السنة – ٣١ ديسمبر – إلى مجموعة كبيرة من العلماء والخبراء الألمان لكى تنفجر فيهم وفى ذويهم وهم يحتفلون !

لكن لوتز الخائف المتوتر قرر منفردا التخلص من الحقيبة .. ثم قرر أن يتخلص منها بسرعة ... فأخذها وأصطحب معه زوجته وانطلق بسيارته إلى طريق القاهرة – الفيوم الصحراوى وكان ذلك فى نهاية أكتوبر ، وبعد عدة كيلو مترات أوقف السيارة ودخل إلى الصحراء بينما زوجته تراقب ودفن الحقيبة فى الرمال وعاد مسرعا ... وظلت الحقيبة هكذا نحو ثلاثة أشهر تعرضت خلالها رمال الصحراء لعوامل التعرية ورياح وأمطار الشتاء ولذلك ظهرت الحقيبة ليراها العامل المصرى البسيط عبدالنبى مناع (٣٠ سنة) وهو فى طريقه إلى المحجر الذى يعمل به ... وبالطبع فرح بالعثور

عليها فحملها إلى منزله بقرية كفر الجبل وهناك بدأ فى فتحها وبجواره شقيقه عبدالسلام ولما بدأ يعبث فى « الهدايا » انفجرت فأصابت الشقيقين ! .

★ ★★

هكذا ضلت حقيبة المتفجرات طريقها ...

وكان هذا بقرار من لوتز دون علم رؤسائه ... فهو جاسوس مقيم كبير له حق التصرف وهو قد تصرف فى ضوء فشل حملة مطاردة العلماء بل أنه فى اخر نوفمبر سمع من الألمان الذين يخالطهم أنه برغم الحملة الشريرة فإن ٣٩ خبيرا من مصانع « زيبيل للطائرات » بمدينة « لودفيكس بودج » قد تعاقدوا للعمل فى مصر ... فأرسل برقية بهذا إلى رؤسائه ... لكنه لم يتلق ردا !

ومرة أخرى غرق لوتز ومارتا فى بحر الحيرة !

ومن بحر الحيرة إلى بحر الخمر !

ومن حفلة خمر إلى أخرى ... حتى كانت الحفلة الكبرى فى رأس السنة وبعدها قرر الزوجان تنظيم رحلات إلى خارج القاهرة خاصة وإن والدا الزوجة كانا فى هذه الفترة قد جاءا إليها بعد أن انصلحت أحوالها لزيارة مصر ! .

لم تكن الرحلات للتنزه فقط ... وإنما لاخفاء الفشل العظيم ... !

فى هذا الوقت ... كانت عيون حادة تراقب لوتز ... وآذان تتسمع كل حركاته وسكناته واتصالاته ... وعدسات تسجل نشاطاته ...

★ ★ ★

وفى اليوم الثانى والعشرين من فبراير ١٩٦٥ عاد لوتز وزوجته فى سيارتهما الفولكس إلى فيلا الهرم بعد رحلة قاما بها إلى مرسى مطروح مع والدى « مارتا » ..

★ ★ ★

دخلت الزوجة الفيلا ووراءها لوتز الذى أضاء نور الكهرباء وخلع جاكتته وبعد دقيقتين فقط دق جرس الباب ليفاجأ بمجموعة رجال – هم من المخابرات

العامة ومن نيابة أمن الدولة العليا – كانوا قد انتظروا خارج الفيلا حتى جاء الزوجان وعندما دخلا دقوا الجرس ودخلوا ... وعرفوه بأنفسهم – وقال له رئيس نيابة أمن الدولة العليا أن هناك أمرا بالقبض عليه وأنهم ينتظرونه لتفتيش الفيلا في حضوره هو وزوجته ... وتجولوا معهما فى الفيلا ... وفى غرفة النوم أشار الرجال إلى دولاب الملابس ففتحه لوتز ومد أحدهم يده فالتقط ميزانا صغيرا وطلب رئيس النيابة من لوتز أن يفتح غطاءه ويفك أجزاءه الداخلية وهنا ظهر جهازا اللاسلكى اللذان كانا فى تجويفة الميزان ... وقبل أن ينطق أحد بحرف واحد مد لوتز يده وصافح رئيس النيابة وهو يضحك ضحكة عالية ...

● **وسئل : لماذا تضحك ؟**

فقال لوتز من خلال ضحكاته بينما زوجته تلمعان – حسرة وحزنا – « ما انتم عارفين كل حاجة » ... نطقها لوتز باللغة العربية التى أصبح يعرفها قليلا غير اللغة الانجليزية واللغة الألمانية ...

● **وسئل : عارفين كل حاجة إزاى ... إشرح لنا ؟**

فإلتقط لوتز جهازا اللاسلكى ومن تحتهما أخرج عبوة متفجرات ثم أنطلق يروى اعترافاته كاملة وبالتفصيل ، ولكن بالطبع على أساس أنه ألمانى وليس اسرائيلى !

كان مشهدا رائعا بين سلطات أمن واعية وجاسوس ساقط !

وبدأ تحقيق القضية ...

* * *

وفى ٥ مارس – أى بعد ١٢ يوما من ضبط القضية – عقد متحدث رسمى [1] باسم المخابرات العربية مؤتمرا صحفيا اذاع فيه خبر القبض على لوتز بالبيانات والصور والوثائق .

(١) كان المتحدث هو السيد ابراهيم بغدادى الذى أصبح فيما بعد محاظا للمنوفية ثم كفر الشيخ ثم محافظا للقاهرة . وقد عقد المؤتمر فى هيئة الاستعلامات بحضور رئيسها وقتها الدكتور يحيى أبو بكر .

ولقد قالت المخابرات العربية فى تقديمها للقضية :

« عودتنا مخابرات اسرائيل بأن نرى من أفعالها وأساليبها ما ينطوى على الخسة فى تحقيق مآربها ، وكل يوم تأتينا المعلومات عن أفعالهم من قتل وتشريد الأبرياء ولن تأل اسرائيل جهدا ولن تبخل بوسيلة إلا واقترفتها مهما كانت دنيئة أو مخالفة للقوانين السماوية منها والوضعية ..

« والمخابرات العامة العربية[1] **على المام تام بنوايا اسرائيل العدوانية ضد الدول العربية بصفة عامة والجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة فكانت دائما – هذه النوايا – تنطوى على العدوان المستمر من قبلها سواء كان ذلك بميدان التجسس أو فى اتباع أساليب مجردة من الانسانية وتتصف بالنذالة فى قتل وتشويه الأبرياء من الخبراء الألمان الذين يعملون فى الجمهورية العربية المتحدة** ...

« وقد تعودت المخابرات الاسرائيلية على اللطمات المتكررة التى تكيلها لها المخابرات العربية فى كشف أساليبها وعملائها داخل البلاد وخارجها وإن القضايا العديدة التى سبق نشرها لخير دليل على ذلك ، فمهما أمعنت مخابرات اسرائيل فى اتباع الأساليب الملتوية أو طورت فيها فإن المخابرات العربية دائما لها بالمرصاد ولن تمكنها من تحقيقا مآربها ...

« وإن المخابرات لتعلن اليوم تفصيلات إحدى القضايا الهامة للجاسوسية الاسرائيلية والتى تم القبض على أفرادها مساء يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٥ »[2]

وأذاع المتحدث الرسمى تفصيلات القضية ... وكان هذا – كما ذكرنا – يوم ٥ مارس ١٩٦٥ أى بعد ١٢ يوما فقط من الضبط ... [3]

(١) كان هذا هو الاسم الرسمى للمخابرات العامة المصرية .

(٢) قال كتاب الموساد – المصدر السابق – أنه بعد القبض على لوتز : « مرت أيام سوداء على الموساد » .

(٣) كان القبض على لوتز فى فبراير ٦٥ ورغم هذا قالت كتب صفراء اسرائيلية ورددت بعضها كتابات عربية ، أن لوتز وشبكته اعطت لاسرائيل أسرار جديدة عن مصر فى يونيو ٦٧ وإن لوتز سهر مع القادة وغير هذا من المزاعم !

وهنا أتوقف لأقول ملاحظة :

« **إن معنى اذاعة المخابرات العربية لتفاصيل القضية بعد ١٢ يوما هو دليل واضح على أنها كانت تعرف « كل شيء » قبل الضبط** ... أى أن ضبط الجاسوس كما أوضحنا منذ قليل – هو آخر عمل لها بعد أن وقفت على كل الأسرار المحيطة به وبمخابرات اسرائيل ، إذ ليس من المعقول أن تكون المخابرات العربية قد عرفت خلال ١٢ يوما « كل شيء » ودرسته ثم أعلنته . خصوصا وأن لوتز قال – بعد أيام من اذاعة القضية – خلال مقابلات صحفية أنه لم يتعرض لأى ضغط وإنما تكلم بملء ارادته ... وقد كرر هذا الكلام وقت محاكمته كما ذكره أيضا لأعضاء قنصلية ألمانيا الغربية عندما زاروه فى السجن » .

وبتحليل هذا الموقف يجعلنا نخرج منه سؤال :

★ إذا كان لوتز – كما قال – لم يواجه ضغطا فلماذا اعترف فورا وبملء ارادته ؟

والجواب على الفور :

★ لقد اعترف لوتز لأنه جاسوس محترف يعرف متى يجيء القبض عليه ... ويعرف – بفراسة الجاسوس – من هم الرجال الذين يواجهونه ... ولعله هذه المرة كان ذكيا فمنذ اللحظة الأولى لضبطه قال بالعربية وهو يضحك منهارا « ما أنتم عارفين كل حاجة » .

هذا هو لوتز الجاسوس المحترف ... وهو بالفعل محترف ... !

قرار الاتهام والضحايا

قبل أن تبدأ المحكمة بأكثر من شهر ... وبالتحديد فى ١١ يونيو ١٩٦٥ أذاعت نيابة أمن الدولة العليا قرار الاتهام فى قضية لوتز المتهم فيها هو وزوجته وألمانى اخر اسمه فرانز كيسوف وهو متزوج من مصرية اسمها نادية حمدى ...

وإذا كنت لم أكتب عن كيسوف من قبل فذلك لأن المحكمة قد قضت ببراءته ... وبالتالى فليس هناك داع للكتابة عنه وتضييع الجهد ... لكننى سوف أذكره من الآن على اعتبار أنه حوكم أمام المحكمة وهو مهندس تعرف عليه لوتز فى نادى الفروسية وصار صديقا حميما له .

قال قرار الاتهام الذى وقعه أحمد موسى رئيس نيابة أمن الدولة العليا – وقتها –[1] إن المتهمين هم :

١ – **جوهان وولفجانج سيجوند لوتز عمره ٤٤ سنة** – مهنته – كما تقول أوراقه – مربى ومدرب خيول يقيم فى ١١ شارع محمود غالب بالهرم .

٢ – **فالتراود مارتا كلارا نويمان** ، زوجة لوتز عمرها ٣٣ سنة .

٣ – **فرانز وهلم كيسوف** عمره ٤٧ سنة مهندس ميكانيكى فى شركة مانسمان ومقيم فى ٤ شارع محمد مظلوم شقة ٦٤ بعابدين .

ووجهت النيابة إلى لوتز وزوجته عشرة تهم هى بإختصار :

١ – التخابر – أى التجسس – لحساب إسرائيل .

٢ – إفشاء أسرار عسكرية .

٣ – التخابر بقصد الاضرار بمركز البلاد الحربى والسياسى والاقتصادى فى زمن الحرب .

---

(١) أصبح المستشار أحمد موسى فيما بعد مستشارا بالقضاء ثم مدعيا اشتراكيا عاما ثم انضم للحزب الوطنى وأصبح وكيلا لمجلس الشعب بعد انتخابه نائبا عن دائرته المنيا .

٤ – طلب وقبول أموال بقصد ارتكاب أعمال ضارة بمصالح البلاد ... فى زمن الحرب .

٥ – تنظيم واستخدام أدوات التراسل اللاسلكى والخطابات للحصول على الأسرار وافشائها لعملاء اسرائيل وذلك فى زمن الحرب . (١)

٦ – احراز واستيراد مفرقعات ومتفجرات بدون ترخيص .

٧ – استخدام مفرقعات لتعريض حياة الناس للخطر ... (إرسال الخطابات المتفجرة والمفرقعات) .

٨ – الشروع فى قتل محمد رجب وكيل بريد المعادى والخبير كيرماير مارتن عمدا مع سبق الأصرار .

٩ – تهديد جوزيف هايزج وارنست شتانج بارتكاب جريمة ضد النفس معاقب عليها .

١٠ – الاشتراك فى اتفاق جنائى الغرض منه ارتكاب هذه الجرائم المذكورة .

وكان معنى هذه الجرائم إن النيابة تطالب بعقوبات كثيرة للجاسوس وزوجته منها : – وهى كافية – عقوبة الاعدام .

أما كيسوف فقد وجهت له النيابة ٣تهم فقط هى :

١ – حصل بوسائل غير مشروعة على أسرار خاصة بالدفاع عن البلاد ولم يقصد تسليمها أو – افشائها لدولة أجنبية – وذلك بأن جمع خلسة أخبارا ومعلومات تتعلق بالشئون الحربية والسياسية والاقتصادية والصناعية للبلاد لايعلمها إلا الأشخاص الذين لهم صفة فى ذلك ويتعين مراعاة لمصلحة الدفاع عن البلاد – أن تبقى سراً على غيرهم ... وكان ذلك فى زمن الحرب .

٢ – اذاع أسرارا خاصة بالدفاع عن البلاد بأن أرسل لادارة شركة مانسمان بألمانيا تقارير عديدة تتضمن أخبارا ومعلومات تتعلق بالشئون الحربية والسياسية والاقتصادية والصناعية للبلاد ... وذلك فى زمن الحرب .

(١) نلاحظ أن قرار الاتهام عامله باعتباره مواطنا ألمانيا يتعامل مع منظمة تعمل لحساب اسرائيليا ، أى أنه ليس اسرائيلى .

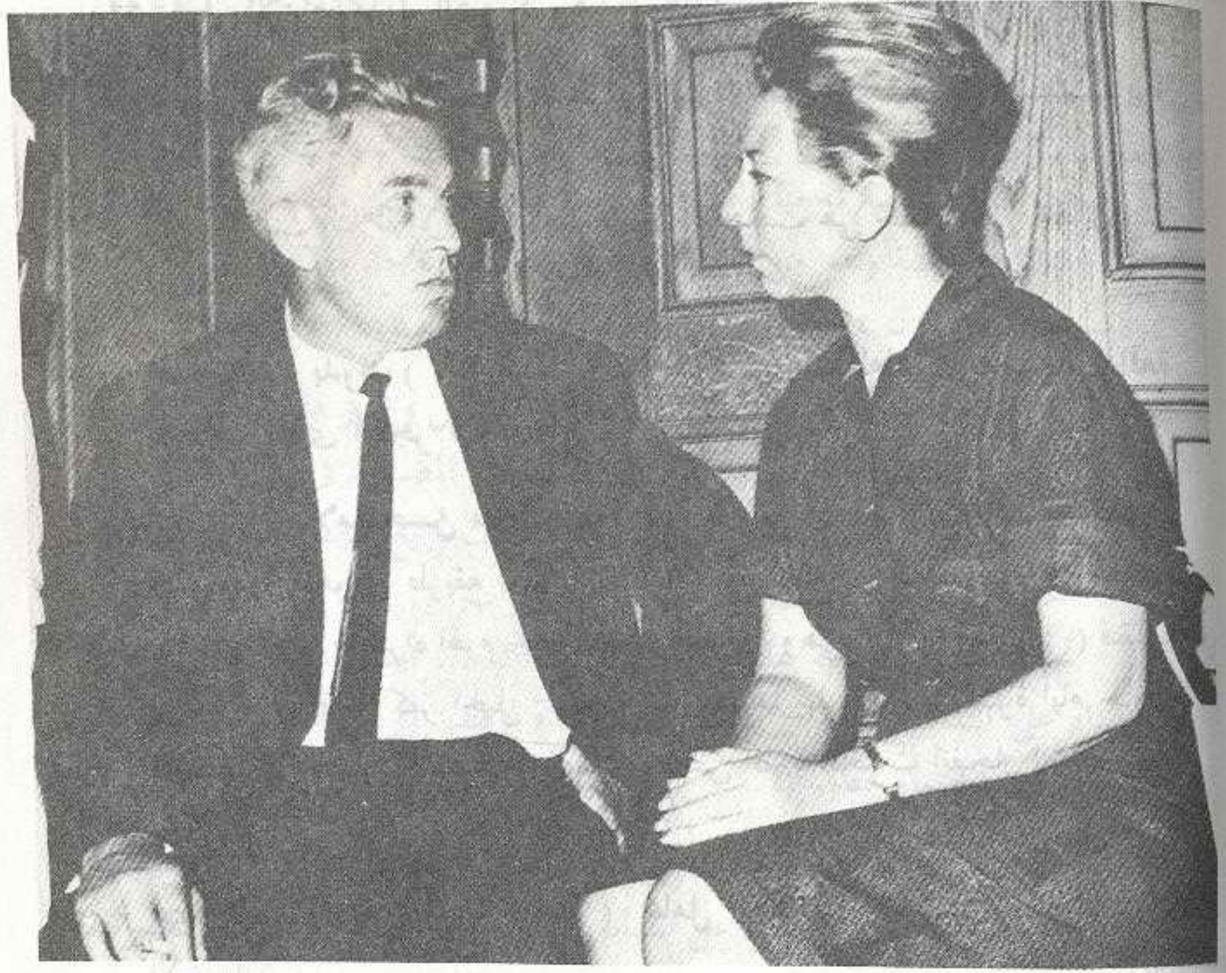

• فرانز ويلهلم كيسوف وزوجته نادية حمدى وهى مصرية .. •

٣ – اذاع عمدا فى زمن الحرب أخبارا واشاعات كاذبة ومغرضة – وعمد إلى دعاية مثيرة من شأن ذلك الحاق الضرر بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد واضعاف الجلد فى الأمة . وذلك بأن أدلى لأشخاص فى الداخل والخارج بأخبار واشاعات كاذبة ومغرضة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية للبلاد تتضمن تنديدا بنظام الحكم القائم وتشويها لأثر التطبيق الاشتراكى مما يضعف الثقة بالنظم السياسية للبلاد وامكانياتها الاقتصادية ويسىء إلى التعامل معها الأمر الذى يؤثر على الاستعدادات الحربية وضعف الجلد فى الأمة .

وكان معنى هذه التهم الثلاثة أن النيابة تطالب بمعاقبة كسيوف بالسجن ١٥ سنة .

وفى قرار الاتهام تحديد الشهود وهم تسعة :

١ – **هانيلور ويندى (٣٨ سنة) سكرتيرة بيلز (ألمانية)** تشهد أنها تسلمت يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٦٢ – كعادتها – خمسة خطابات للخبراء الألمان اثنين منها للعالم بيلز وسلمت الثلاثة الآخرين لأصحابها . ثم فتحت هى خطاب من خطابى بيلز فحدث الانفجار .

٢ – **محمد رجب بدران (٢٩ سنة) وكيل مكتب بريد المعادى . ويشهد بواقعة الخطاب الذى انفجر فيه .**

٣ – **عبد النبى سلامة حسن مناع (٣٠ سنة)** عامل بمحجر زلط أحمد أبو كريم . ويشهد أنه وهو فى طريقه لعمله يوم ١٦ فبراير ١٩٦٥ شاهد جزءا من حقيبة المتفجرات فى صحراء الهرم بجوار طريق الفيوم (وهى التى تركها لوتز) فنقلها إلى منزله فى قرية كفر الجبل – دون أن يعلم ما بها – وبعد عشرة أيام حاول فحصها فى حضور شقيقه عبدالسلام وبعض أقاربه فحدث انفجار اصابه ومن معه .

٤ – **عبد السلام مناع (٢١ سنة) عامل :** شقيق عبدالنبى . أصيب فى الانفجار .

٥ – **جوزيف هايزج (٥٣ سنة) خبير .** يشهد أنه عاد إلى منزله يوم ٢١ / ٩ / ١٩٦٤ فسلمته زوجته خطابا يتضمن تهديدا ليترك العمل فى مصر . ولما أيقن إن الخطاب مرسل من منظمة اسرائيلية أبلغ السلطات .

٦ – **العميد محمد حسبالله (٥٠ سنة)** خبير مفرقعات فى وزارة الداخلية يشهد أنه أبلغ يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٦٢ بانفجار خطاب مرسل إلى بيلز واصابة – سكرتيرته وبفحص بقاياه تبين أنه يحتوى على متفجرات تنفجر فور فتح الخطاب – كذلك فإنه يشهد بأن كيرمايير مارتن تسلم خطابا فى ٢١ / ٩ / ١٩٦٤ وقد اشتبه فيه فسلمه إلى السلطات . وبفحصه اتضح إنه يحتوى على متفجرات . كذلك يشهد بوصول خطاب التهديد إلى جوزيف

هايزج يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٦٤ وخطاب التهديد إلى أرنست شتانج فى ٢٣ / ٩ / ١٩٦٦ . كذلك يشهد بواقعة انفجار خطاب بريد المعادى – وأخيرا يشهد أنه فى ٢٦ فبراير ١٩٦٥ وقع انفجار فى بلدة كفر الجبل أصاب عبدالنبى سلامه مناع و آخرين ... فأنتقل وفحص مكان الحادث حيث وجد قاع الحقيبة وهو من الفبر – مكسورا ... كما وجد مظروفا مغلفا بورق سوليفان (نايلون) ومظروفا بداخله عبوة متفجرات ... (حقيبة.لوتز !) .

٧ – **الرائد محمد سعيد الرملى (٣٢ سنة) رائد مهندس وخبير مفرقعات** بالقوات المسلحة ويشهد بأنه فحص ميزان وزن الأشخاص المضبوط فى منزل لوتز وتبين أن بداخله إطارا معدنيا ذا فرعين بكل منهما ثبتت أربع لفائف بفكها تبين أنها ٤ أجهزة للتفجير كذلك بها عبوات متفجرات ... وقد قام الخبير باجراء – تجربة ثبتت صلاحية هذه الأجهزة والعبوات ... أيضا يشهد الخبير بأنه – بناء على انتداب النيابة – بفحص صابون « لافندر ياردلى » وعبوته فظهرت قوة المتفجرات وخطورتها .

٨ – **على جمال الدين فرج (٣٥ سنة) خبير لاسلكى فى هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية** يشهد أنه – بناء على انتدابه – فحص الأجهزة اللاسلكية المضبوطة فى الميزان وهما جهازين صغيرين قوتهما ٥٠٠ كيلو متر وهذه المسافة تغطى المسافة من القاهرة إلى اسرائيل كما أن الاتجاه الهوائى « الاريال » المركب بمسكن لوتز يشير إلى أحسن الاتجاهات للاستقبال من اسرائيل والارسال إليها إذ أنه متجه إلى الشمال الشرقى وأن الجهازين صالحان للاستعمال وموجهاته القصيرة تغطى جميع الترددات لاستقبال الرسائل الواردة من اسرائيل ... ويضيف الشاهد الخبير أنه تمكن من حل الرسائل الشفرية فى الملفين المقدمين من ادارة المخابرات العامة مستعينا بصورة فوتوغرافية للأوراق الثلاث المضبوطة فى الميزان . وبالكتاب المتخذ مفتاحا للشفرة المضبوطة لدى المتهم وتبين منها أنها رسائل متبادلة بين المتهم لوتز وبين المحطة اللاسلكية التى توجهه (أى رؤسائه) وقد عرضت الرسائل على المتهم فأشر عليها بما يفيد أنه أرسلها أو استلمها .

٩ – **ضابط بادارة المخابرات الحربية** : يشهد بأن جميع المعلومات التى اطلع عليها فى التحقيقات والتى تناولها المتهم الأول فى تخابره من تحديد المواقع العسكرية أو انتاج لأسلحة خاصة بالصواريخ أو الطائرات أو تتبع لتحركات القوات المسلحة أو المعلومات عن الخبراء العاملين بالانتاج الحربى هى جميعا من أسرار الدفاع التى لم يصدر إذن كتابى من القيادة العامة للقوات المسلحة بنشرها أو اذاعتها ولايعلمها إلا العاملون فيها ... وأن بعض هذه المعلومات والأخبار صحيح .

• غير ذلك هناك أيضا تقرير طبى عن الاصابات :

« قرر كبير جراحى مستشفى القوات الجوية أن هانيلور ويندى قد أصيبت من إنفجار الخطاب بجروح متهتكة بالوجه والعينيين والرقبة وحروق نارية من الدرجات الثلاث . كذلك أصيبت بتهتك فى العينيين أدى إلى استئصال العين اليسرى وضمور كامل بالعين اليمنى مع فقدان البصر تماما وجروح متهتكة مع كسور مضاعفة بعظام اليد اليسرى ويتر بالسلاميات للاصابع الثانية والثالثة والرابعة والخامسة وجروح متهتكة بأعلى الفخذين مع كسر مضاعف متفتت بعظمة الفخذ اليسرى .

أما محمد رجب بدران وكيل البريد فقد أصيب بعاهة مستديمة هى فقدان معظم ما تتمتع به العين اليمنى من إبصار مع احتمال تعرض العين الأخرى للالتهاب العظمى السمباتاوى .

كذلك أصيب عبدالسلام مناع بحروق وتسلخات بالوجه والذراع الأيسر والركبتين وبتر غير كامل بأسفل الساعد الأيسر واستقرت بعض الأجسام المعدنية الغريبة بالجبهة اليمنى . وأصيب شقيقه عبدالنبى بخدوش وتسلخات بالوجه والصدر والبطن والذراع الأيمن والطرف السفلى الأيمن وفى نفس الحادث أصيب عبدالطيف شعبان سلامه بسحجات – وخدوش وحروق من الدرجات الأولى والثانية والثالثة بالوجه والرقبة والصدر واليد اليسرى . كذلك أيضا وفى نفس الحادث أصيبت خضرة مهنا مناع ونبوية عبدالقادر ومحمد عبد السلام مناع برضوض تنشأ عن المصادمة بأجسام صلبة » .

• وفى تقرير الاتهام اعادة لقصة لوتز – كما رواها – حيث قال :[1]

★ إنه خلال عمله فى الجيش الألمانى اشترك فى الحرب العالمية الثانية وجاء ضمن جيش روميل إلى العلمين وكان برتبة كابتن وقد كان ضمن الأسرى وظل أسيرا لمدة ٤ سنوات فى مصر ، وبعد عودته إلى ألمانيا هاجر إلى استراليا حيث عمل كسائق لورى ثم عال إلى ألمانيا ليعمل فى مدرسة الخيول . (هذا كذب بالطبع)

★ وانه كان يرسل خطابات – التى تتضمن معلومات مكتوبة بالطريقة السرية – على عنوان دكتور « يوليوس بوزيه » فى فيينا .

وانه قد سافر إلى اسرائيل فى يناير ١٩٦٤ . ففى هذا الوقت كان فى احدى رحلاته إلى باريس عندما أخبره جوزيف أن عليه أن يسافر إلى اسرائيل للتعرف بشخصية هامة يريد لقاءه . وبالفعل زوروا له جواز سفر على أن اسمه « جولدستون » وقد سافر مع « رودى » وهناك قام برحلة سياحية فى اسرائيل والتقى بالشخصية الهامة الذى كان يريد لقاءه وجها لوجه ... وأثنى على جهوده ... (الحقيقة أنه قابل رئيس الموساد) .

★ وأكد لوتز أن مخابرات اسرائيل وعملاءها فى الخارج كانوا على اتصال وثيق بسلطات الحكومتين الفرنسية والألمانية . ودليل ذلك ما لاحظه من تيسيرات استثنائية تقدمها سلطات الحكومتين لهم (عملاء اسرائيل) فى التنقل بين مختلف بلاد أوروبا وفى اجراءات الجوازات والجمارك وفى التدريبات التى تجرى كما حدث معه .

★ أن معظم أعضاء مخابرات اسرائيل – فى الخارج – يعملون فى السفارة بباريس ولديهم سيارات دبلوماسية .

ونلاحظ هنا أن كثيرا مما قاله حقيقة فهو قد ضحى بالمعلومات ليتقن دوره حتى يفلت من حبل المشنقة إذا ثبت أنه اسرائيلى .

---

(١) يتبين من هذا مدى اتقان لوتز للتمثيل باعتباره جاسوسا محترفا يبعد شبهة أنه اسرائيلى ويروى أنه ألمانى جرى اصطياده عن طريق عملاء الموساد . ! كما تتضح حقيقة اشتراك المخابرات الألمانية مع الاسرائيليين إذ أنه فى مثل هذه الحالة كان لابد أن تبحث عمن هو لوتز لتكشف حقيقته .. !

هذا كان قرار الاتهام وقائمة الشهود وهى أساس المحاكمة . والآن نستعرض بسرعة جلسات القضية .[1]

• الجلسة الأولى :

عقدت يوم ٢٩ يونيو سنة ١٩٦٥ فى القاعة الكبرى بدار القضاء العالى . وكانت المحكمة برئاسة المستشار حسن فهمى البدوى وعضوية المستشارين : أحمد جمال الدين الشربينى ومحمود كامل عطيفة . ومثل الاتهام الاستاذان أحمد موسى وسمير ناجى .

وفى مقاعد المحامين كان الأساتذة : على منصور وعبدالعزيز جبر (للدفاع عن لوتز وزوجته) ومحمد عبد الله والدكتور محمد زهير جرانه للدفاع عن كيسوف . وكان معهم – المحامى الألمانى شتاينباخ كمراقب يتشاور مع المحامين ويبدى رأيه دون أن يكون له حق فى الدفاع بنفسه ولكن من خلال زملائه المصريين .

وحضر أكثر من ١٨٠ شخصا بينهم دكتور هانز فيدلر قنصل ألمانيا الغربية وسكرتيرته التى تسجل كل شىء ... وحضر مجموعة من الألمان الموجودين فى مصر ، ونادية حمدى زوجة كيسوف وفى القفص كان لوتز وزوجته ترتدى جوب أصفر وبلوزة بيضاء وبجوارها كيسوف لاينظر إليهما . أما هما فكان يظهران كعاشقين تتشابك أيديهما وفى الاستراحة يحيطها لوتز بذراعه !

بدأت الجلسة ...

طلب الدفاع التأجيل ليكمل دراسة القضية التى تبلغ ألفى صفحة .

وقالت النيابة أن هانيلور ويندى (سكرتيرة بيلز) الشاهدة غير موجودة فى مصر وطلبت الاكتفاء بأقوالها فى التحقيقات فوافق الدفاع ووافقت المحكمة . وقدمت النيابة سجلا بالصور لكل مراحل القضية ولم تستغرق الجلسة سوى عشرة دقائق بعدها رفعت على أن تعود إلى الانعقاد يوم ٢٧ يوليو بعد اعطاء فرصة للدفاع ...

---

(١) كان هناك رأى بأن نذكر فى هذا الكتاب التفاصيل الكاملة لجلسات المحاكمة ونصوصها ... ولكنا حرصا على وقت القارىء رأينا أن نذكرها باختصار مع ذكر الجديد الذى برز فيها ... وإن كنا نرى أنه من الأهمية بمكان جمع نصوص المحاكمات الشهيرة فى كتب – كوثيقة تاريخية وباليت وزارة العدل تتبنى هذه الفكرة عن طريق مركز الدراسات القضائية فتنشر القضايا الهامة مع دراسة قانونية لها .

• الجلسة الثانية :

عقدت يوم ٢٧ يوليو . وكان الدخول فيها ببطاقات خاصة ... وانضم إلى الدفاع أوريان نقيب المحامين فى ميونيخ . وقد بدأت الجلسة بمناقشة لوتز – الذى خرج من القفص – وقال أنه مذنب فى التهم الست تهم الأولى أما الأربع الباقية فهو غير مذنب فيها . ثم روى تفاصيل تجنيده ونشاطه فى القاهرة وعرضت عليه المضبوطات فاعترف بها .

• الجلسة الثالثة :

كانت يوم ٢٨ يوليو . واصل لوتز اعترافاته وشرحه للأجهزة المضبوطة وطريقة عملها . حاول أن يبرىء زوجته . قال إنها كانت تعلم أنه يعمل لحلف الأطلنطى وكان « تساعدنى فى حدود وضعها كزوجة » . (المعروف أن القانون يخفف العقوبة بالنسبة للأقارب من الدرجة الأولى إذا لم يكونوا فاعلين أصليين ... وإنما مجرد العلم والتستر) .

• الجلسة الرابعة :

كانت يوم ٢٩ يوليو . كانت مفاجأة القى بها سمير ناجى وكيل نيابة أمن الدولة . قال أنه قد جاء خطاب من مواطن ألمانى شريف وطلب وكيل النيابة عدم ذكر اسمه . وكان نص الخطاب الذى جاء من ميونيخ :

« السيد المحترم النائب العام ، منذ بضعة أسابيع تحدثت مع البروفيسور بيلز فى عدة مسائل تتعلق بالقضية ضد الزوجين لوتز وكلارا وقد علمت منذ فترة وجيزة أن المدعى عليه لوتز الألمانى الجنسية يتجنس أيضا بالجنسية الاسرائيلية وطبقا للمعلومات التى حصلت عليها فإن لوتز ولد فى مدينة مانهايم عام ١٩٢١ ثم هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٣ ومعه والدته وهناك اكتسب الجنسية الاسرائيلية عام ١٩٤٨ بعد تأسيس اسرائيل . كما علمت أيضا أنه انضم إلى الجيش الاسرائيلى وحصل على رتبة ضابط . كما علمت أنه وصل إلى هامبورج منذ بضعة أيام موظف اسرائيلى كبير يحاول مع المجلة الألمانية « ديرشتيرن » عدم نشر أى شىء عن هذا

الأمر والغرض من هذا هو محاولة اخفاء هذا الماضى بالنسبة للوتز ومن المحتمل أن يكون هذا الأمر معروفا لديكم ومع ذلك أردت أن أخبركم به حتى يوضح لوتز من الذى أحضر المتفجرات من ألمانيا فأصابت السيدة هانيلور ويندى سكرتيرة العالم الألمانى بيلز » .

وأثار هذا الخطاب عاصفة فى المحكمة .

طلب الدفاع استبعاده نهائيا وإلا فليأتى كاتبه لمناقشته[1]

وأصرت النيابة على أن يظل إسم كاتب الخطاب سرا ...

وقال لوتز أن الخطاب كاذب وأن الشىء الوحيد الصادق فيه هو أنه من مواليد مانهايم ١٩٢١ . وأضاف أنه لايتهم أحدا بارسال هذا الخطاب ... وطلب جلسة سرية للادلاء بمعلومات جديدة خطيرة ... وبالفعل كانت جلسة سرية لمدة ٤٥ دقيقة .

مقـــال خـــاص :

بعد الجلسة الرابعة كانت استراحة يومين خلالهما كتبت فى « **الأهرام** » مقالا أعلق فيه على قضية لوتز وشخصيته والذين يحركونه . وقد ركزت فى هذا المقال على هذه النقط :

* **قلت أن** « مكتب المشتروات الاسرائيلى فى كولونيا بألمانيا الغربية – وهو ستار لقيادة المخابرات الاسرائيلية فى ألمانيا – قد بدأ نشاطا محموما للوقوف إلى جانب الجاسوس الألمانى لوتز ... رغم اعترافاته كاملة !

* **وقلت أن** « نائب مدير هذا المكتب – وهو من المخابرات الاسرائيلية هو

---

(١) تنطلق أبواق عديدة تتهم السلطة فى مصر بالتأثير على القضاء . وهذا محض كذب يراد به التأثير واحداث البلبلة لصالح قوى معينة . والآن يتهمون القضاء بالانحياز للسلطاة أيام أنور السادات وأيام السادات .. اتهموا جمال عبدالناصر بالتأثير على القضاء .. ولو كان ذلك صحيحا – ولو فى جزء بسيط منه – لكان الأولى التأثير على هذه المحكمة لكى تقر أن لوتز اسرائيلى وتعامله على هذا الأساس فتقضت بإعدامه .. لكن المحكمة لم تقتنع بأدلة إنه إسرائيلى واعتبرته ألمانيا .. مع إنه كما ثبت ليس كذلك !!

الموظف الكبير الذى قال المواطن الألمانى فى خطابه للنائب العام أنه ذهب إلى مجلة (ديرشتيرن) ليمنع نشر المفاجأة الكبرى فى قصة لوتز : أنه هاجر إلى فلسطين عام ١٩٣٣ مع أمه ودخل جيش اسرائيل عام ١٩٤٨ وتجنس بجنسيتها .

* **وقلت أن** لوتز من واقع اعترافاته لم يكن جاسوسا « بالضغط » ... ولكنه كان جاسوسا حرا فقد قال أنه عندما لم توافق المنظمة على زواجه هدد بالتوقف عن العمل ... وقد استجابت المنظمة « للتهديد » ووافقت على زواجه ... والجواسيس الهواة والذين يجرون فقط وراء المال لايمكنهم أن « يهددوا » المنظمات السرية التى تشرف على أعمالهم والمنظما السرية لايمكن أن « تخضع » لتهديد جاسوس هاو ... أو جاسوس لايتمتع بمركز قوى تتيحه له أوضاع معينة تصل أحيانا إلى أن يكون هو نفسه « عضوا » فى المنظمة .

* **وقلت فى النهاية** « أن الحقيقة الكاملة موضع بحث محكمة أمن الدولة العليا وقضاتها لايحكمهم سوى الواقع والضمير »

ذلك ما قلته وأضيف له الان : أنه عندما يصل الجاسوس إلى مركز قوى يصل إلى حد أن يصبح هو نفسه عضوا فإنه يصبح له حق طرد عميل للمنظمة ... أو تجنيد عميل جديد . ولقد فعل لوتز – كما سنرى فيما بعد .. فإنه قد أمر ، ونفذوا أمره بطرد جاسوسة أمريكية حسناء كانت تعمل لحساب اسرائيل وهى زوجة عالم أثار أمريكى ... وقد قرر طردها لأنها كانت ستنكشف إذ ضبطها خبير ألمانى فى حجرة نومه ! وكانت هى وزوجها – الذى لم يكن يعلم سرها – فى زيارة أسرة الخبير لكنها تسللت إلى غرفة نومه تعبث فى أوراقه ومستنداته !

وكاد لوتز يحول كيسوف إلى جاسوس ... !

... ولنمضى مع بقية الجلسات ...

• الجلســة الخامســة :

عقدت يوم ٢ أغسطس ١٩٦٥ وخلالها تحدثت مارتا زوجة لوتز التى فضلت أن تتكلم وهى واقفة عكس الزوج . كذلك قالت أنها تريد أن تتم المناقشة معها بالانجليزية لا بالألمانية ووقفت مارتا تعصر منديلا صغيرا بين يديها وتتكلم وهى تحاول أن تستدر العطف بجمالها وادعائها البراءة .

لكن قبل أن تتكلم مارتا وقف الدفاع يحتج على ما نشرناه عن لوتز[1] قال الدفاع « مع تقديرى للصحافة وللحرية الفارطة فيما تنشر غير أنه يجب عدم نشر إلا ما يدور فى هذه الجلسة ولذلك فقد جرى نشر لما يتجاوز هذا » . وردت عليه المحكمة بضرورة أن – « يكون النشر خاصا بما يجرى فى جلسات هذه المحكمة دون تعليق أو ابداء رأى شخصى فيما يدور ، وكل خروج عن هذه الحدود فستأمر المحكمة باتخاذ الاجراءات القانونية ضد صاحبه » .

وبدأت مارتا – بعد هذا – تتكلم ... قالت أنها تعرفت بلوتز فى القطار من باريس إلى ميونيخ ... وأنها تزوجته فى « هاينبرن » واعترفت أنها كانت تشاهد زوجها وهو – يتراسل باللاسلكى وكانت تراقب له الخدم ... كما اعترفت بأنها كانت تعرف الخطابات والمفرقعات ... وانهما كانا يقوما برحلات تجسس . وفى مرة ذهبا بالسيارة إلى الاسماعيلية وهناك طلب منها لوتز أن تعود هى وحدها بينما يركب هو القطار إلى السويس ثم إلى القاهرة ليشاهد أماكن عسكرية وقالت إنها كانت تعرف أن ذلك لحساب حلف الأطلنطى لاسرائيل ثم انهت مارتا اعترافاتها بعبارة درامية تتمشى مع المشاهد الغرامية التى كانت تدور بينها وبين لوتز فى قفص الاتهام .

• قالت بأداء تمثيلى :

« انكم تعلمون حياتى الماضية . وأود أن أقول إن حياتى وحياة زوجى بين أيديكم

---

(١) كان هذا الاحتجاج خاصا بالمقال الذى نشرناه فى « الأهرام » ونحن نحترم وجهة نظر الدفاع فى هذه القضية حول هذا الرأى لكنا نرى أن مثل هذه القضايا التى تتسم بالطابع السياسى والقومى لايجب أن نطبق عليها وجهة النظر هذه ... ولو طبقناها هنا فى القاهرة فإن أبواقا كثيرة لن تطبقها فى خارج بلادنا ... والفرق بيننا وبينها ... أننا نتكلم بالحق ومستعدين فى ذات الوقت لمناقشة أى رد ... أما الذين يتحدثون فى الخارج فأنهم يجافون الحقيقية وغير مستعدين للمناقشة أو حتى سماع أى رد مهما كان صادقا والدليل على ذلك ما ذكرناه من قبل عن السيطرة على أجهزة الاعلام فى الخارج أما هنا فنحن نرحب بأى رد على أى كلمة ... وعن هذا المقال بالذات الذى نشرته دارت مناقشة مع مسئولين فى قنصلية المانيا الغربية بالقاهرة ولم يستطيعوا تكذيب حرف واحد فيه . لعلى أضيف أيضا أنه قبل انعقاد جلسة المحاكمة جرت مناقشة ودية فى حجرة المداولة بين رئيسها واعضائها والدفاع وكان من رأى الدفاع أنه سيثير مسألة المقال لكن بشكل هادىء ودون أن يتفاقم الموقف ويتطور ... وكان هذا الرأى ليس تقديرا لى أو احتراما باعتبارى كاتبه وإنما كان بناء على رأى لوتز نفسه ومحاميه الألمانى لأنه أدرك أن اشتداد الخصومة وطلب مؤاخذتى وصحيفتى سيفتح عليه بابا يجىء منه ريح فاسد ... اذ لابد أننى وصحيفتى سنبذل الجهد لنثبت أنه اسرائيلى ... وهذا ما يكشف أمره ويجعل فضيحة الموساد كبرى .. إذ فلنتخيل ماذا سيكون عليه الحال عندما يقال أنه ضابط مخابرات اسرائيلى كبير سقط فى مصر !!

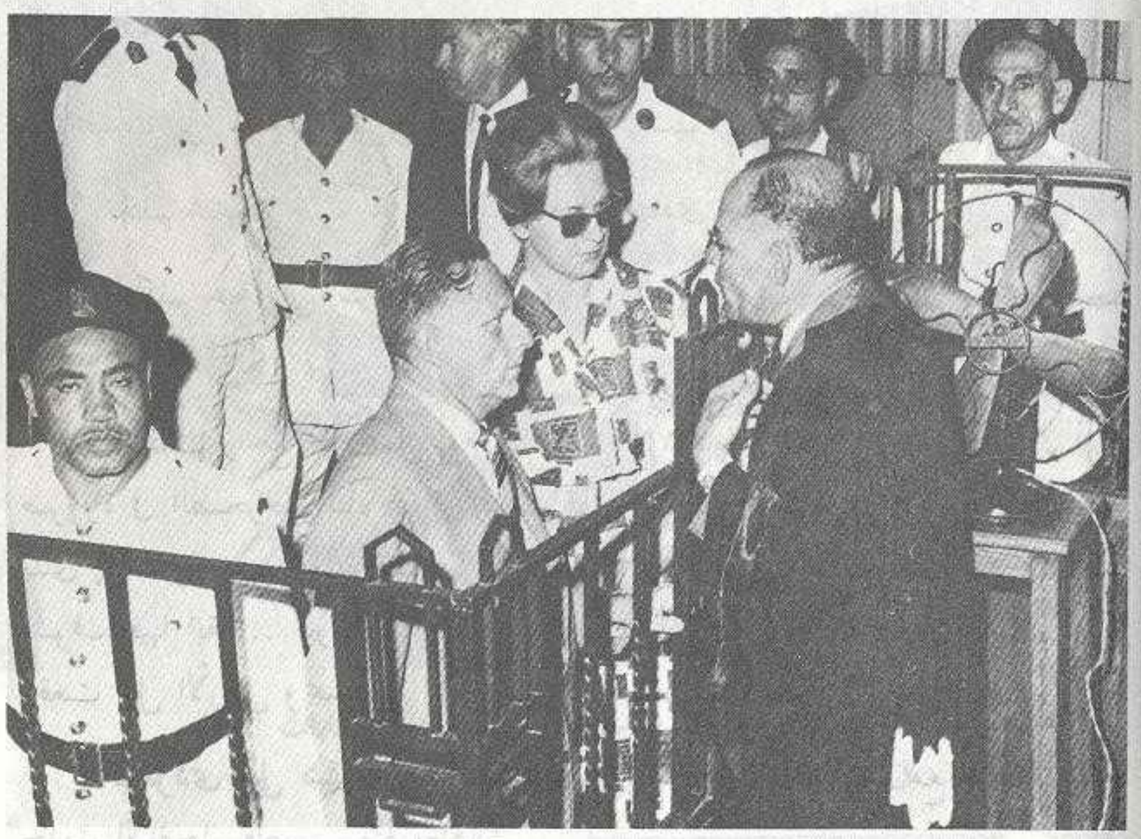

• المحامى على منصور يناقش لوتز ومارتا حول المقال الذى كتبه محمود مراد عن جنسية الجاسوس وانه إسرائيلى وليس ألمانى • .

وكل أملى أن نكون ثانيا معا فى يوم ما ، وأن نبدأ حياة جديدة . وأنا أوجه كلامى هذا للصحافة والنيابة ، وشكرا . » .

★ ★ ★

... وبعدها – فى نفس الجلسة – تكلم كيسوف ... قال أنه حضر إلى مصر لأول مرة سنة ١٩٥٢ مندوبا لأحدى الشركات الألمانية الميكانيكية ثم عاد بعد سنة إلى ألمانيا ليعمل كمهندس استشارى لحساب نفسه ... وفى عام ١٩٥٤ التحق بشركة « مانسمان اكسبورت » وعمل كممثل لها فى القاهرة – كان يرسل إلى الشركة تقريرين كل عام أحدهما سياسى والأخر اقتصادى عن الجمهورية العربية المتحدة . ونفى أى عمل آخر . وقال أنه عرف لوتز سنة ١٩٦٢ فى نادى الفروسية وأصبح صديقا له يحضر حفلاته ويقيمان حفلات سويا لكنه لم يكن يعرف عنه إنه جاسوس .

● **الجلسة السادسة :**

عقدت يوم ٣ اغسطس . وكانت جلسة الشهود الموجودين :

* تكلم محمد رجب بدران وكيل بريد المعادى عن حادثته .

* وتكلم عبدالنبى سلامه حسن مناع العامل فى محاجر الهرم ... قال بلهجته العامية البريئة :

« أنا كنت راجع من عملى يوم الثلاثاء – ١٦ فبراير ١٩٦٥ – وأردت أن أزيل ضرورة فى الصحراء وأثناء هذا شاهدت قطعة خشب مدفونة فى الأرض فأخذتها فى يدى إلى منزلى وبعد مدة كنت فى الصباح شفت قطعة الخشب فى البيت فمسكتها أشوف فيها اية ... فبرز منها خطاب ملفوف بورق نايلون فشديته ولقيت نفسى وقعت على الأرض ومحستشى إلا وأنا فى مستشفى أم المصريين بالجيزة » .

* **ثم نودى على شقيقه عبدالسلام مناع** ... وروى أنه كان مع شقيقه عندما حدث الانفجار فأصيب منه بعاهات .

* **ثم تكلم الشاهد الخبير العميد محمد حسب الله** . كذلك تكلم الخبير الرائد **سعيد الرملى** ... وتكلم الشاهد خبير اللاسلكى **على جمال الدين فرج** ثم عقدت الجلسة سرية لتسمع شهادة **ضابط المخابرات الحربية** عن صحة المعلومات التى ارسلها لوتز وهل هى عسكرية .

وبعد ذلك أعلن انتهاء سماع أقوال الشهود بعد أن وافق الدفاع والنيابة على عدم سماع الشهود الأخرين من الأجانب لعدم وجودهم .

● **الجلسة السابعة :**

عقدت يوم ٤أغسطس وخلالها تحدثت النيابة فى مرافعة طويلة كشفت فيها عن الجاسوسة الأمريكية التى طردها لوتز .

فإنه عقب عقد الجلسة وقف سمير ناجى ممثل النيابة وبدأ مرافعته فتناول أولا أشخاص المتهمين الثلاثة « لوتز المتهم الأول قمة فى الخيانة والغدر والضلال وذلك

● **العميد محمد حسب الله خبير المفرقعات يشرح للمحكمة خطابات الموت**
(صورة الخطاب فى هذا الكتاب) .

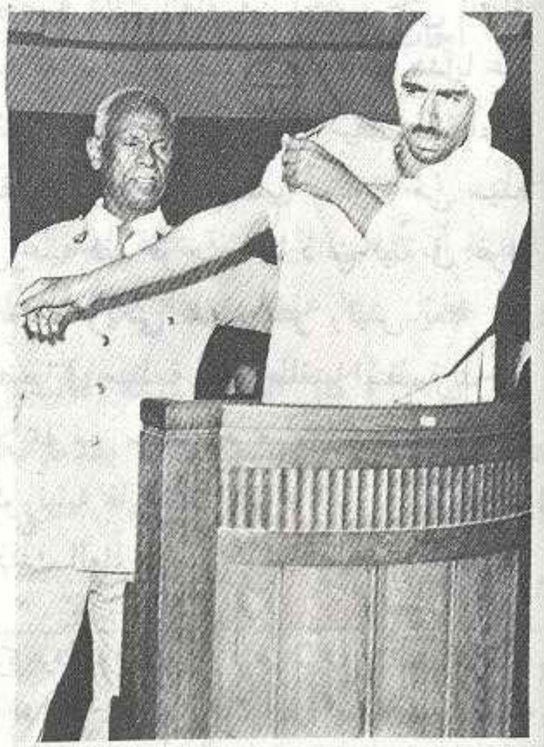

● **عبد النبى متاع يروى ماحدث .**

● **عبد السلام مناع أمام المحكمة**

بشهادة مخابرات اسرائيل التى دعته إلى اسرائيل عام ١٩٦٤ فلبى دعوتهم وكان كبيرهم « مير » فى شرف لقائه وتناول العشاء معه : ولوتز لم يبلغ هذه المرتبة نتيجة لهو وعبث وانما نالها عن جد واجتهاد واتقان وفى البداية فإنه عندما تشاور مع رودى فى أمر الساتر الذى يتستر به إذا ما حضر إلى البلاد اقترح عليه رودى أن يقوم بدور الصحفى فرفض وقال له أنا لاأعتبر نفسى صالحا لممارسة هذا العمل ولأن طبيعة الصحفى هو البحث عن أخبار مما يثير الشك فى أمره واكتشافه . « ونظرا لأنى خبير فى الخيول فقد اقترحت عليهم الحضور إلى مصر بهذا الغطاء ... وكان ناجحا » .[1]

والمثل الثانى الذى جاء فى أقواله ... أنه رشح أحد معارفه هنا فى مصر للمنظمة لتجنيده . وإنطلق يتحدث عن نقط ضفعه فقال : أنه بالنسبة للنساء فإن نقطة ضعفه لاتجعله يسعى اليهن وإنما لو أتت إليه امرأة فإنه يفقد كل عقله وإذا ذهب إلى فيينا وأمكن تقديم فتاة له ولو مرة واحدة أو مرتين فستحصل منه على كل المعلومات بدون وعى » .[2]

والمثال الثالث : أنه قرب إليه أحد العلماء الألمان موهما إياه بالصداقة واستأمنه الرجل وما أن تبدى للوتز مدى أهمية ما يباشره ذلك العالم من أبحاث حتى انطلق يبعث لمنظمته بكل شىء عنه لا لشىء إلا ليقدم له الموت فى صورة هدية من هدايا عيد الميلاد . وتهتز موجات الأثير بينه وبين اسرائيل حاملة مخطط الغدر وسفك الدماء فى رسالة بالاسلكى والرجل تزداد على الأيام ثقته فيفرغ إليه مفضيا بمخاوفه من سيدة أمريكية يشك فى أمرها ويعتقد أنها تتجسس عليه فقد فوجىء بها ذات ليلة فى غرفة نومه وهى : « **كورنيليا فلتر** » **زوجة العالم الأمريكى هانز فلتر** رئيس بعثة بيل الأمريكية للحفريات والتى ثبت أنها كانت عضوا فى منظمة لوتز أطلقتها المنظمة لتحوم هى الأخرى حول ذلك العالم ، وإذا بلوتز يمارس سلطته فيبعث للمنظمة برسالة لاسلكية لسحب هذه السيدة وسحبت كورنيليا فالتر[3] فى اليوم التالى لينفرد هو بالضحجة مستوثقا من الذى سيفتح بريد ذلك العالم ليرسل إليه هديته الغادرة . »

---

(١) كانت هذه أقوال لوتز وعلى أساس أنه ألمانى بينما الحقيقة كما عرفنا أنه اسرائيلى وعاش فى اسرائيل وكان ضابطا بها .

(٢) ليس المقصود بهذا أحد من المصريين وإنما الأجانب ... وغير صحيح ما قالته الكتب الاسرائيلية عن أنه كانت للوتز علاقات بضباط فى القيادة وأنه كان يزورهم فى مكاتبهم ويشهد منها منصات الصواريخ ويعرف اسرارها فهذا كله هراء فى هراء . ! المؤلف .

(٣) كانت تستغل أنوثتها فى الحصول على معلومات وكان هذا الأستغلال إلى كل مدى ! .

ومضى ممثل النيابة يدلل على أن الخيانة والقتل أنما هى أشياء فى دم المتهم الأول ، فقال أنه مضى يستزيد من سفك الدماء سائلا صهاينة اسرائيل أن يزودوه من وسائلها ... وهذا ثابت فى رسائل المتهم اللاسلكية ففى رسالته اللاسلكية رقم (٩) يقول إن لم ينفجر الخطاب المرسل إلى كير مايير . انفجر خطاب اخر فى مكتب بريد المعادى فأصيب أحد الكتبة ... التأثير كبير على الألمان . »

« وفى رسالته رقم ٢٠ قال « عدد اخر من الألمان يستقيلون كما ينوى غيرهم أن يغادروا فى الربيع ... يصل قريبا أفراد جدد . سأحاول وضعهم تحت سيطرتى » .

« وفى رسالة ثالثة قال « أعتقد أنه يمكن زيادة الاستقالات بمزيد من خطابات التهديد هنا ونشر المقالات فى الصحف الألمانية »[1] .

« كل هذا ليغتال المواطنين الألمان بنى جنسه (!!) وقد أعلنها المتهم صريحة فى التحقيق فعندما سئل :

* **لماذا قبلت ذلك ؟** (أى التجسس وارسال طرود الموت) .

* **أجاب قائلا** : « انه عملى كما هو عملك أن تسألنى » .

« وفى سبيل المغامرة وخدمة الأهداف – قال وكيل النيابة – فإن المتهم باعهم – أى رؤساءه – كل شىء حتى عرضه وكرامته ... وكان له أمر من جوزيف رئيس المنظمة أن أذهب إلى فلانة عالمة الصواريخ الألمانية فى مصر وعاشرها معاشرة الأزواج ومن خلال هذا عليك بموافاة المنظمة بكل شىء ... » .

ثم تناول وكيل النيابة المتهمة الثانية واستشهد بما قالته فى التحقيق عندما سألها عن دواعيها فى الاستمرار معه بعدما تكشف لها مايقول به من غدر لمواطنيها إذ أجابت (ساستمر معه دائما فإن حبى له لايعادله شىء ، ولو كان حبى لوطنى ولأسرتى) .

---

(١) ... هذا دليل أخر على مدى السيطرة على الصحف وتسخيرها بوضع مخطط لها لخدمة أغراض اسرائيل والاستعمار ضد التحرر وضد مصر والأمة العربية كلها – ونلفت النظر هنا إلى إن كلمة المنظمة التى ذكرتها النيابة مقصود بها المخابرات الاسرائيلية ... وإن برقية لوتز رقم (٩) عن انفجار الخطابات استمد معلوماتها مما نشرناه فى الأهرام كما سبق القول .. فتاريخها هو تاريخ النشر !

ثم تناول وكيل النيابة دور كل منهم فى القضية على حدة والجرائم المنسوبة إليه :

فقال : « ان المتهم الأول لوتز كان طلسما خلال التحقيق يجود بالقول مرحلة مرحلة عندما يعرف أن الدليل المادى قد أحدق به ولاتسعفه الحيلة وأنه لم يدل بالإعتراف إلا مقسطا ... عندما رفعت غطاء الميزان وعرف أنه سيفحص كشف عن الأقلام والمتفجرات فيه ولم يزد – ولما جاءت نتيجة فحصها وأنها تستخدم لتفجير عبوات كاملة ، إعترف بالصابون لأنه الجزء المكمل لها . كذلك كان حاله فى أمر خطابات المتفجرات ففى البداية : إصرار على إنها مجرد خطابات تهديد .. ! ثم تميع إلى أنه من الجائز أن تكون بها متفجرات !

وفى النهاية يعترف بأن بها متفجرات ويطلب من رؤسائه إرسال المزيد منها ثم يعترف إن اثنين منها يحتويان على المتفجرات ويأخذ فى التدليل على أنه هو مرسلها مقيما الأدلة على ذلك . ثم قاع الحقيبة المدفونة فى الصحراء التى لم يخطر بباله أن انسانا قد عثر عليها ! ولكن كان القدر له بالمرصاد فعثر عليها « مناع » فى اليوم التالى للقبض عليه ... واعترف بدفن القاع ولم يكن فى اعترافه متفضلا ، بل صدمته الحقيقة فلم ير مناصا من الاعتراف !

وقال ممثل النيابة إن المتهم – خلال أحاديثه الطويلة عن زوجته – لم يدع فرصة ليؤكد أن دور زوجته فى كل ما أتاه إنما كان مقصورا على مجرد كونها زوجة لكن الزواج بين أبطال قضايا الجاسوسية – والطلاق إن وقع – والحمل إن جاء وحتى الحب أو الكره ! .. كل هذا مخطط مرسوم من واقع حركة التنظيم[1] فلازواج إلا بموافقة ولاحب إلا بالأمر ولاارتباط إلا برضاء السادة الكبار لالشىء – إلا لأن هؤلاء العملاء قد أفرغوا كامل وجودهم لحساب المنظمة التى ابتاعتهم .. فالعقل لها والقلب لها .. حتى الخيانة الزوجية تكون لحسابها .. ان محاولة لوتز ستر دور الزوجة دور جديد له ، يلعبه لحساب المنظمة[1] ليبقى لها دور تؤديه على الطريق المرسوم .

« **لقد ردد لوتز** أن موافقة جوزيف – اسم حركى وهو ممثل الموساد – على الزواج ، لم يكن لها من الفاعلية لاتمامه وأنه كان ينوى اتمام الزواج سواء رضى جوزيف بذلك أم أبى ... وقال وكيل النيابة أنه إذا كان الأمر كذلك فأى مسوغ يبرر

(١) مرة أخرى... المقصود بكلمة « التنظيم » أو « المنظمة » المخابرات الأسرائيلية « الموساد » .

به تأجيل هذا الزواج لمدة عام ومعاشرته لزوجته خلال هذا العام . لماذا كل هذا التأجيل . ؟ لقد ذكرت المتهمة فى التحقيق أن زوجها صارحها بأن المنظمة ترى أن تكون الزوجة من نفس التنظيم وأنه أعطى المنظمة بيانات وافية عنها لتقوم المنظمة بإثبات صلاحيتها للزواج منه ، وتحدث لوتز عن المعلومات التى أدلى بها لجوزيف عن زوجته ثم أفتعل قصة ثورة جوزيف عندما علم بزواجه ... مع أنه فى الوقت نفسه حصل على علاوة وعلى مبلغ يفتح به حسابا باسم زوجته فى أحد البنوك ... لاعقل يقبل إلا أن الاذن بالزواج ، قد تم بموافقة المنظمة ، وعضوية المتهمة الثانية فى المنظمة لاسبيل إلى نكرانه .

« **لقد كا نت تراقب له البيت** أثناء انشغاله بالارسال اللاسلكى ومصاحبتها له فى رحلات التجسس ورحلتها معه إلى الاسماعيلية وعودتها بمفردها بالسيارة إلى القاهرة ، واختلاق قصة وجود ورم فى رأسها للسفر للخارج كل ستة شهور ... واخطارها بأمر الصابون وطلبه اليها عدم استعماله واخبارها بأمر قاع الحقيبة وبخطابات التهديد .

« ومعرفتها بالمحاور التى يجمع من حولها المعلومات وحدد كتب الشفرة ومواعيد الارسال والاستقبال إلى أن قالت « **كان يحاول أن يدربنى على الارسال إلا أنه كان يستيقظ مبكرا وأنا أنام لوقت متأخر** » .

« **لقد قالت** : اعتاد أن يخبرنى بما يرسله من أخبار أكون حاضرة عند التحدث بها ولم أكن أسأله إلا عن المعلومات التى أرى أنها مهمة له فى عمله » ولما سألتها النيابة عن تقديرها لأهمية المعلومات قالت : « إننى أعلم أن زوجى مهتم بالخبراء الألمان والمعلومات العسكرية » .. وعن تقديرها لحقيقة تبعية هذه المنظمة قالت : « لابد أن تكون تابعة لدولة معادية لمصر وهى اسرائيل » ثم ما قررته بصراحة : « **كنت أعلم علم اليقين أن زوجى يقوم بأعمال غير مشروعة فى مصر** » !!

وفى ختام المرافعة ، قال ممثل النيابة « أن المتهم الأول سفاح مأجور تجرد من كل القيم وأعلنها صريحة بأنه لايهمه إلا المال والمتعة فلايمكن والحالة هذه أن تقال فيه كلمة رحمة بل أنه صار فى مقام يتعين فيه القسوة . أما المتهمة الثانية فهى نفس ركبت على الشر فإنطلقت تبحث لها عن أنيس ، وفى غمرة حفلاتها وجدت من هو أكثر منها سوادا فإندفعت منجذبة إليه » .

وقال للمحكمة : « إذا ذكروكم بالرحمة فذكروهم بالضحايا .. » .

ثم طلب من المحكمة بحق هؤلاء الذين تركوا أجسامهم متحركة بلاحياة ، القصاص لابإسم الضحايا فحسب ولكن بإسم الوطن ومقدساته .

« أما عن الذين حركاهما وبعثا بهما إلى هذه الديار فلهم يومهم ، وستشهد تل أبيب محاكمتهم كما شهدت من قبل نورمبرج محاكمة أعداء الانسانية ومشوهيها وهى آتية لاريب فيها ... إذ أنها حقيقة يحتمها الحق والتاريخ . »

● الجلسة الثامنة :

عقدت يوم ٥ أغسطس .... وخلالها استأنفت النيابة مرافعاتها حيث كان الدور على « كيسوف » وموقفه من الاتهام فقالت المرافعة « أن الدول الاستعمارية تحاول التسلل الينا باسم الاقتصاد .. والقانون يعتبر أن من أسرار الدفاع عن البلاد : المعلومات الاقتصادية والصناعية التى بحكم طبيعتها لايعرفها إلا الأشخاص الذين لهم صفة فى ذلك » . وقالت المرافعة « أن كيسوف حصل على بعض هذه المعلومات وأرسلها فى تقاريره إلى الخارج كذلك كان يرسل الاشاعات عن حالتنا الاقتصادية وعن حرب اليمن » . وطلب ممثل النيابة جلسة سرية فكان أن تحولت الجلسة إلى سرية لعرض التقارير التى أرسلها كيسوف . وبعدها أنتهت مرافعات النيابة .

● الجلسة التاسعة :

عقدت يوم ٩ اغسطس بعد أن أخذ الدفاع فرصة للدراسة . وفى هذه الجلسة تكلم المحامى على منصور ٣ ساعات دفاعا عن لوتز وطلب الشفاعة للمتهم ورفع عقوبة الاعدام عنه وقال أنه تاب (!!!) .

● الجلسة العاشرة :

عقدت يوم ١٠ اغسطس . وواصل نفس المحامى مرافعته وقال أن لوتز وقع فريسة لاستغلال الصهاينة ودعاياتهم المسمومة ... وقال أنه وقع فى شرك خداعهم فإن

بروتوكلات حكماء صهيون تقول فى البروتوكول السادس عشر « **لاعيب ولا عار أن تكون جاسوسا أو دساسا بل أن هذه فضيلة** » وقال المحامى عن الزوجة « مارتا » أنها تحب زوجها ولاتحب أعماله فهى انسانة جرت وراء عواطفها . ! » .

وفى نفس الجلسة تكلم عبدالعزيز جبر المحامى فقال عن الزوجة أيضا أنها لم تكن تتقاضى أية مبالغ من المنظمة فهى لاتتعامل معها .

● الجلسة الحادية عشر :

عقدت يوم ١١ أغسطس . وفيها واصل الدفاع عن الزوجة مرافعته فقال أنها لم تكن تعرف إن زوجها يعمل لحساب اسرائيل وإنما لحساب حلف الأطلنطى !! وقد قالت مارتا فى التحقيق إنها تكره كل اليهود فى جميع أنحاء العالم .(!)

ثم ترافع الدكتور زهير جرانه المحامى عن فرانز ولهلم كيسوف فقال أنه ليس بينه وبين لوتز أى رابطة وأن التقارير التى يرسلها لم تكن للنشر وإنما كانت الضوء الذى تتم بناء عليه العمليات الاقتصادية لشركته . ولقد قرر المتهم فى التحقيق أنه يفرق بين اليهود وبين اسرائيل وأن دولة اسرائيل ظالمة ومتجنية على العرب .

● الجلسة الثانية عشر :

عقدت يوم ١٢ أغسطس حيث ترافع الدكتور محمد عبدالله المحامى عن كيسوف فقال أنه أرسل خلال ٦ سنوات ١٢ تقريرا فى ٤٠ ورقة والأخبار التى وردت بها ليست سرية . ثم طلب عقد جلسة سرية فأخليت القاعة وخلال الجلسة السرية نوقشت تقارير كيسوف ثم عادة الجلسة العلنية لتعلن المحكمة إنتهاء مرافعات الدفاع ثم سأل رئيس المحكمة المتهمين عما إذا كانوا يريدون شيئا فوقف لوتز وقال فى براءة تمثيلية :

« أريد أن أقول كلمة قصيرة ... أريد أن أؤكد مرة أخرى أن زوجتى لاعلاقة لها بالمنظمة أطلاقا . ولم تكن تدرك خطورة نشاطى ... فإذا كانت زوجتى قد أخطأت – ببراءتها وجهلها – فأنا الذى يجب أن أدفع الثمن ويكفينى أنها فى سجن انفرادى ... ورغم أن معاملتها فى السجن كانت عادلة ومشرفة إلا أن الحبس

الإنفرادى يسبب متاعب نفسية وخصوصا بالنسبة لأمراة فى ظروف كهذه ... أما **عن** نفسى فليس لدى الكثير مما أقوله ... فوقائع الدعوى معروضة على المحكمة ... وقد قررت الحقيقة ... **وكانت محاكمتى عادلة** وسأقبل الحكم دون أى اعتراض ... وشكراً لكم » .

وهنا قررت المحكمة تأجيل الحكم إلى جلسة ٢١ أغسطس أى بعد أسبوع من أنتهاء نظر القضية ورفعت الجلسة فى انتظار الأحكام .

وأظن أنه من خلال المحاكمة ظهر – بوضوح – الجواب على : « لماذا يعتبر لوتز جاسوس محترف . » ؟

نصـوص الأحكـام

فى هذا اليوم ٢١ أغسطس صدرت الأحكام فى قضية التجسس وإرهاب العلماء الألمان فى مصر التى تعتبر فصلا كبيرا من فصول الحرب الخفية التى كانت توجهها القوى المعادية للثورة العربية فى القاهرة .

كانت الأحكام تقضى :

أولا : بمعاقبة جوهان وولفجانج سيجموند لوتز بالاشغال الشاقة المؤبدة وغرامة قدرها ٣٢ ألف و٥٢٩ جنيها و٥٠٠ مليم مع مصادرة الأجهزة والأدوات المضبوطة المستعملة فى الجريمة .

ثانيـا :بمعاقبة فالتراود كلارا نويمان لوتز بالأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات وغرامة ألف جنيه .

ثالثـا :ببراءة فراتز ولهلم كيسوف مما أسند إليه .

وفى نهاية الجلسة بين الحزن الذى خيم على لوتز وزوجته تمسك يده ... وبين فرحة كيسوف وزوجته نادية حمدى خارج القفص تلقى عليه الورود ... قال دكتور جونتر جيسلير المحامى الألمانى : « إننى أشكر المحكمة بإسم المحامين الألمان ... فلقد لمسنا نزاهة القضاء فى الجمهورية العربية المتحدة .

ووفقا للاجراءات فإن أحكام أمن الدولة العليا تعتبر نهائية على أن يصدق عليها رئيس الجمهورية الذى له سلطة العفو التام أو تخفيف الأحكام أو اعادة المحاكمة .

وقد أرسلت الأحكام على الفور إلى رئاسة الجمهورية حيث أذيع التصديق عليها – كما هى – فى أول ديسمبر ١٩٦٥ .

وهنا يجب أن نذكر لماذا صدرت الأحكام هكذا ... لماذا المؤبد بدلا من الاعدام للوتز . ؟ ولماذا ٣ سنوات فقط للزوجة ؟ ... ولماذا براءة كيسوف ؟

إن الأجابة على ذلك موجودة فى حيثيات الأحكام التى ملأت ٦١ صفحة فولسكاب تعرضت فيه للتكييف القانونى للقضية والمتهمين الثلاثة .

قالت المحكمة عن لوتز أن « الجرائم والتهم ثابتة ضده ولأن البلاد فى حالة حرب فإن العقوبة تكون هى العقوبة الأشد أى الاعدام ... لكن لأن لوتز شخص أجنبى لايدين للجمهورية العربية المتحدة – وهى مسرح الجريمة وهدفها – بأى ولاء – فإنه لايتساوى – وإن كانت العقوبة الأشد هى الأعدام – مع المصرى الذى يرتكب نفس الجرائم فتعتبر جريمته أى المصرى خيانة . أما لوتز فقد فعل ذلك طمعا فى المال ولقد أشبعته المنظمة الاسرائيلية[1] فأصبح مرتبه الشهرى ١٠٥٠ دولارا ... كذلك فإن لوتز أعترف بمعلومات هامة عن مسرح النشاط الخفى فى الخارج وأرشد عن بعض المضبوطات وأعطى مفاتيح الشفرة ... ولذلك فإن المحكمة تخفف الحكم إلى المؤبد ...

وعن مارتا الزوجة – الجميلة التى كانت خلال الجلسات تحاول استدرار كل عطف – قالت المحكمة : – « إنها ليست فى حكم الفاعل الأصلى وإنما هى شريكة لزوجها ومساعدة له ... ولكن لأنها إعترفت ولأنها أجنبية فقد خفف الحكم إلى ثلاث سنوات .

وعن كيسوف الذى حكم ببرائته قالت المحكمة : « لقد ثبت أن أخباره كلها التى أرسلها كاذبة ماعدا خبران فقط . ولقد اعتبرت المحكمة أن حصوله على هذه الأخبار كان بطريقة لاتنطوى على أسلوب من أساليب التجسس » .

---

(١) على أساس أنه عميل ألمانى متورط وليس اسرائيلى !!

وسافر كيسوف إلى ألمانيا .

وارتدت مارتا الرداء الأبيض فى سجن النساء بالقناطر .

وأرتدى لوتز البدلة الزرقاء فى ليمان طره .

وظل الإثنان هكذا – كل منهما فى سجنه – حتى جاء عدوان اسرائيل فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ووافقت مصر على الافراج عنهما **ضمن عملية تبادل الأسرى** ، وفى الرابع من فبراير ١٩٦٨ استقلا من مطار القاهرة الطائرة رقم ٦٧٤ لوفتهانزا المتجهة إلى ميونيخ .. غير أنهما لم يكملا الرحلة وإنما نزلا فى مطار أثينا – حين توقفت الطائرة – وبترتيب من الموساد استقلا طائرة شركة العال إلى لندن حيث صحبهما رجال الموساد وابتاعوا لهما ملابس جديدة من محل ماركس أند سبنسر فرع ماربل أرش ... **وبعد أيام للنقاهة سافرا إلى تل أبيب** حيث عاشا فى منزل بأحد ضواحيها ليكتب لوتز تقريرا مفصلا عما حدث ... ولتعلن مارتا اعتناقها اليهودية حسب طقوس حاخامات اسرائيل ، وحسب طقوسهم أيضا أعيد زواجها دينيا بلوتز أما زوجته الأولى ريفكا فقط ذهب إليها مائير رئيس الموساد – **لأن حياة الجواسيس وتصرفاتهم بأمرها – وقال لها أن تترك زوجها لوتز ليحيى حياته الجديدة مع مارتا وأن عليها هى أن تضحى وتبحث عن غيره ... ولم يكن أمامها إلا أن وافقت !**

واستمرت حياة لوتز ومارتا التى أخذت صحتها فى الاعتلال تدريجيا ثم توفيت ... وألمت الكوارث بلوتز الذى كان قد افتتح مدرسة لركوب الخيل إذ فشلت ... ولذا فإنه فى عام ١٩٧٤ .. سافر إلى الولايات المتحدة ليستقر فى لوس أنجيلوس محاولا استثمار مواهبه البوليسية فإفتتح مع شريك أمريكى مكتبا للبوليس السرى الخاص غير أنه بعد فترة هربت زوجة الشريك مع عشيقها وأخذت كل أموال المكتب ، وفى يناير ١٩٧٨ توجه لوتز إلى ألمانيا ليعمل فى أحد محلات بيع أدوات صيد الأسماك بميونيخ ... وهو الآن لايزال يعيش فترة فى اسرائيل وفترة فى ألمانيا ... وحيدا ضائعا يجتر ذكريات المرارة ويقول لمن يقابله أنه سينشرها كاملة ... أو هكذا يتمنى !

المكسب والخسارة

هكذا كانت حكاية لوتز الطويلة العريضة التى أراد بها مدير مخابرات اسرائيل الجديد مائير إيميت أن يمسح عار المخابرات الاسرائيلية على يد سلفه . « **عزرا هاريل** » مديرها السابق وأن يعيد الثقة بها أمام الاسرائيلين والصهاينة ... كذلك أراد بها أن ينقل عمليات التخريب إلى داخل القاهرة نفسها بأمل تضليل المخابرات العربية وحتى يضرب ضربته من بعيد فيأمن أى رد فعل خارجى .

لكنه وكما رأينا فشل .

ونحن لانقول أنه فشل يدافع من الحماس الوطنى ... ولكن نقول ذلك ونؤكده بعد الدراسة والتحليل الموضوعى :

إن خطط المخابرات تقاس بنتيجتها ... وهى – قبل أى شىء اخر – تحسب بالحساب الدقيق وفى النهاية دائما يطرح أكثر من سؤال :

* **ماذا حققت هذه الخطة** ؟ وهل يتساوى حم ما حققته بحجم ما تكلفته ؟ وإذا انفضح سرها فهل تتساوى النتيجة بحجم الفضيحة التى ملأت العالم كله ؟ .

وبتطبيق ذلك على عملية لوتز نجد أن المخابرات الاسرائيلية فشلت فشلا ذريعا ؟

إن العملية حققت التالى :

* **أصابت وكيل مكتب بريد المعادى بعاهة .**

* **أصابت الشقيقين مناع بعاهات .**

فهل هذا هو الهدف ؟ بالطبع « لا » . فإن مخابرات اسرائيل لايهمها وكيل البريد ولا – أسرة مناع كلها . وإنما كان يهمها أن تقتل ولو عالما ألمانيا واحدا أو تصيبه بعاهة ؟

وأنا هنا لا أذكر حادثة هانيلور ويندى سكرتيرة بيلز لأنها لم تكن ضمن عملية لوتز فقد كانت قبلها من أيام مدير المخابرات الاسرائيلية السابق . فخطابها لم يكن من القاهرة وإنما جاء من الخارج . وحتى لو حسبناها فإن هانيلور لم تكن هى المقصودة .

ومن ناحية التجسس : هل عرفت اسرائيل – عن طريق جاسوسها – معلومات هامة عن النشاط الحربى للجمهورية العربية المتحدة (مصر) ؟

هنا لا أستطيع أن أحكم على المعلومات التى حصل عليها لوتز : ما هو مدى حجمها وهل كانت كلها صادقة .... أم بعضها وإلى أى حد ؟

لكن ومهما كان الأمر ... فهذا لايهم ... !

لايهم لسبب ونتيجة .

السبب : أنه عندما كشفت المخابرات العامة العربية « عملية لوتز فإنها عرفت ماذا حصل عليه وكيف ؟ وعندما قبض عليه اعترف بكل شىء !

النتيجة : أنه – بديهيا – عندما تعرف دولة أن عدوها عرف عنها – بالصدق – معلومات « هدف » معين فإنها تغير من تكتيكها بحيث تصبح هذه المعلومات بغير نفع !

وهنا يمكن أن نقول أن حجم ما عرفته المخابرات العربية وقيمته يوازى اضعاف أضعاف ما عرفته المخابرات الاسرائيلية ... فإذا خرجنا بنتيجة أن ماعرفته المخابرات الاسرائيلية أصبح بغير نفع فإن ما عرفته المخابرات العربية – بحجمه وقيمته – يصبح هو « **المكسب** » **إذ أنه كشف كل خطط مخابرات اسرائيل وكل النشاط الخفى الذى يتحرك على المسرح الخارجى موجها أهدافه ضد بلادنا** » **وإذا فكرت اسرائيل فى تغيير هذا المسرح فإنها مهما فعلت لن تستطيع !**

ذلك غير العار الذى لحق اسرائيل بكشف عملية لوتز أمام الرأى العام العالمى وثبوت الاتهام ضدها . فهى تتجسس وتقتل وتشوه وتصيب الأبرياء والنساء ... وهى تضرب بكل قوانين العالم وقيمه الانسانية عرض الحائط . ثم إنه قد سقط لها جاسوس مقيم هام وجاسوسة أمريكية لعوب ... وحفنة أخرى من العملاء سواء فى الداخل أو الخارج !

يبقى بعد ذلك : تهديد العلماء الألمان ... وهل نجح ؟ فهذه هى النقطة المهمة والمحور الأساسى والحيوى !

نحن والعلماء الألمان

قلنا من قبل أن أحدا فى القاهرة – لاالعلماء ولاالمسئولين عنهم – إهتز من تهديد مخابرات اسرائيل وعملائها فى الخارج والداخل ... سواء كان التهديد بطرود الموت وخطاباته ... أو خلال الحملات المسعورة فى الصحف والضغط من بعض المسئولين الألمان ... أو حتى التهديد المباشر والصريح الذى حملته الخطابات التى أرسلها لوتز .

لقد جربت اسرائيل كل أنواع العدوان السرى ...

لكن أحدا لم يهتز ...

ولم يكن للتهديد أى أثر ايجابى ...

دليلى على ذلك ما سبق ذكره عن الخطابات والبيانات والتصريحات التى صدرت عن العلماء الألمان وفى مقدمتهم الكبار : بيلز وجيركه وكلاينفختر ...

ثم أذكر هنا دليلا أخر ...

لقد دعا الخبراء الألمان الذى يعملون فى مصانع الطائرات بحلوان إلى مؤتمر صحفى يوم ١١ مارس ١٩٦٥ – أى بعد القبض على لوتز وقبل محاكمته .

وحضر المؤتمر أكثر من ٥٠ خبيرا ورئيسا للعمال واستغرق حديثهم مع ممثلى الصحافة والاذاعة والتليفزيون أكثر من ثلاث ساعات ... وكان المؤتمر فى مصنع الطائرات العظيم بحلوان ...

بدأ المؤتمر بحديث للبروفيسور **فرديناند براندنر** كبير الخبراء عرض فيه لحملات التشكيك والتهديد وقال أن جريدة « شتوتجارت زايتونج » الألمانية نشرت رسالة لمراسلها هورست آندل ملأها بالأكاذيب عن حياة الألمان والنمساويين فى القاهرة ... فمثلا قال بالحرف الواحد :

« **ان زوجات الخبراء الألمان فى القاهرة والأسكندرية قمن باعداد حقائبهن اياذانا بالسفر من القاهرة وقالت الرسالة : « وفى المعهد الثقافى الألمانى قام المسئولون هناك بالتمرين على مواجهة الكوارث مستخدمين جرادل الماء ومضخات الحريق والرمل وسلالم النجاة** » .

وعلق « براندنر » على هذا بقوله : لا ... إن هذا الكلام غير صحيح بدليل أننا هنا نعمل وستمر فى عملنا وليس هناك ما نخشاه وإننى أشعر بالخجل لأن حكومة بون تكشف عن نفسها وتسمح لنفسها بأن تبحث الطلب الذى تقدمت به اسرائيل لمنع العلماء الألمان من العمل فى الجمهورية العربية المتحدة ... إن هذا الموقف ينسف أى حكومة ... لأن الحكومة التى تحترم نفسها ترفض مناقشة مثل هذا الطلب ... إن الحكومة الألمانية لاتستطيع أن تنفذ هذا الطلب »[1] .

ثم تقدم « **آفالت كالاس** » رئيس العمال ليجيب على أسئلة الصحفيين ... قال : « إننى لم أجد أى مشكلة فى عملى حتى الان . إن الصداقة التى تربط بين الشعب الألمانى والشعب العربى تعود إلى مئات السنين . ان زملائى العمال المصريين من أذكى العمال وإننى سأستمر فى عملى هنا . لقد أتيت منذ ٤ سنوات وشهرين ... وسوف أستمر حتى نهاية المدة المقررة فى العقد » .

وقال رئيس العمال جيلبرت : « إننى أشعر بالخجل لأن شخصا ألمانيا – يقصد الجاسوس لوتز – يقبل القيام بهذا العمل ضد أبناء وطنه » .

وقال ريتشارد بارناس : « إننى سأبقى فى مصر وأعمل بها وفق العقد الذى أعمل به وذلك لأن الحياة فى مصر تعادل الحياة فى ألمانيا » .

وقال هريرت ستوف : تعليقا على ما نشرته « شتوتجارت زايتونج » : إن الأهالى فى ألمانيا قد يصابون بإنزعاج نتيجة لما تنشره الصحف فى ألمانيا الغربية ولكن الواقع غير ذلك لأن الصحف تعطى فى ألمانيا معلومات مبالغا فيها فى حين أن الأمر الواقع يختلف تماما عن هذه الصورة فنحن نعيش سعداء » .

وقال شوينب سفيلد – وهو أيضا كبير للخبراء الألمان وله شهرة دولية فى صناعة الطائرات : « إننا جئنا إلى مصر منذ ٤ سنوات لتنفيذ مشروعات هندسية : وقد قمنا بهذا العمل بنجاح ونريد أن نستمر فى هذا العمل . وإننا – من أثر ما يقال وما حدث من لوتز نخشى أن ينظر إلينا المصريون نظرة مختلفة . فإننا سوف نظل نعمل . وأرجو أن تبلغوا الشعب المصرى أننا نريد أن نعمل بنفس النجاح وبنفس الحماس » .

---

(١) قدمت حكومة اسرائيل برئاسة بن جوريون هذا الطلب ثم جرت اتصالات مع أديناور فأصدر بالفعل أمرا بطلب عودة العلماء كما أنه – خضوعا للضغوط الاسرائيلية والأمريكية – عقد اتفاقا سريا مع اسرائيل تحصل به فى صفحة أسلحة : دبابات وهليكوبتر وسفن وغيرها . وقد نشرنا هذا فى « الأهرام » وقتها .

وانتهى المؤتمر .

وكان هذا هو دليلى الثانى بعدما كتبه وأعلنه من قبل بيلز وجيركه وكلاينفختر .

ولقد ظل هؤلاء الخبراء والعمال – الذين اشتركوا فى المؤتمر الصحفى والذين لم يشتركوا لانشغالهم فى عملهم – ... ظلوا يعملون رغم كل ما قيل كذبا وزورا ...

★ ★ ★

ورغم كل ذلك ...

رغم الأدلة التى لايقترب منها شك .

ورغم كشف عملية لوتز . واعترافاته المذهلة .

فإن أصوات عملاء اسرائيل لم تكف عن ... النباح ...

ولقد كانت هناك « مناسبة » ارتفعت فيها الأصوات المغرضة ...

وكانت المناسبة هى سفر الثلاثة الكبار : بيلز وجيركة وكلاينفختر ...

وحاولت مخابرات اسرائيل وعملاؤها أن يلتقطوا المناسبة ... ولكنهم فشلوا وبسرعة تراجعوا ...

★ يوم ٩ يوليو ١٩٦٥ نشرت صحيفة « نيويورك تايمز » الأمريكية خبرا قالت فيه « إن بيلز كبير العلماء الألمان فى الجمهورية العربية المتحدة – **غادر القاهرة سرا ... إذ استطاع ، الهرب إلى الخارج . !**

وأسرعت وكالات الأنباء الغربية – وهى ليست بريئة – ومن وراءها الصحف والاذاعات المشهورة بخضوعها للنفوذ الصهيونى – تنقل الخبر وتعطيه أولوية النشر والاذاعة مع تعقيب مناسب بالطبع – هجوما على الجمهورية العربية المتحدة .

ورغم أن « الفريد سيديل » محامى بيلز صرح فى نفس اليوم – ٩ يوليو – فى ميونيخ بأن « البروفيسور وولفجانج بيلز قد غادر القاهرة بعد انتهاء عمله فى الجمهورية العربية المتحدة » .

رغم ذلك ورغم أن المحامى أعلن فى وضوح تام أن سبب مغادرة بيلز للقاهرة هو انتهاء عقد عمله إلا أن ذلك لم يسكت الألسنة المغرضة ... بل أن مكتب وكالة رويتر الانجليزية أرسل من القاهرة فى اليوم التالى ١٠ يوليو برقية مطولة يقول أنه : « قد ذكرت مصادر موثوق بها أنه يعتقد أن الجمهورية العربية المتحدة تبحث فى أوروبا عن خبير جديد لرئاسة فريقها الصغير من العلماء الأجانب الذين يعملون الان فى مشروع الصواريخ » .

وبدراسة البرقية نخرج منها أن « رويتر » تؤكد بغير طريق مباشر أن بيلز خرج من القاهرة سرا أو هاربا كما قالت « نيويورك تايمز » فى اليوم السابق ... وإلا فكيف سمحت له القاهرة بالسفر ثم مضت تبحث عن رئيس لفريق علمائها ؟

المهم خرجت برقية رويتر ونشرت فى العالم ... وانهالت التعليقات فى الصحف والاذاعات ومحطات التليفزيون ... بعضها بحسن نية وأكثرها بالسوء !

ولقد فعلوا ذلك بتخطيط سريع لاستغلال مناسبة « **سفر بيلز** » ولكنهم كانوا يتخبطون فى جهل وغباء ...

ولو كانوا قد درسوا المسألة بقليل من العقل لكانوا قد عرفوا أن بيلز قبل قليل ... فى أول مايو ١٩٦٥ أدلى بتصريحات أذاعتها محطة تليفزيون ألمانيا الغربية قال فيها « أن الخبراء المصريين يستطيعون الآن أن يصنعوا صواريخهم بأنفسهم » وقال : « إن عقد عمله فى مصر قد إنتهى منذ عام ، وإنه وزملاؤه قد جاءوا لتدريب الفنيين المصريين » .

ويهمنا أن نركز فى هذا التصريح على إجابة لسؤالين هامين هما جوهر المسألة :

*** لماذا جاء بيلز إلى القاهرة ؟**

**** قال** : لتدريب الفنيين المصريين .

*** كيف جاء ولأى مدة ؟**

**** قال** : ... « على أساس العمل لمدة تعاقد محددة ! » .

يعنى أنه كان يجب أن يغادر مصر سنة ١٩٦٤ لكنه بقى خوفا من عمليات الارهاب الاسرائيلية فكما قال هو وزملاؤه من قبل : إننا لانجد مكانا نطمئن فيه على سلامتنا إلا الجمهورية العربية المتحدة .

إذن .. فقد كان عليه أن يغادر القاهرة سنة ١٩٦٤ . لكنه بقى عاما أخر لهذا السبب الارهابى . وعندما أطمأن إلى كشف عمليات اسرائيل بضبط جاسوسها لوتز وفضح اسرار المخابرات الاسرائيلية الخفية قرر السفر ... ثم لم يشأ الرجل أن يسافر قبل أن يعطى اشارة ذكية لقراره ... وكانت الاشارة فى هذا التصريح : « أن عقده قد إنتهى ... وأن هدفه تدريب الفنيين المصريين » . ثم قال « إن المصريين يستطيعون الأن أن يصنعوا صواريخهم بأنفسهم » .. ومادام المصريون قد وصلوا إلى هذه الكفاءة فمعنى ذلك أن تدريبه أثمر .. وأن مهمته قد .. انتهت .

يعنى أن بيلز قصد أن يقول : « لقد أديت مهمتى وانتهى عقد عملى » .

وعلى أى شخص فيه شىء من الذكاء أن يفهم أن الرجل يستعد للسفر ...

ربما فهم المغرضون ذلك لكنهم حاولوا – بغباء – الشوشرة ... والأمر المحير : كيف يمكن أن يهرب بيلز كما نشرت « النيويورك تايمز » ؟

● مارتا بعد صدور الحكم

وكيف يمكن – كما نشرت أيضا – أن تسعى الجمهورية العربية المتحدة للحصول على عدد من العلماء الشبان من ألمانيا الغربية ليحلوا محل فريق العلماء الأصلى ؟؟

إن هذا كله خيالات : وإلا كيف يمكن لبيلز أن يترك عمله « سرا » ... ولقد كان بيلز يعمل فى القاهرة يغادرها ويعود إليها ... ؟!

لقد انتهى عقد عمله وعلى هذا الأساس – سافر إلى الخارج دون الحاجة إلى أن يكون ذلك « سرا » أو عن طريق مشروع ... بل أنه – وأكثر من ذلك – قد أقيم له حفل وداع ألقى فيه كلمة شكر للذين عمل معهم فى القاهرة ...

أيضا فإن العلماء الألمان الذين عملوا أو مازالوا – حتى وقتها – يعملون فى مصر يتعاقدون بعقود شخصية وليس عليهم أية ضغط . وعلى سبيل المثال – وكما نشرنا فى « الأهرام » قبل ذلك بأكثر من شهرين – فإن العالم الألمانى دكتور بول جيركه قد سافر إلى الخارج مغادرا القاهرة بكل ترحاب – هو وإبنته هايدى – صاحبة الحكاية المشهورة – كذلك غادر القاهرة – بعد انتهاء عمله – العالم الألمانى دكتور كلاينفختر .

أما فيما يتعلق بالسعى للحصول على علماء شبان فإن المؤكد أن الجمهورية العربية المتحدة لم تقم بأى مسعى من هذا النوع ... بل أن العكس هو الصحيح ... ذلك أنه رغم كل ما حدث فلقد طلب عدد غير قليل من الفنيين الألمان بدافع رغبتهم الشخصية الحضور إلى القاهرة والعمل فيها بدون أى مسعى ... وقد تعرضوا – كما ذكرنا فى فصول سابقة لحملات ضغط وارهاب مثل ماحدث للفنيين فى مصانع « زيبيل » للطائرات .

وفى ذلك الوقت كان بيلز فى النمسا وعندما عرفت الصحف طريقه قال « لقد أصبح لزاما على الآن – بعد أن عرفت الصحافة طريقى – أن أجد مكانا أخر فإن لى تجربتى مع اسرائيل » . ومع التصريح قالت وكالات الأنباء « إن المخابرات السرية الاسرائيلية تتعقب الآن بيلز وتطارده » .

على أنه يبقى سر ... وسر هام !

سـر رحيـل العلمـاء

لعلى أقول فى نهاية قصة الحرب الخفية ضد العلماء الألمان فى مصر – وهذا سر جديد لم يكشف عنه حتى الآن – أن العلماء الألمان كانوا بالفعل يودون لو جددوا عقود عملهم واستمروا فى مصر فترة أخرى ... فلقد كانت تجذبهم وتشدهم إليها أربعة عوامل رئيسية :

١ – **أنهم كانوا فيها يستشعرون ويؤكدون ذواتهم بأعمال فنية وإبداعية أكثر بكثير مما لو كانوا تروسا فى الة كبرى أمريكية أو فرنسية حتى ولو كان المقابل المادى أضخم .**

٢ – أنهم – بأعمالهم – كانوا يساعدون دولة نامية لاتبغى من وراء تنمية قوتها استعمار بلاد أخرى أو الضرر بأحد وإنما الحفاظ على تحررها واستقلالها هى وأمنها وحماية التقدم من أجل الشعب ... وهذا عكس العمل فى دول أخرى لها أطماعها وخططها التوسعية .

٣ – **إنهم كانوا منبهرين بشخصية جمال عبدالناصر بسحرها وقدراتها وقواها ولقد قال لى بيلز أنه يتمنى لو حكم ألمانيا زعيم مثل ناصر .**

٤ – أنهم كانوا يرون أن مصر – دون عنصرية – هى الدولة الوحيدة فى العالم المؤهلة والتى تقوم بالفعل بالتصدى للأطماع التوسعية الصهيونية وكشف مخططاتها ... فالعلماء مثل كثيرين غيرهم يؤمنون أن أهداف الصهيونية لاتنحصر فى قيام اسرائيل – وإلا هان الأمر – ولاحتى اسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل ، وإنما السيطرة على العالم ومقدراته .

٥ – **أنهم كانوا يستشعرون فى مصر الأمن ويعيشون فى استقرار الأمان وفى دفء صداقات وعلاقات مع المصريين وهم يحبون الشعب المصرى ويلمسون بالصدق حب المصريين للشعب الألمانى .**

كانت تلك وغيرها عوامل بقائهم فى مصر ورغبتهم فى تجديد عقود عملهم ... وكان من الممكن بالفعل أن يستمروا فمصر كانت ترحب بهم ... إذن ماذا حدث ؟

* إن المؤامرات والارهاب والضغط والتهديد والقتل لم يهمهم أو يؤثر فيهم ...
* شيء واحد فقط كان هو المهم والمؤثر والذى قلب الموازين !
** هو : وصول فالتر أولبرخت رئيس ألمانيا الشرقية إلى مصر بدعوة رسمية .

والذى حدث ــ للحقيقة والتاريخ ــ أن فالتر أولبريخت كان فى تلك الفترة مريضا ونصحه أطباؤه المعالجون بضرورة الاستشفاء فى بلدة يتوافر لها مناخ صحى خاص ... واقترحوا أسوان ــ فى جنوب مصر ــ حيث تتميز فى هذا الوقت من الشتاء بالدفء والهواء النقى ... وعلى هذا أرسلت حكومة المانيا الشرقية فى يناير ١٩٦٥ إلى الحكومة المصرية تستأذن فى أن يجيء أولبريخت فى زيارة خاصة إلى مصر للإستشفاء من مرضه ...

ونشر الخبر فى المانيا على أن الهر أولبريخت سيسافر إلى مصر زيارة خاصة ، وفور إذاعة النبأ خرجت تصريحات تهديدية من حكومة بون :

* ففى الثامن والعشرين من يناير ١٩٦٥ ، وتعليقا على خبر الزيارة ، قال جونتر فون هازى المتحدث باسم حكومة ألمانيا الغربية فى مؤتمر صحفى : « إن أى دولة حرة ذات سيادة لها الحرية فى دعوة من تشاء ولكن هذه الدولة – يقصد مصر – يجب أن تعرف رد الفعل لتصرفاتها ! » .

* وظهرت صحيفة « فرانكفورتر الجماين » تحمل عنوانا ضخما يقول : « اعلان حرب صادر من القاهرة » وقالت ان دعوة ألبريخت بمثابة اعلان حرب .

وبدأت رسائل التحذير والتهديد تصل إلى القاهرة عبر ما يسمى « الدبلوماسية السرية » .. ولم يكن أمام مصر باعتبارها دولة حرة مستقلة إلا أن ترفض هذه التهديدات بطريقة عملية ، فضلا عن أنه كانت تربطها بالكتلة الشرقية علاقات مودة ، أيضا فإنه من غير اللائق – فى آداب العلاقات الدولية – أن يجيء رئيس دولة للاستشفاء هكذا وتتجاهله الدولة التى يزورها ... لذلك أرسلت إلى برلين الشرقية ترحب بحضور الرئيس فالتر أولبريخت للاستشفاء وأن يكون فى ضيافتها ...

ولم تكن القاهرة فى ذلك الوقت تعترف بألمانيا الشرقية ، وأؤكد أنه لم يكن فى خطتها أن تعترف بها بهذه السرعة !

ولكن الحملة الألمانية الغربية ازدادت ضراوة ... ولاننسى أننا فى تلك الفترة لم نكن بعيدين عن الحرب العالمية الثانية ونتائجها وتقسيم ألمانيا ، والمبدأ الألمانى الغربى الذى كان يعتبر ألمانيا الشرقية أكثر عداوة من أى دولة أخرى فى العالم !

وكان هذا هو مبدأ هالشتين الذى يدين به كل مواطن ألمانى .

ولم يكن العلماء العاملين فى مصر ... إلا مواطنين ألمان ، يحبون مصر ... نعم . لكنهم يحبون بلدهم ويعادون إلى كل حد ألمانيا الشرقية ... ولهذا كان غضبهم من دعوة أولبريخت وزيارته لمصر التى بدأت فى ٢٤ فبراير ١٩٦٥ .

وهكذا غضب العالم الكبير بيلز ... وقرر – وهو الرقيق الحالم – أن يغادر القاهرة ... وتبعه الأخرون . وأذكر أننى التقيت مع بيلز بعد أن قرر الرحيل ...

قلت له : ترى ... هل هناك أمل فى أن تعود مرة أخرى ؟

قال : أتمنى ... ولكن من يدرى !

قلت له : إلى أين تتجه ؟

قال : أى مكان ... المهم أن ابتعد عن المتاعب (يقصد الارهاب) ...

قلت له : هل تنوى العمل فى مكان آخر ؟

سكت قليلا وسرح بفكره وبصره وقال : إنك تعلم إننى رفضت الذهاب إلى الولايات المتحدة لاشارك فى لعبتها الاستعمارية ... وتعلم أننى تركت فرنسا ولقد رفضت – ربما تعلم – كثيرا من العروض فى دول أخرى متقدمة رغم سخاء الاغراءات ... وفضلت مصر لاعجابى التاريخى والمعاصر بها أما الآن ، عن مستقبلى الذى تسأل عنه ... فأعتقد أننى لن أعمل بعد الأن ... لقد أديت دورى وما أظن أنه واجبى ... » .

★★★

ولقد بقى بيلز محافظا على هذا الموقف ، متحمسا فى نفس الوقت لصناعة الصواريخ المصرية .. وعندما وقع عدوان يونيو ١٩٦٧ ضد مصر وسوريا والأردن

شعر بيلز بمرارة شديدة .. وكان طبيعياً أن تبحث عنه الصحافة لتسأله كما بحثت عن فرديناند براندنر الذى أشرنا إليه فى فصل الكولونيل محمود .. وإذا كانت دير شبيجل قد تحاورت مع براندنر فأن مجلة « شتيرن ، الالمانية الغربية أيضاً ــ عثرت على بيلز وكلاينفختر فسألتهما ليجيبا معا بردود واحدة على الأسئلة .. ولكن وكالات الأنباء عندما نقلت الحديث إلى العالم حرفته وشوهته بما يوحى بأن العالمين الكبيرين يهاجمان مصر .. فكان ان سعت بعض الصحف لنقل الحديث كاملاً بحقيقته .. ومنها صحيفة الأنوار اللبنانية التى نشرت نص الحديث فى عددها بتاريخ ٢ أكتوبر ١٩٦٧ .. وفيه قال العالمان :

« **إن الإسرائيليين** كانوا يعرفون تماما أن مهمتنا فى القاهرة كانت علمية بحتة ، ولكن اسرائيل خشيت من نتائج نجاح الجمهورية العربية المتحدة (مصر) فى اطلاق قمر صناعى إلى الفضاء .. خشيت من نتائج هذا النجاح فى الميادين السياسية والاقتصادية .

« فلو نجحت الجمهورية العربية المتحدة بإطلاق قمر صناعى فى ذلك الوقت ، لأحدث ذلك دويا هائلا فى العالم بأسره ، وخاصة فى العالم العربى .. وهذا كان سيولد حركة جماهيرية هائلة تضغط على الحكومات العربية للدخول فى وحدة مع مصر المتقدمة علمياً ..

« **إن الوحدة العربية تعنى نهاية اسرائيل ، والشىء الوحيد الذى يخشاه الاسرائيليون هو الوحدة العربية .. ولذلك قامت المخابرات الاسرائيلية بعمليات القتل والتهديد ضدنا ..**

« إسرائيل ترى الخطر فى الوحدة العربية .. وليس فى الصواريخ » .

• **سؤال** : هل تعنون بكلامكم هذا .. إن المصريين كانوا يهدفون من بناء الصواريخ إلى تحقيق نصر سياسى لا حربى .

□ **أجاب العالمان** : بالطبع لا .. المصريون أرادوا الحصول على جميع المعلومات العلمية المتعلقة بصناعة الصواريخ ، وبالحصول على هذه الخبرة والمعلومات يفتحون الطريق امام صناعة الصواريخ التى تستخدم فى الأغراض والأبحاث العلمية .. **وأيضاً الصواريخ التى تستخدم للأغراض الحربية**

• **سؤال** : لقد عدتم من القاهرة قبل حرب يونيو الماضية بفترة ، وتشير المعلومات أن الخبراء المصريين يستطيعون الآن بناء صواريخ حربية فما رأيكم وهل تعتقدون أن هذا صحيح ؟

• **أجاب العالمان** : أن المقدرة من الناحية النظرية متوفرة لديهم طبعا .. وصناعة الصواريخ الحربية تتطلب منهم توفير امكانات ضرورية فى مقدمتها الوقود الصلب .

• **سؤال** : هناك رأى يقول أن الصواريخ المصرية لم تستخدم فى حرب يونيو بسبب وجود نقص فى أجهزة التوجيه الاليكترونية .. فهل هذا صحيح ؟

• **أجاب دكتور بيلز** : أن هذا خطأ .. لقد استطاع البروفيسور كلاينفختر فى عام ١٩٦٢ (أى سنة اطلاق القاهر والظافر) .. اطلاق صاروخ موجه اليكترونيا فى الجمهورية العربية المتحدة .. والادعاء الآن بأن الصواريخ لم تطلق فى يونيو ١٩٦٧ بسبب نقص فى أجهزتها الأليكترونية هو : **كذب وخداع** .. ان المكان الذى اطلق منه الصاروخ عام ١٩٦٢ لم يكن يبعد عن القاهرة سوى ٦٠ كيلو مترا .. **فكيف يمكن اطلاق صاروخ دون موجه اليكترونى** يضبط خط سيره فى مكان قريب من مدينة كبيرة ؟

الحقيقة أن جميع الأجهزة الاليكترونية عملت بدقة متناهية وإلا لكان الصاروخ قد سقط فى القاهرة ؟

***

هكذا حدد العالم الكبير دكتور وولفجانج بيلز ، بوضوح قدرات مصر وامكاناتها فى صناعة الصواريخ .. وأكد فى اجابته على السؤال الأخير أنه فى استطاعة مصر أن تستخدم الصواريخ الموجهة اليكترونيا .

لعلنا أيضا نضيف **شهادة عالمية علمية** تشيد بالصواريخ المصرية وهى صناعة الصاروخ الظافر الذى يعد أصغر الصواريخ المصرية وهى : القاهر والرائد متعدد المراحل والظافر ..

ففى السادس عشر من اكتوبر ١٩٧٣ ــ وبرغم كل ماحدث من جهود لصناعة الصواريخ المصرية ــ **قالت موسوعة جينز الانجليزية** الشهيرة ــ حسب مانقلته وكالة الاسوشيتدبرس الأمريكية ووكالة الانباء الفرنسية ان « الصاروخ الظافر (أرض ــ

أرض) الذى تملكه مصر يبلغ مداه ٣٧٥ كيلو مترا ، يستطيع حمل رأس حربى زنته ٥٠٠ كيلو جرام من المتفجرات ، ويمكن اطلاقه من منصة متحركة ليصيب أهدافه فى تل أبيب والقدس وحيفا (هكذا تقول الموسوعة) . ان الظافر ــ تستطرد موسوعة جينز ــ أصغر صواريخ ثلاثة انتجتها مصر ، وهو يتكون من مرحلة واحدة ويعمل بالوقود السائل .. والأكبر منه هو « القاهر » الذى يحمل رأسا حربيا أكبر ومداه ٦٠٠ كيلو متر ، ويطلق أيضا من منصة ثابتة أو متحركة .

يحتل القاهر والظافر إذن مكانتهما فى الموسوعات العسكرية العالمية لقيمتهما الحربية .. وأيضاً يحتل « الرائد » الصاروخ المصرى متعدد المراحل مكانة كبرى وان كان فى مصر وفى منطقتنا لم يأخذ حقه اعلاميا ، وإن كان قد أخذها عسكريا .

بل أن « الرائد » كان اساس الصاروخ الصينى المتطور !

فإن دكتور بيلز بعد اختفائه سنوات متنقلا فى أوروبا أمكن إقناعه بالسفر للعمل الصين بإعتبارها تسعى للتقدم وليست من الدول الامبريالية ..

وفى الصين بدأ بيلز يعمل لانتاج صاروخ متطور ــ واظن ان هذا ــ غير معروف .. وعندما ظهر الصاروخ .. قال لى أحد الخبراء الذين كانوا يعملون فى صناعة الصواريخ بالقرب من بيلز :

• ألم تلاحظ شيئا .. صحيح أن بيلز غادر مصر بلا رسومات أو معلومات لكن « كل شيء فى رأسه » ولذا فإن الصاروخ الصيني ليس إلا صاروخنا المصرى الرائد بعد تطويره .. أى بالشكل الذى كان سيصبح عليه فى مصر .. لو استمر الحال !

***

و .. انقطعت أخبار بيلز .. فالصين ليست أوروبا والأسرار فيها .. فى بئر عميق !

لكن ثمة أنباء من مصادر خاصة تقول إنه سافر بعد ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويقال انهم قدموا له إغراءات عديدة على أساس أنه **لن يعمل فى المجال العسكرى** الحربى .. وإنما فيما يخدم العلم والانسانية عبر برنامج الفضاء الأمريكى ، وأنه سيخلف براون ــ ابو الصواريخ وأستاذه ــ فى مكانته بعد وفاته .. وبهذا أصبح مستشارا علمياً فى وكالة انسا للفضاء وتحت يده كل الأمكانات .

١٧ أكتوبــر ١٩٥٤

هكذا .. فإن قصة العلماء الألمان فى مصر – مع كل ما فيها من أهمية واثارة – هى فصل من رواية أكبر تنسجها قصة الحرب الخفية التى شنتها اسرائيل والقوى المعادية – وأظن أنها لاتزال ممتدة ضد التقدم المصرى وبالذات فى مجال التسليح والتصنيع الحربى ..

فالصناعات الحربيه فى مصر لها تاريخها العريق ، والمصرى بقدراته أثبت تفوقه فيها ، ولاأعود إلى التاريخ القديم أيام الفراعنة لكنى أتوقف عند اليوم السابع عشر من أكتوبر عام ألف وتسعمائة وأربعة وخمسين ...

فى ذلك اليوم – ١٧ أكتوبر ١٩٥٤ – فى عصر مصر الثورة .. أنتجت الصناعة الحربية المصرية أول طلقة ذخيرة ناجحة وفعالة بكل مقياس علمى وعسكرى .. ومن يومها وعجلة الانتاج تدور ويتنوع عطاؤها حتى وصلت بعد نحو عشر سنوات إلى انتاج الصواريخ وانتاج محرك الطائرة النفاثة !

لقد نجح هذا الانتاج فى الستينيات ...

ونجح صنع المحرك النفاث ووصل الأمر إلى إن عقدت مصر مع الهند اتفاقية تصنع مصر بمقتضاها محرك الطائرة النفاثة بينما تصنع الهند جسم الطائرة – وتم هذا بالفعل وجىء بالجسم الهندى ليدخله المحرك المصرى فى القاهرة وطارت الطائرة بنجاح فى حفل كبير شهده سفير الهند وعدد من قادتها العسكريين .

لكن المشكلة أمام التطور كانت معقدة وأهم عناصرها عدم توافر السيولة المالية فإن هذه النوعية من الانتاج بما تتطلبه من أبحاث مستمرة ومستلزمات انتاج تجىء من السوق العالمية السرية وبأسعار باهظة ... تحتاج إلى تكاليف ضخمة تمثل عقبة كبرى خاصة وإن مصر وشريكتها – فى انتاج الطائرة – الهند – من الدول النامية .

كانت تلك هى المشكلة الكبرى .. ولقد حاولت مصر التغلب عليها بتوفير قدر من الاعتمادات دون ارهاق للميزانية .. كما أن المصانع ذاتها حاولت تسخير فائض طاقتها وفائض المواد الخام فى صنع أجهزة منزلية متطورة مثل الثلاجات والسخانات والبوتاجازات وغيرها مما وجدت رواجاً كبيراً .. والمدهش أن البعض ــ إن جهلاً

أو أغراضاً ــ اتهم المصانع بالخروج عن أهدافها وفشلها فى الإنتاج الحربى ولذا اتجهت للصناعة المدنية ... وهؤلاء كانوا ينفذون المخطط المعادى للتقدم ، ولقد كانوا يهمسون به أيام جمال عبد الناصر ثم جهروا به أيام أنور السادات حيث تمكنت القوى المعادية من تنفيذ حملة لهدم كل المنجزات المصرية ، وإذا كانت الحرب العدوانية عام ١٩٦٧ قد أوقفت المشروع الحربى .. فإن ما حدث فى السبيعينيات كان إجهازاً عليه ضمن مخطط الإجهاز على كا إنتاج وطنى .. ونشطت فى سبيل ذلك الحملات من الخارج والداخل .. إلى أن جاءت حقبة الثمانينيات وتولى المسئولية الرئيس **محمد حسنى مبارك** وبدأ ، منذ اللحظة الأولى ، ينفخ فى شعلة الإنتاج قبل أن تخبو تماماً .. وكان إن انتعشت الصناعة الحربية وتطورت ولعل الإحساس الواعى بأهميته يزداد ويتعاون العرب فى هذا بالتكامل والتنسيق مع مصر وليس التنافس والتضارب !

فإن التقدم المصرى ليس فى حقيقته قاصراً فى عطائه والاستفادة منه على مصر ، إنما هو بالدرجة الأولى فى خدمة الأمة العربية التى ينبغى أن تشترى كل احتياجاتها من مصر وأن تدعمها بكل السبل .. بل ولا تحاول أن تبنى صناعة منافسة اعتماداً على وفرة التمويل وإلا حفرت لنفسها بئراً للضياع والمتاهات ! كذلك فإن التقدم المصرى هو فى خدمة دول العالم الثالث .. شركاء المصير .

الصناعة الحربية لمصر إذن لها تاريخ ، وإننى أجد نفسى مدفوعاً بالمطالبة باعتبار يوم **١٧ أكتوبر ١٩٥٤** ــ الذى أنتجت فيه أول طلقة ذخيرة حية مصرية الصنع ــ يوما للإنتاج الحربى المصرى يقام فيه معرض ضخم يحكى تاريخه وتطوره .. ويصدر فيه كتاب وثائقى يروى قصة هذا الإنتاج والمعارك المضنية التى خاضتها مصر فى سبيله ويوضح تفصيلاً جهود هؤلاء الرجال العظام الذين تحملوا العبء سواء من القادة السياسيين أو العسكريين أو الفنيين مع ذكر كل الظروف التى أحاطت بهذا والكتابات التى نشرت والأقوال التى قيلت ..

وهو أيضاً هذا الإنتاج ــ حتى لا نقسو على أنفسنا ونجحف مصر حقها – كان بداية خلق تكنولوجيا مناسبة لمصر .. ولقد تقدمنا فى هذا المجال فى فترات معينة ووثائق الأمم المتحدة والهيئات الدولية والرجال المخضرمين شاهدة على ذلك ..

إن القصة – طويلة .. طويلة – وهى بعض تاريخ الأمة .

كتب صدرت للمؤلف

١ ــ محارب لكل العصور : عن الشخصية المصرية وموقعها من القتال مع تاريخ وتحليل الحروب منذ غزوات الهكسوس إلى غزوات اسرائيل ــ صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ١٩٧٢م .

٢ ــ الحكيم .. و .. وعيه العائد ! : رد على كتاب توفيق الحكيم « عودة الوعى » ــ صدر عن دار حوار ــ القاهرة ــ ١٩٧٥م .

٣ ــ حرب المخابرات : عن أهم قضايا التجسس بين مصر واسرائيل ــ صدر عن دار حوار ــ القاهرة ١٩٧٥م .

٤ ــ حوار مع هدى عبد الناصر : أول حوار يجرى مع اسرة الزعيم الخالد وأبنته الكبرى ، ومع عدد من زملائه عنه كإنسان وسياسى قبل وبعد الثورة ــ صدر عن دار حوار ــ القاهرة ١٩٧٥م .

٥ ــ سياسة الفكر : عن حاجتنا إلى سياسة فكرية ومشروع حضارى ــ صدر عن الهيئة العامة للكتاب ــ القاهرة ١٩٧٥م .

٦ ــ من كان يحكم مصر ؟ شهادات وثائقية : عن القرارات الاشتراكية التى صدرت فى بداية الستينات مع وثائق بالشركات والبنوك التى شملتها وأسماء المساهمين وعدد وقيمة الأسهم وجنسياتهم ــ صدر عن مكتبة مدبولى ــ القاهرة ١٩٧٥م .

٧ ــ توفيق الحكيم والثورة المصرية : استعراض لمواقف توفيق الحكيم من ثورة ٢٣ يوليو وآرائه المتناقضة وتعظيم الثورة له ــ صدر عن المكتبة العصرية ــ بيروت ١٩٧٦ م

٨ ــ مصطفى أمين والسياسة المصرية : عن قضية التجسس والتحقيق معه والمحاكمة ــ صدر عن المكتبة العصرية ــ بيروت ١٩٧٦م .

٩ ــ ماذا يجرى فى لبنان : عن بداية الحرب الأهلية فى لبنان وأسبابها السياسية والاجتماعية والثقافية وتطور الحرب فى اطار المؤامرة المدبرة للبنان ــ صدر عن دار القاهرة للثقافة العربية ــ القاهرة ١٩٧٦م .

١٠ ــ اعترافات احسان عبد القدوس : محاولة لدراسته .. نشأته .. عمله .. أدبه .. صحافته .. حياته الخاصة مع حوار طويل معه وآراؤه فى الحرية والسياسة والجنس ــ صدر عن دار العربى للنشر ــ القاهرة ١٩٨٠م .

هذا الكتاب

مشحون بقصص الاثارة والمغامرات التى تفوق ـ بواقعيتها المذهلة ـ أساطير الخيال .. لكن هذا ليس هو الهدف ..!

إنه : يكشف عن بعض روح الأمة وتاريخها فى الثلاثين سنة الماضية عندما أعادت مصر ترتيب أوراقها وأعطت الأولوية للتقدم العلمى واقتحام تكنولوجيا المستقبل فهى ـ على حد تعبير القائد الخالد جمال عبد الناصر ـ « أهم من انتاج الطائرات والصواريخ » .

وكان هذا بداية كسر احتكار العلم ـ بعد كسر احتكار السلاح ـ تملك الأمة قرارها وارادتها .. وهذا نفسه ماحرصت اسرائيل والقوى المعادية على ألا يتحقق لتكريس التبعية العربية . ولهذا قال العالم الألمانى دكتور بيلز عقب عدوان ٦٧ إن مصر تملك صواريخها الموجهة اليكترونيا ويمكنها استخدامها لكن ماتخشاه اسرائيل أكثر من هذا هى الوحدة العربية التى تتحقق بالنجاح العلمى .. ولهذا قامت مخابراتها بعمليات القتل والتهديد .

ولقد عاش الكاتب ـ فى ظروف خاصة أتاحها له عمله الصحفى بجريدة الأهرام ـ بعضا من تاريخ الأمة واختلط بأحداثه والتقى بأطرافه واطلع على وثائقه وهو اليوم يذيع أسرارا لم تنشر حيث يقدم شهادة حية موثقة .. بالكلمة والصورة والمستند .

توزيع « الأهرام »

الثمن ٣ جنيهات